بشارة خليل الخوري

حقائق لبنانية

من ٢١ من ايلول ١٩٤٣ الى ٣١ من كانون الاول ١٩٤٦

« ... ولكن ليكن كلامكم نعم نعم، ولا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير »

(انجيل متى ٥، ٣٧)

الجزء الثاني

طبع من هذا الكتاب :

ثلاث نسخ مرقمة بحرف أ

وست وتسعون نسخة مرقمة من ٤ الى ٩٩

منشورات « أوراق لبنانية »

تقديم

للاستاذ فيليب تقلا

تردّدتُ الى حدّ الاحجام في كتابة هذه المقدمة للجزء الثاني من مذكرات الشيخ الرئيس

فمن اين لي ان اجاري مَن قدّم للجزء الاول منها ، وهو الاستاذ الكبير اميل خوري ، الذي يصح فيه القول : اذا قرأت ما كتب فتنت، واذا حاولت تقليده عجزت .

وهل تقاس مقدمةٌ بالمتن، والكتاب سِفْر من اسفار التاريخ اللبناني، حافل بأجلّ الاحداث وابعدها اثراً في حياة اللبنانيين ومستقبل ابنائهم، كتبه من وجّه تلك الاحداث وعاشها في الصميم ، بأسلوب سما بالرواية الى ارفع مراتبها وجعلها تأخذ بمجامع القلب ، وتستأثر بالانتباه ، وتثير في النفس، حدثاً بعد حدث ، جميعَ انواع المشاعر وألوانها ، فأضاف الى سِفر التاريخ رائعةً من روائع الادب السياسي .

لكني، بعد التردد، اقدمت . ففضل الشيخ بشاره على وطننا والحظُّ الذي اصابني في اني جاورته قبل الرئاسة واثناءها وبعدها ، يحتّمان عليّ انتهاز هذه الفرصة لاقول ما اعرف عنه وعن الرسالة الوطنية، التاريخية، العظمى ، التي أدّاها .

* * *

المدرسة السياسية التي تزعّمها الشيخ بشاره لقّنت العديدَ من اللبنانيين فوق علم السياسة اللبنانية الصعب ، معاني العزة القومية والكرامة الوطنية .

ولقد أتيح لي ان اعمل الى جنب زعيم هذه المدرسة وهو رئيس للجمهورية ، فتعرفت عن كثب الى شخصيته الجبارة : الى سياسي لا يُبارى ، لبق ، مرن ، حكيم ، سيد المناورة ، صافي الذهن حاضره في كل آن، عالماً وأديباً، رجل دولة قبل كل شيء، يخطّط ويُنظّم، يدرس ويوجّه ويراقب التنفيذ ، يستخلص من كل بحث لبّه ويستهدف في النهاية مصلحة البلاد العليا .

ولازمته بعد اعتزاله الرئاسة ، فما رأيت فيه تبدّلاً ولا تحولاً ، بل ظلت هالة الرئاسة تحيط به وظل هو قائدَ رأي في قومه ومرشداً لهم في المسالك الصعبة .

وكما ان زلفى الناس ما اسكرته يوماً ولا غرّهُ تهافتهم عليه، كذلك ما هزّه عقوق بعضهم ولا افجعه تنكّرهم، فهو في الاصل على خبرة بطبائع البشر تستطلع كوامن النفوس وتنفذ الى اعماقها، وهو، على الاخص، عارف مواطن الضعف النفسي والخلقي في الناس .

آمن بالله ايماناً سما به عن العرف والتقليد في مجال الدين وأنفذ بصيرته عن هذه الدنيا الى الآخرة، فسيّرت اعمالَه روحيةٌ باطنية بعيدةُ الاغوار نأت به عما يثقل الضمير وحبّبت اليه الفعل الصالح ، كما جعلته يصبر على المكاره ويتسلح بالوداعة والقناعة وسعة الصدر ، ويحلم ازاء خصومه حلماً كم ظنّوه ضعفاً ، ويصدر عليهم فيما بعد احكاماً خفيفة الوطأة رغم قسوتهم وتجنّيهم عليه .

وآمن بالوطن اللبناني ايماناً ينبع من حنايا صدره ، استمدّ منه شدة المراس وقوة الشكيمة في العمل العام ، والجلد على الجهاد والنضال ،

والصمود كالصخر ، يوم هبّت الزوابعُ من كل صوب تهدّد الاستقلال الطريء العود والسيادةَ التي ما قبل الانتقاص منها مثقال ذرّة .

* * *

هذا الجزء الثاني من مذكرات الشيخ الرئيس يحوي بين دفتيه احداث سنوات ثلاثٍ كانت في مجال الزمن ، من الخصب والضخامة بحيث تبدو وكأن التاريخ جُمع فيها .

استقلال تام ناجز، وسيادة كاملة غير منقوصة ، وجلاء الاجنبي جلاء كاملاً عن ارضنا . امنيّات تاقت الى تحقيقها نفوس اجيال من اللبنانيين ناضلوا وتألموا وصبروا طوال قرون عرفوا خلالها شتى انواع المنازعات الداخلية، والاخطار الخارجية، وبلوا شتى انواع الانظمة وأجناس الحكام، وظلوا من غاياتهم على غير بلوغ حتى هيأ الله لتحقيقها اسباباً وقيّض لها رجالاً قادوا الشعب في معركته الحاسمة فانتصروا بنصره وأهدوا الى لبنان اصفى وامجد الاوضاع السياسية التي عرفها عبر تاريخه الطويل ، وأرسوا الوطن وكيانه ، والدولة واجهزتها ، على قواعد استخلصوها من صلب الواقع اللبناني .

ومن هنا كان فضل الرعيل الاول ، الفضل في ادراك طبيعة الواقع اللبناني واستخلاص مقوّمات الاستقلال وشروط ديمومته من الواقع ذاته . كان فضلهم في انهم آمنوا بان لبنان، ذا الكيان الصحيح المعلن عام ١٩٢٠، يصلح لان يكون كياناً سياسياً منفصلاً عن غيره من الكيانات ودولة مستقلة تمام الاستقلال ووطناً يرضى به ابناؤه ، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم وطبائعهم وثقافاتهم .

كان فضلهم في انهم اقنعوا اكثرية الشعب الساحقة بما كان خيراً لهذا الشعب فشدّ ازرهم في اليوم العصيب، وفي انهم قاتلوا الخصوم الذين برزوا في الداخل وفي الخارج ، بثبات وعناد ، وتغلّبوا عليهم رغم ما لاقوا من

مصاعب وما عانوا من متاعب ودسائس وما تعرضوا له من إغراء وما تلقوا من سهام ظالمة .

ويد الله كانت معهم . فلولاها ، لما تلاقى في البدء بشارة الخوري ، المتحدّر من اصلاب المسيحية المارونية المحتمية في حمى جبل لبنان القديم، ورياض الصلح ، المسلم السني الراضع تاريخ امجاد العرب وصاحب الروح النضالية التي عملت طويلاً في العهد العثماني من اجل فصل البلاد العربية عن الامبراطورية ثم راحت تعمل بعدئذٍ على توثيق عرى التضامن والتعاون بين هذه البلاد بعثاً لعزها ومجدها .

وما ان تلاقى الرجلان الكبيران حتى ادركا ان ما من وَحدة لبنانية تُرجى ولا من استقلال يؤمل ان لم يصفق جناحا لبنان على إيقاعٍ مشترك ولم يخفق القلبان خفقاً واحداً . فكان الميثاق الوطني . وما ان كان حتى اضحى كل شيء لا ممكناً وحسب بل محققاً : استقلال وسيادة وجلاء وعزة قومية وجلوس في المحافل الدولية الى جانب امم الارض — واسياد الامس — على قدم المساواة .

* * *

ذلك الميثاق الوطني ، كم تنكّر له الوجِلون والمشككون والحذِرون وهزأوا به ، اكانوا من ذوي الحنان الى ماضٍ غاب بدون اياب ام كانوا من الطامعين بغدٍ اوسع مدى وارحب رقعة .

بل الصادقون ، الصافية نياتهم ، من الفريقين ، اما اساؤوا فَهْم الميثاق احياناً ؟

يخطىء مَن يعتقد ان الميثاق اقام اتحاداً داخلياً بين عنصريتين مختلفتين تجاور الواحدة اختها اذ تعيشان في منزل واحد ، لكن تنتظر كلتاها يوم الانفصال بتوق وشوق .

ويخطىء مَن يقول إن في لبنان سلبيَّتين تميلان بطبيعتهما الى التنافر والتنابذ فلا بد من ان يكون ما يشدّهما الى بعضهما ويجمعهما رباطاً اصطناعياً.

ويخطىء مَن يحدد الوضع اللبناني تحديداً يجعل منه نوعاً فذّاً من الفدرالية بين مجموعتين من البشر، منفصلتين في الاصل، تواضعتا واتفقتا على خلق كيان مشترك بينهما، حتّمته ظروف وفرضته مصالح، منها محلية ومنها دولية، فلا بُدّ بالتالي من ان يتبدّل الكيان او يزول بتبدل الظروف او بزوال المصالح.

ما هكذا اراد الرعيل الاول الميثاق الوطني. اراده اعلاناً روحياً جماعياً، مهرته دماء الشهداء اللبنانيين بخاتمها القاني، صدر عن قوم هم شعب واحد، افراده متساوون في كل شيء، يتضمن الكفر من جهة بالحماية والوصاية، والكفرَ من جهة اخرى بالوحدة والاتحاد، ويتضمّن العزم على العيش بسلام وهناء، في لبنان مستقل، سيّد، حرّ، عزماً نهائياً لا تحفّظ فيه ولا تحفّز.

فليتق الله مَن في لبنان — وخارج لبنان — يسعى لتحريك رواسب ماضٍ بعيد او قريب، او يسبر اغوار التاريخ من اجل تحديد مفاهيم قومية تنبثق في الحقيقة من معالم اختلطت وتشابكت عبر قرون طويلة فضاعت بين مدّ امواج البحر وجَزر رمال الصحراء.

وليتّق الله اولئك الذين — في لبنان وخارج لبنان — يتعمدون إلهاءَ شعبنا بقراءة طالعه الفَينة بعد الفينة، فتضيع نفوس في خضمّ المخاوف، وتزوغ ابصار في مراقبة الآفاق الدكناء، وتتقلص المحبة في القلوب، ويذهب الوجل بنا الى الصدوف عما يغذّي حاضرنا ويُسعده من اجل ترقب مستقبل يصوّرونه غامضاً اسود.

... فليتّقوا الله حتى لا يصحّ قول الإمام علي، رضي الله عنه: «والناسُ من خوف الذلّ في ذلّ».

فيلب تقلا

العهد الجديد

وصية :

إذا استطعتَ ان تحتفظ برأسك في الوقت الذي يفقد فيـه من هم حولك رؤوسَهم وينحون عليك باللائمة

وإذا وثقتَ بنفسك في الوقت الذي يشكّ بك الجميع ، ومـع ذلك سامحتَهم لانهم شكـّوا فيك

إذا استطعتَ ان تنتظر ولا تملّ الانتظار، ولم تقابل اكاذيب الناس بالاكاذيب . وإذا كرهك الناس ولم تكرههم، وإذا ظهرتَ بأنك لست احسن الناس ولا احكم الناس

وإذا استطعتَ ان تحكم دون ان تسيطر عليك أحلامُك، وان تفكر ولا تجعل التفكير جميع أهدافك

إذا استقبلت النصر كما تستقبل الهزيمة سواءً بسواء، واذا استطعت ان تتحمل نتيجة اقوالك ، وان تشهد المِعول يهدم كل ما كرست من اجله حياتك ، وتنحني لتبني من جديد ما تهدّم

وإذا استطعت ان تجعل من انتصاراتك كلها نصراً واحداً، ثم تغامر

به وتفقده ، ثم تعود فتبدأ من جديد بغير ان تتحسّر على ما فقدتَ وما تعبت به

إذا صبرتَ في وقتٍ لا تملك فيه سوى إرادتك، تصرخ وتهيب بك أن تتماسك

وإذا استطعتَ ان تتحدث الى الشعب دون ان تفقد فضائلك، وان تصاحب الملوك بغير أن تفقد اتصالك بالشعب

إذا استطعت ان تمنع الاعداء والاصدقاء من أن ينالوا منك ، وأن تحسب لكل انسانٍ حسابه ، ولكنك لا تخشى الناس مجتمعين

إذا استطعت ان تملأ فراغ كل دقيقة من حياتك بالعمل ، واذا كانت كل ثانية في حياتك تمضي في جهد مفيد

إذا استطعت ان تفعل ذلك كله ملكت الارض ومـــا عليها ... وأصبحتَ أكثر من ذلك ... أصبحت رجلاً يا ولدي ! (١)

---

(١) — من ريديار كبلن الى ولده

جلسة انتخابي رئيساً للجمهورية :

في ٢١ من ايلول سنة ١٩٤٣ صباحاً عقد المجلس النيابي الجديد جلسته الاولى وترأسها جورج زوين رئيس السن ، وانتخب صبري حماده رئيساً للمجلس فصعد الى المنصة يرافقه تصفيق النواب والجمهور . وابتدأ الاقتراع لرئاسة الجمهورية وفرزت الاصوات برقابة نائبين احدهما رياض الصلح ، وكانت النتيجة كما يأتي : المقترعون ٤٧، انتخبني منهم اربعة واربعون نائباً ، وظهرت ثلاث ورقات بيضاً . وغاب عن الجلسة النواب اميل اده وكمال جنبلاط واسعد البستاني وجورج عقل واحمد الحسيني وعبد الغني الخطيب وجميل تلحوق (كتلة وطنية) وايوب ثابت (مستقل) . اما جورج زوين وامين السعد (من الكتلة الوطنية) فحضرا الجلسة وانتخباني .

وعندما بلغ الفرز اكثر من الثلثين ضجت القاعة بالتصفيق الحاد والهتافات المتوالية وأُطلقت في القاعة حمامات بيض، واخذ الشعب يمرح في الساحة والطرقات العامة ، وازيز الرصاص لا ينقطع .

واعلنت النتيجة النهائية فاعتليت المنبر ولفظت خطابي ، وكدت لا اسمع صوتي بسبب الضجيج الخارجي والطلقات النارية ، انما سمعتُ وأسمعتُ كلمات التعاون مع البلدان العربية وخروج لبنان من عزلته

واعلان الميثاق الوطني (١) باجلى بيان . فقوبلت عباراتي هذه بالتأييد التام ورفعت الجلسة في جو بالغ من الحماسة .

وانتقلنا الى غرفة رئيس المجلس حيث تقبّلت تهاني النواب ورجال السلكين الدبلوماسي والقنصلي . ثم ذهبنا في موكب الرئاسة الى البيت في بيروت حيث زارني مهنئاً رئيس الدولة السابق بترو طراد ، وكان قد حضر جلسة الانتخاب ، فرددت له الزيارة حالاً في بيته ماراً باكبر شوارع العاصمة ، والهتاف والتصفيق يشقان عنان السماء في كل مكان . فشكرت الله تكراراً على تلك النعمة وطلبت اليه من اعماق الفؤاد ان يعطيني القوة لمجابهة الاحداث المقبلة .

ومن الدقيقة الاولى تجلّى امامي عظيم المسؤولية، ولم اشعر بنشوة الظفر بقدر ما شعرت بالتبعات الجسام الملقاة على عاتقي، شأني في جميع الظروف السارة .

وكنت قد دعوتُ النواب الى مأدبة غداء في مصيفنا بعاليه فوفدوا ودلائل الفرح بادية على وجوههم ، ووفد معهم نفر كبير من الاصدقاء وكبار الموظفين . وانبرى للخطابة بفصاحته المعروفة اميل لحود مهنئاً ، فأجبته . وقد لحظ الجميع في جوابي مسحةً من الهدوء والزهد ، وأذكر مما قلته إنني من ساعة انتخابي لم اعد رئيساً للكتلة الدستورية بل رئيساً لجميع اللبنانيين ، مترفعاً عن الحزبيات . وحمدتُ الله على نعمته وشكرتُ الاصدقاء كافة على تأييدهم، ودعوت جميع اللبنانيين الى توحيد الصفوف والسير قدماً في طريق الاستقلال والكرامة والعزة الوطنية .

لم اعرف راحة طوال ذلك النهار . وصادف ان الصليب الاحمر الفرنسي اللبناني كان يقيم في المساء عينه حفلته الخيرية السنوية برعاية السيد هلّلو المندوب العام في فندق صوفر، فأوفد هذا اليّ موظفاً كبيراً يدعوني لحضورها، وأجبته معتذراً عن عدم الحضور . وبلغني انه لم يخفِ

(١) — انظر الى الملاحق

امتعاضه . وقد ادرك معنى الاعتذار ، ألا وهو اتخاذ خطة جديدة للرئاسة بان لا تقبل دعوة إلا برعايتها دون سواها .

رياض الصلح لرئاسة الوزارة :

في تلك الليلة عينها راجعني نواب كثيرون بشأن رئاسة الوزارة ، وابتدأت المداورات حولها منذ الساعة الاولى . وكنت قد صممت في نفسي ان اوليها رجلاً له مكانته في لبنان ولدى الدول العربية ، ووهبه الله ذكاءً نيراً وإقداماً نادراً ، عنيتُ رياض الصلح . وكنا قد اجتمعنا يوم الاحد في ١٩ من ايلول ، اي قبل انتخاب الرئاسة بيومين واتفقنا على ذلك ، وعلى أسس الميثاق الوطني ، وعلى معظم النقاط التي سوف تعلن في بيانه الوزاري ، وظلّت تلك الزيارة مكتومة كما كتمت نيتي تلك عن اقرب الناس الي – وهل يكتم حتى الفكر في هـذا البلد الضيق ؟ – وعلى الرغم من ذلك الكتمان فقد توقع رجال السياسة ان رياض الصلح مدعو حتماً لتأليف الوزارة .

خُصص صباح الاربعاء باستقبال رسمي في سراية البرج فلاطفتُ جميع المهنئين ، قلتُ لكلٍّ بمفرده عبارة تنم عن معرفتي السابقة به ، مع اني كنتُ مرهقاً تَعِباً . ووقف الى جانبي طوال الاستقبال سكرتير الدولة عبدالله بيهم ومعاونه توفيق لطف الله عواد . وتناولت طعام الغداء على مائدة عبدالله بيهم ، وقبل ان نجلس حول المائدة خلوت بصاحب الدعوة وقلت له انني ارغب في زيارة رؤساء الجمهورية السابقين قبل ان احلف اليمين الدستورية ، فبدت امارات التعجب على محياه وسأل : واميل اده ايضاً ؟ فأجبته : واميل اده اولاً . فراح يفرك عينيه لا يعلم ما اذا كان في يقظة ام في منام . واتصل على الفور بالذين سأزورهم تباعاً ، وتقرر موعد زيارة ايوب ثابت واميل اده الموجودين في بيروت يوم الخميس صباحاً ، قبل جلسة اليمين ، على ان يزار ألفرد النقاش يوم الجمعة بعد الظهر في مصيفه بصوفر ، وبعد ان تمَّ هذا الترتيب تناولنا الطعام .

زيارة الرؤساء السابقين — حلف اليمين الدستورية :

عُينتْ جلسة حلف اليمين في المجلس في الساعة الحادية عشرة من صباح الخميس ٢٣ من ايلول ، فنزلت مبكراً الى بيروت وزرت الدكتور ايوب ثابت ، فبالغ باللطف وأخذ يحدثني عن ضرورة المحافظة على استقلال لبنان والحذر من التوغل في السياسة العربية ، وأن تعقد اتفاقات خاصة بيننا وبينها لتحاشي وضع معاهدة معها او اتفاق عام . الخ ...

وزرت الرئيس اميل اده في بيته ، وقد أحاط به اعضاء الكتلة الوطنية الذين غابوا عن جلسة الانتخاب ، وكانت المقابلة ودية بظاهرها ولائقة على كل حال . وبعد ان صافحتُ الجميع جلسنا نتبادل الحديث بصورة عامة ، ثم خلوت باميل اده في الصالة وشرحت له الغاية من زيارتي له وأهدافي الرامية الى توحيد الصفوف لتأمين الاستقلال ، ولم اكتمه استعدادي لان يلبي لبنان دعوة النحاس باشا للمشاورات التي أطلقوا عليها في ذلك الحين اسم « مشاورات الوحدة العربية » في القاهرة ، وحددتُ موقفي منها . وكانت اجوبة اميل اده مبهمة ومتحفظة ، فلم يشأ ان يعاكس صراحة ، ولم يشأ ان يظهر موافقته التامة لئلا تؤخذ حجة عليه في المستقبل . ووجه اسئلة تدل على التخوف ، فأجبته بكل لطف : « ان رأيي صريح وهو ان لا يبقى لبنان بعيداً عن الركب العربي وغريباً عن التكتل المزمع ، وإنَّ في ذلك ضماناً لاستقلاله » . وانتهزت هذه الفرصة لاعود الى الماضي القريب ، فأكدت له ان سفري الى القاهرة واجتماعي فيها بالنحاس باشا وجميل مردم في حزيران سنة ١٩٤٢ لم يكن لهما سوى غاية واحدة هي تأييد استقلال لبنان مع تعاونه الى ابعد حد مع الدول العربية . وودعته ورفقاءه ونزلتُ الى سراية البرج حوالي الساعة العاشرة .

واتفقنا على ان يرد اميل اده لي الزيارة في تلك السراية فما ان وصلتُ حتى قدم مع صحبه . وكنت قد أمرتُ قائد الدرك بتأدية التحية

العسكرية له في الباب الخارجي فأدّيت له بالمجيء والاياب . وذهب مع رفاقه تواً الى المجلس النيابي لحضور جلسة حلف اليمين الدستورية .

اما الرئيس النقاش فزرته في بيته يوم الجمعة مساء في ٢٤ من ايلول ولم تتعد الاحاديث المجاملات المعتادة والكلام في الشؤون العامة .

وانتقد كثيرون من اصدقائي تلك الزيارات التي قمت بها، ولكني لم أُقدم عليها الا ضناً بالمصلحة اللبنانية العليا .

كانت جلسة حلف اليمين بسيطة ومؤثرة جداً . وقد خرجت كلمات القسم الدستوري من فؤادي قبل لساني، وانصرفت بعد ذلك لتشكيل الوزارة .

الوزارة الاولى — اول خلاف مع الفرنسيين :

قمت بالاستشارات التقليدية وأخذ اسم رياض الصلح يتردد على الالسن، وقد يكون ذلك انسجاماً مع تفكيري، ثم خلوت برياض وعهدت اليه في التشكيل وطلبت منه ان يسعى لحكومة ائتلافية . فقام رياض باتصالات عديدة وقابل اميل اده واتفقا على ادخال وزيرين من الكتلة الوطنية . وسرنا على هذا الاساس واستمرت الاتصالات ما يقارب اليومين . وظهيرة يوم السبت ٢٥ من ايلول اجتمع رياض الصلح برفقائه الوزراء الخمسة حبيب ابو شهلا ومجيد ارسلان وسليم تقلا وكميل شمعون وعادل عسيران في مكتبي بالسراية، اما الوزيران الوطنيان اللذان وقع اختيارنا عليهما وهما جورج زوين وجبرائيل المر فمكثا في بيت اده . وبعد ان وقعنا على المراسيم اللازمة أبلغ رياض الرئيسَ اميل اده نبأ التوقيع على المراسيم وطلب اليه ان ينضم الوزيران الوطنيان الى زملائهما، فاستمهله قليلاً ثم اجابه معتذراً عن عدم قبول الائتلاف، ولم يدل بسبب ما ! وهكذا بقيت الوزارة سداسية، واستقبلت استقبالاً حاراً في بعض الاوساط، واستقبالاً حسناً في اوساط اخرى، واستقبالاً واجماً عند فئة

تغالي في حب الانتداب ، وغضبت السلطة الفرنسية التي لم تستشر في الامر مطلقاً . وقد أوفد اليّ الفرنسيون اكثر من رسول، يبدون تخوفهم من ان يعرض لهم رياض الصلح في بيانه الوزاري، فأكدت لهم ان رياضاً رجل دولة فهو لا يسيء اليهم .

وأرادوا ان يتوغلوا وان يشيروا علينا بعقد معاهدة فرنسية — لبنانية بدلاً من الانتداب، فأجبتهم ان مصلحتهم تقضي عليهم بعدم التمسك بثوب الانتداب البالي ولا بأهداب معاهدة مستحيلة الوقوع في هذه الظروف العالمية .

وكان ذلك اول خلاف في وجهات النظر بيننا وبينهم . أعاد المسيو هلّلو علي الكرة اثناء الوليمة التي أقامها لي وللوزراء في قصر الصنوبر على أثر انتخابي، وكذلك اعيد هذا الحديث في الوليمة التي اقمتها له بالمقابلة . وظل المسيو هللو يزعم ان الانتداب قائم شرعاً، ولا يجوز الغاؤه بصورة منفردة من قبلنا إلا بعد التوقيع على معاهدة مع الفرنسيين تضمن لهم مركزاً ممتازاً، متذرعاً بتبادل الرسالتين بين الجنرال دي غول والسر اوليفر ليتلتون، وباعلان الاستقلال الذي اذاعه الجنرال كاترو في ٨ من حزيران سنة ١٩٤١ عند دخول الجيش الانكليزي حدود لبنان[1] ترافقه فرق من جيش فرنسا الحرة، فأجبت المسيو هللو : « ان تلك المواثيق لا تسري علينا ولا تربطنا بشيء لانها صادرة عنكم وحدكم . » وكنا نصل الى هذا المأزق في الحديث ونقف عنده، ثم نحوله الى موضوع آخر وكل منا حذر من عواقب الاصطدام المرتقب، وقد ظهرت بوادره منذ الساعة الاولى .

الاتفاق اللبناني — السوري على المصالح المشتركة :

بادرنا فوراً الى فتح باب المفاوضات مع الحكومة السورية للاتفاق على ادارة المصالح المشتركة، باعتبار ان الوحدة الجمركية قائمة بين البلدين .

(١) — راجع : الجزء الاول، ص ٢٤٠

وتوالت المباحثات في شتورا ونجحت نجاحاً تاماً، ووقّعت الحكومتان على اتفاق بهذا الشأن في اول تشرين الاول، سيأتي ذكره

البيان الوزاري — الثقة :

أخذ رياض يزورني غير مرة في اليوم الواحد لان احاديثنا في السراية كان يقطعها علينا الوزراء والنواب او بعض الزوار، ومعظمهم يطلب مقابلتنا معاً، ورياض في حركة دائمة . فصرنا نخلو في عاليه ونعرض الحوادث ونُعِدّ عدّتنا لتتقدم الوزارة الى المجلس النيابي بأقرب وقت مسلحة ببرنامج واسع الاطراف، يجمع شتات المواضيع، ويسجل تصميم الحكومة على تحقيق الاستقلال وانهاء الانتداب وترسيخ الحياة الاستقلالية برضى المسيحيين والمحمديين، وعلى اعلاننا الميثاق الوطني اساساً وركناً للعهد الجديد . وما الميثاق الوطني سوى اتفاق العنصرين اللذين يتألف منهما الوطن اللبناني على انصهار نزعاتهما في عقيدة واحدة : استقلال لبنان التام الناجز دون الالتجاء الى حماية من الغرب، ولا الى وحدة او اتحاد مع الشرق .

واتفقنا على طريقة إعداد البيان، بعد أن رسمنا خطوطه كلها، على ان اترك لرياض الوقت الكافي لكتابته، ثم يعرضه علي لابداء ملاحظاتي عليه وسكبه بقالبه النهائي، فكان أن اتفقنا على كل كلمة فيه .

كانت جلسة ٧ من تشرين الاول جلسة تاريخية حقاً، ولم تكن الوحيدة من نوعها في عهدنا الجديد . فجاء البيان رائعاً وقد وردت فيه مقاطع من حقها ان تكتب بماء الذهب، واهم ما استرعى الانتباه فيه ما قيل بشأن تعديل الدستور :

« ... بحيث يصبح ملائماً كل الملاءمة لمعنى الاستقلال الصحيح، فان حضراتكم تعلمون ان في الدستور اللبناني مواد لا يتفق وجودها وقيام

الاستقلال، وفيها مـا يجعل لغير الشعب اللبناني وممثليه الشرعيين مشاورة في تسيير شؤونه، وستعمد الحكومة حالاً فتطلب الى مجلسكم الكريم ان يجري في الدستور التعديلات التي تجرده من هذه القيود، فيصبح دستور دولة مستقلة تمام الاستقلال . »

وسعى بعض النواب الى إرجاء المناقشة فرفضت الحكومة بلسان رئيسها رفضاً باتـاً . وتعاقب الخطباء على المنبر . وقد ورد في كلمة لكمال جنبلاط ما يأتي :

« ... ومضت الايام واوشكت هذه الحرب الجهنمية ان تنقضي، وها نحن نجابه أحداثاً جديدة ومنها استقلال هـذه البلاد وضمانة الدول لهذا الاستقلال . انتم لا تدرون تماماً (كذا) اهمية هذا الوضع من وجهة الحقوق الاساسية والدولية، فانه لاول مرة في تاريخ لبنان يعترف اهل لبنان الكبير بلسان مسلمه ومسيحيّه ودرزيّه وشيعيّه الخ ... »

ونالت الوزارة الثقة بالاجماع، وامتنع ألفرد النقاش وحـده عن الاقتراع . وشعر الفرنسيون بعد تلك النتيجة ان تفاهم الرئيسين لم يُبقِ لهم ثغرة ينفذون منها، وان الماضي قد طوي، وانهم مقبلون على شؤون جدية . وما صدّقوا ان لبنان دفع الى الامام بمثل تلك العزيمة .

وتَجهّم الجو بين الفرنسيين والحكومة الوطنية

وبينما المجلس يتابع اعماله المألوفة في الدورة الاستثنائية والدورة العادية التي عقبتها في ١٩ من تشرين الاول ١٩٤٣ كان هَمُّ الرئاسة وهم الحكومة وهمُّ المفوضية الفرنسية منحصراً بالموقف الدستوري وبالنضال القائم حوله .

الاجتماع مع جميل مردم بك وهللو في شتورا :

وابتدأنا نُعدُّ عدتنا لتقديم مشروع تعديل الدستور . وأخذنا نطالب بتسلّم المصالح المشتركة التي تسيطر «المندوبية» عليها سيطرة تامة، وكلما

طلبنا منها التنزل عنها أبت ذلك متذرعة بموجباتها الدولية، وبعد الاخذ والرد لانت وسلّمتنا مصالح تافهة الشأن، كمصلحة البارود ومصلحة جوازات السفر .

وأيقنت المندوبية هذه المرة ان المطالبة ستكون اعنف، واننا لن نقنع بالشيء اليسير، فأهابت هذه الظروف كلها بالمسيو هلّلو ان يشخص بنفسه الى مدينة الجزائر ليستشير الجنرال دي غول في تلك المواضيع كلها ويتفق معه على التدابير الخطيرة التي يجب أخذها لوضع حد « للثورة اللبنانية الطائشة » .

طلب المسيو هلّلو مني ومن رياض ان نجتمع معه بحضور جميل مردم لتبادل الاراء في تسلّم الصلاحيات، ووقع الاختيار على شتورا مكاناً للاجتماع، فدعوناه الى تناول الشاي في فندق مسابكي ودعونا جميل مردم وكان ذلك في النصف الثاني من تشرين الاول .

وفي ذلك الاجتماع بسطنا الوضع الجديد وأمانيه كلها، وكانت مطالبتنا لطيفة وشديدة في آن واحد . وبدا المسيو هللو مرتبكاً لا يحير جواباً، ولم نكتمه تصميمنا على تعديل الدستور، فطلب ان نمهله بضعة ايام ريثما يسافر الى الجزائر لاستشارة رئيس الحكومة الفرنسية بمختلف مطالبنا ويأتينا بالجواب بأقرب ما يمكن . فلم نعده بشيء، وطلبنا ان نصدر بلاغاً مشتركاً بما يتعلق بتسلم المصالح المشتركة فاعتذر مرجئاً ذلك الى بعد عودته . ثم ودّعنا غير مرتاح الينا، ونحن غير مرتاحين الى أجوبته وآرائه .

تأزم الخلاف :

سافر المسيو هلّلو الى الجزائر وبقي أمر تعديل الدستور كالنار تحت الرماد، وقلق الفرنسيين يزداد يوماً بعد يوم، ونحن نتريّث ما امكن على أمل ان يقتنعوا بوجهة نظرنا فخاب ظننا، اذ ان المفوضية أخذت

المبادرة في الموضوع لعلها تقطع علينا طريق التعديل بصورة قانونية، ولم تنتظر عودة المسيو هلّلو بل كتبتْ إليَّ كتاباً تعلمنا فيه ان تعديل الدستور غير جائز بنظرها إلا بعد اتفاقٍ ثنائي بين الحكومة الفرنسية وبيننا، وانه يجب مفاوضتها للوصول الى صيغة جديدة تقبل بها . ومعنى ذلك انها تريد معاهدة تقوم مقام الانتداب .

تلوت الكتاب اولاً وثانياً، وكدت لا أصدق عينيّ ما تلتا، فدعوت رئيس الوزارة ودفعته اليه . ونظر احدنا الى الآخر نظرة من يقول : بلغت الامور حدها ولم يعد للتأخر مبرر، اذ ان المفوضية أخذت المبادرة قبل عودة المسيو هلّلو، خلافاً لما تفاهمنا عليه في اجتماع شتوره . فوضعتُ جواباً يبين وجهة نظرنا في الموضوع وأرسلته الى المفوضية حالاً، وبعد تبادل الرسالتين المذكورتين في اوائل تشرين الثاني لم يعد من بد لتقديم مشروع التعديل فاستعجلنا إعداده .

وفيما انا ادرس في مكتبي بسراية البرج نصوص التعديل لالغاء امتيازات الانتداب المكرسة في بعض بنود الدستور، ولتنقيح هذا الدستور تنقيحاً تاماً، فوجئت بطلب من بعض الصحافيين ليقابلوني على عجل، فاستقبلتهم ووجدتهم في حالة عصبية ظاهرة، وقد أفضوا اليّ بان قلم المطبوعات الفرنسي دعاهم ودفع اليهم بياناً تُنكر فيه لجنة التحرر الوطني الفرنسية على الحكومة اللبنانية حقّها في تعديل الدستور . فأحلتهم الى رئيس الوزارة . وعلى أثر انصرافهم وصل المسيو دافيد المندوب الفرنسي لدى الحكومة اللبنانية وأطلعني تكراراً على رأي حكومته في الامر، وهمّ بأن يدفع الي بيان المندوبية الفرنسية فأجبته ان لا حاجة الى ذلك لانني اطلعت عليه من الصحافيين اللبنانيين الذين دعوا الى قلم المطبوعات الفرنسي خلافاً لكل عرف سياسي ودبلوماسي . ثم افهمتُ المسيو دافيد اننا ماضون في عملنا، ولا شيء يصرفنا عنه باذن الله . وطلبت منه ان يذهب الى رئيس الوزارة .

غادر المسيو دافيد مكتبي ممتقع اللون مرتجف اليدين، ولم تُسفر مقابلته لرئيس الوزارة عن شيء سوى إبلاغه ما عرفه مني . وما ان ترك سراية البرج حتى دعوت مجلس الوزراء ورئيس المجلس النيابي الى الاجتماع حوالي الساعة الواحدة، فأقررنا مشروع التعديل بالاجماع وأحلناه على الفور الى المجلس النيابي، وأصدرنا بلاغاً يرد على بلاغ الفرنسيين . جرى ذلك كله يوم الجمعة في ٥ من تشرين الثاني .

بلاغ وبلاغ :

اما البلاغ الذي سلمه الفرنسيون الى الصحافة ولم اقبل ان أتسلّمه فهذا نصه :

«لجنة التحرر الوطني الفرنسية قد كلفت المندوبية العامة إذاعة البلاغ التالي: درست لجنة التحرر الوطني الفرنسية معرفة ما اذا كان يصح ان تنفرد الحكومة اللبنانية ومجلس النواب اللبناني في تعديل الدستور اللبناني . وبما انه ليس من الممكن تحوير نصوص ناجمة عن موجبات دولية تعهدت بها فرنسا، وهي لا تزال نافذة، الا بموافقة ممثل فرنسا، فقد توصلت لجنة التحرر الوطني الفرنسية الى الاستنتاج بان السلطات الفرنسية لا يمكنها الاعتراف بصحة اي تعديل يجري بدون هذه الموافقة . ان لجنة التحرر الوطني الفرنسية رأت من واجبها ان تعلن منذ الآن قرارها هذا . وتود في الوقت نفسه ان تشير الى ان هذا القرار ليس إلا تطبيق قاعدة حقوقية عامة، فان احترام العقود هو اساس استقلال الدول واساس حريتها . وعليه فان لجنة التحرر الوطني الفرنسية لا تشك مطلقاً في ان الامة اللبنانية تعترف بصواب هذا التصريح، وتفقه انه في الواقع لا يتنافى في شيء مع عزم فرنسا على منح لبنان استقلاله التام عن طريق مفاوضات تجري بين الفريقين، بروح تعاون مخلص ودي يجب ان يسود كما في الماضي العلاقات الخاصة التي تجمع بين لبنان وفرنسا .»

وهذا نص بلاغنا :

«اجتمع مجلس الوزراء الساعة الواحدة من يوم الجمعة الواقع في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ واطلع على البلاغ الذي اصدرته المندوبية العامة ووزعته على الصحف في ذات الوقت الذي كان فيه السيد دافيد يطلع دولة رئيس الوزراء على نصه ويقدم له صورة عنه

«ولما كان مجلس الوزراء يعتبر ان تعديل الدستور حق من حقوق السلطات الدستورية للبنان، وفقاً لاحكام المادة ٧٦ ومـــا يليها من الدستور، فقد قدمت الحكومة الآن الى المجلس النيابي مشروع تعديل الدستور في بعض مواده التي تتعارض مع استقلال لبنان التام المعترف به، مما كان باشر مجلس الوزراء درسه عملاً بالبيان الوزاري وتأميناً لتنفيذ الاستقلال بصورة عملية .»

وسعى رئيس المجلس النيابي لان يجمع النواب في اليوم الثاني فتعذر عليه الامر بسبب غياب معظمهم في مناطقهم، فاستعجلهم للحضور يوم الاثنين (٨ من ت ٢) لان المسألة اصبحت مسألة ساعات، بل دقائق .

مصادفة غريبة :

اتفق ان الرئيس اميل اده طلب مقابلتي في ذلك اليوم عينه فعيّنت له الموعد بعد الظهر، واستقبله في المدخل موسى مبارك مدير الغرفة وأُديت له التحية العسكرية، فقال لموسى : يظهر انه حدث شيء جديد هذا الصباح . فأجابه : ان الرئيس سيطلعك على كل ما حصل . ولما دخل دفعتُ اليه البلاغ الفرنسي فقرأه بكل تمعن، كأن لم يكن له سابق علم به، وأعاده اليَّ قائلاً : انه محرر بلغة بليغة . فدفعت اليه بلاغنا وقلت له : انه محرر بلغة ابلغ ! فضحكنا، وكلٌّ يعني أمراً يُضحكه .

واطلع على جوابنا وقال لي : حسناً فعلتم . وتبادلنا احاديث المجاملة العادية وودّعني وانصرف . وكان ذلك آخر عهدي به .

وأخذتُ افكر بتلك الصدفة الغريبة

شعرنا جميعنا بتجهّم الجو للمرة الثانية فكأنّ الغيوم تلبدت دفعة واحدة في السماء منذرة بقرب العاصفة

جلسة تعديل الدستور :

وما بزغ فجر الاثنين حتى كان بعض النواب المعارضين مجتمعين مع المسيو غوتيه مدير الامن العام الفرنسي في مكتب اميل اده يتباحثون لتعطيل نصاب الجلسة، وبلغ من غوتيه انه أراد ان يمنعهم من مغادرة المكتب عند الظهر، مبشراً اياهم بانقلاب الحال ومنذراً المترددين منهم بسوء المصير والعاقبة . وفي ذلك الوقت عينه جاء المسيو دافيد المندوب الفرنسي يقابلني ويطلب إلي باسم المسيو هلّلو – الذي وصل الى القاهرة واتصل به تلفونياً – إرجاء الجلسة ولو اربعاً وعشرين ساعة ليتمكن المندوب العام من الوصول الى بيروت حاملاً، على زعمه، عروضاً مقبولة واسعة من الجنرال دي غول . وكان الوقت قد قارب الظهر فوعدته بمشاورة الحكومة وبإعطائه الجواب في البيت في الساعة الثانية بعد الظهر . وكانت الجلسة معينة في الساعة الثالثة . فوصل في الموعد واستقبلته بحضور رئيس الوزارة رياض الصلح وقلنا له : انه لا يمكن إرجاء الجلسة دقيقة واحدة . فاغتاظ وكظم غيظه وبدا على وجهه الاصفرار، وتخلّى عن الصفة الرسمية ليبدي لنا رأيه بعاطفة الصداقة، خائفاً من سوء العاقبة على علائق فرنسا ولبنان، مستنجداً بالماضي والحاضر، فلم تُجدِه فصاحة لسانه فتيلاً .

وتَمّت الجلسة في ساعتها المعينة وجرى ما جرى فيها . واقترح اميل اده وجورج عقل إحالة مشروع التعديل الى لجنة خاصة لتمحيصه فرفضت الحكومة الاقتراح وجاراها المجلس، فانسحب اميل اده من الجلسة قبل المناقشة بصلب الموضوع وأقر المجلس المشروع بالاجماع [1]

(١) – محضر جلسة مجلس النواب في ٨ من تشرين الثاني ١٩٤٣

عُدّل الدستور وتبلغت الحكومة القانون وحانت ساعة النشر، فطلب اليّ المندوب الفرنسي ملحاً ان أؤخر نشره ريثما يصل المسيو هلّلو فقلت: لا يمكن ذلك . ثم وقّعت على القانون فوراً ونشر في عدد خاص من الجريدة الرسمية وأصبح معمولاً به ابتداء من يوم الثلاثاء في ٩ من تشرين الثاني سنة ١٩٤٣، وانقطعت كل مخابرة مع الفرنسيين مباشرة او بالواسطة. وفي ساعة متأخرة من ليل الثلاثاء الاربعاء عرفنا ان المسيو هللو وصل من القاهرة واجتمع الى اعوانه، واختلى مدة طويلة بالمسيو غوتيه مدير الامن العام . وقيل ان هذا الاخير اتصل ليلاً باميل اده ودعاه الى المندوبية ليقابل المسيو هلّلو وهناك طبخت الطبخة الجانية .

وبينما كنا مجتمعين يوم الاربعاء صباحاً في مجلس الوزراء تلقّينا من المندوبية العامة مخابرة هاتفية بأنها ألغت دعوة الوزراء الى حفلة العرض العسكري بذكرى عيد الهدنة (في ١١ من تشرين الثاني) فأبلغتُها بدَوري انني لن احضر الحفلة ولن تشترك فيها الفرقة العسكرية اللبنانية .

ملك يوغوسلافيا في لبنان :

في ذلك اليوم وصل ملك يوغوسلافيا [1] الى بيروت ونزل ضيفاً على المسيو هلّلو . وطلب هذا مني ان استقبل الملك بعد الظهر على ان أرد له الزيارة في قصر الصنوبر في المساء . وفي الساعة الرابعة وصل الى قصر الرئاسة جلالة الملك مع حاشيته وبعض الضباط الفرنسيين المرافقين له فاستُقبل بكل حفاوة بحضور رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية وأخذتْ تحيتَه فرقة كاملة من الدرك لا يقل عددها عن مائتين وخمسين دركياً .

(١) – بطرس الثاني، هرب من بلاده سنة ١٩٤١ على أثر احتلال جيوش هتلر لها

راشيّا

وفي الساعة السادسة ذهبتُ ومعي رياض الصلح وسليم تقلا الى قصر الصنوبر وزرنا الملك فوجدناه محاطاً بحاشيته وببعض المرافقين العسكريين الفرنسيين . وأدت لنا التحية في رتاج القصر شرذمة قليلة من العساكر السود، بداعي ان المراسيم العسكرية لا تؤدّى بعد غياب الشمس . وبدا الوجوم مخيماً على القصر وعلى الضباط الفرنسيين الذين استقبلونا وانتحوا جانباً من القاعة الكبرى مع مرافقينا العسكريين بينما أخذنا نتحادث مع الملك .

ورجعنا الى البيت في الساعة السابعة . وانضم الينا بعض الوزراء والقائدان سليمان نوفل وفوزي طرابلسي . وأخذنا نتشاور في ما اذا كنا ننزل ليلاً الى السراية وحولنا الدركيون الذين استقدموا لتحية الملك او اننا نبقى في البيت محاطين بهذه القوة، وتوكلنا على الله مسلمين الامور لارادته ومكثنا في البيت مع حرسنا، وهم ستة دركيين، واستأذن منا سليم تقلا ليلبي دعوة الجنرال سبيرس الى العشاء على شرف الملك بحضور المسيو هللو . وانتظرنا عودته ليأتينا بالاخبار الاخيرة .

في الساعة الحادية عشرة ليلاً رجع سليم الينا وأخبرنا عن لسان الجنرال سبيرس ان الجنرال اختلى بالمسيو هلْلو بعد العشاء، وان هللو اكد له مقسماً بشرفه انه لن يأخذ اي تدبير زجري او ما من شأنه ان يعكر الامن . وافترقنا وخلوت الى مكتبي وراجعت بعض الاوراق، منها صورة احتجاج من وزير العراق المفوض عميد الهيأة السياسية أرسله للمندوب الفرنسي معلناً اياه انه وزملاءه سيمتنعون عن حضور العرض العسكري لعدم تمثيل الحكومة اللبنانية فيه[١]، وتركتُ اوراقي كلها على مكتبي ونمت ملء جفوني بعد تلك الساعات المضنية .

---

(١) — راجع ملحق الوثائق

ليل ١٠/١١ من تشرين الثاني :

حوالي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل استيقظتُ وقرينتي في آن واحد على ضجة قوية في الدار الداخلية امام غرفة المنامة، واعتقدنا ان الخدم تأخروا في السهر او انهم استيقظوا باكراً لتنظيف البيت . قمت وفتحتُ الباب لارى ماذا يجري فوقعت عيناي على جنود بحريين فرنسيين مسلحين بالبنادق وبرؤوسها الحراب، وبعض جنود سود مسلحين على الشكل عينه، وصاحوا بي قائلين : أُخرج ! اخرج عاجلاً ! فأقفلت الباب بالمفتاح ظناً مني للوهلة الاولى ان هؤلاء الجنود قد سكروا ليلة عيد الهدنة وعلموا بالخلاف القائم بيني وبين المندوب الفرنسي فأرادوا اغتيالي . وفتحتُ النافذة انادي على الجيران لينبّهوا البوليس منعاً للاغتيال فلم اسمع جواباً . وبدا لي الجو كأن الموت قد خيّم على جوانب البيت .

ودامت تلك الحالة دقيقتين او ثلاثاً، واذا الباب الجنبي من الغرفة يُفتح علينا ويدخل ولدي ميشال ومعه ضابط برتبة كابتان لا أعرفه، يحمل مسدساً ورشاشاً صغيراً وقال بتهذيب وخشونة : لا نقصد بكم شراً غير انني حامل أمراً من المندوب السامي بتوقيفك .

فقلت : اني رئيس جمهورية مستقلة ولا صفة للمندوب السامي ان يخاطبني .

قال : سأتلو عليك الامر .

وتلا عبارات مطبوعة على الآلة الكاتبة يُفهَم منها الامر بتوقيفي بسبب موآمرة على الانتداب القائم !

طلبتُ ان يسلّمني الامر فرفض، وقال : أمامك عشر دقائق حتى ترتدي ثيابك . فقلت : لا حاجة لارتداء الثياب في مثل هذه الحالة، وخُذني كما انا . قال : كل مقاومة عَبَث، والافضل ان ترتدي ثيابك بلا مجادلة .

ونادى بعض رجاله ولم اكن لأعرف واحداً منهم فدخل علينا ثلاثة اشخاص مسلحين « حتى الاسنان » كما يقولون بالفرنسية، وهم لبنانيون، وأحاطوا بي . فطلبتْ قرينتي إليّ ان ارتدي ثيابي . وأخذ ولدي ميشال يأتيني بها من الغرفة المجاورة وكلما خرج ورجع رافقه رجل مسلح حتى انتهى اللبس، وارتديت فوق ثيابي اول معطف وقع تحت يدي . وودّعتُ قرينتي وولدي وألقيت نظرة على غرفـــة ابنتي هوغيت ورأيتها مظلمة فآثرتُ ألاّ اوقظها، وكنت اجهل ان سريرها محاط بالجنود السود وهم شاهرو السلاح، وانهم ايقظوها من نومهـــا الهانىء ومزقوا « ناموسيتها » بحرابهم .

وفتشت عيناي عن ابني خليل فلم اجده في الدار، بل وجدت الدار قد امتلأت بالجنود ومأموري الامن العام المسلحين . وما ان نزلت السلم الخارجي حتى سمعت خليلاً يناديني من غرفة الحرس، وتلفتُّ فألفيتُها فارغة من الدرك اللبناني، وخليل فيها محاط بجنود بحريين من الفرنسيين مسلحين، فخرج بمعطف النوم وقبّلني مودّعاً والبحريون يوسعونه شتماً .

ووصلت الى طريق القنطاري الخالية الخاوية، وخلفي الضابط الذي بلّغني امر التوقيف ومعه مأموران من الامن العام مسلحان، ووجدت وانا

في الباب الخارجي جندياً فرنسياً في «قاووش» الحرس اللبناني، ولم اجد احداً من هذا الحرس . ووقفنا برهة على الرصيف المقابل لبيت اخي فؤاد، وبصفرة خفيفة تقدّمتْ منا سيارةٌ كانت واقفة مطفأة الانوار في الطريق الواقع شرقي بيتنا، امام المدخل الخاص، فدعاني الضابط اليها وجلس عن شمالي، وجلس قرب السائق مأمور من الامن العام وجميعهم شاكو السلاح، ومشت السيارة باتجاه مدرسة الصنائع ثم مالت الى طريق الشام وانا صامت افكر بهذا الامر الفظيع، وكأنني في منام لا في يقظة . وطوال الطريق لم يفه الضابط المرافق الا بعبارة واحدة هي : «لا اذهب بكم الى بعيد، ستكونون في قلعة راشيّا الى صدور امر آخر» . فلم أُجب .

صعدت بنا السيارة الى عاليه وبحمدون، والطريق خالية، والبرد قارس، وقبل محطة بحمدون رأيت سيارة امامنا فسبقناها، ثم خفّفنا السير فسبقتنا، بينما انوار السيارتين تضاء تارة وتطفأ اخرى، كأنها علامات رمزية بين السائقين . وابتدأ الصبح ينبلج بين شتورا ومفرق راشيا فتبينتُ في المقعد الخلفي من السيارة السائرة امامنا طربوشاً عرفت به طربوش رياض الصلح، وكان رياض محاطاً برجلين .

ووقفت السيارة الاولى في السهل قبل راشيا، ووقفنا وراءها على بعد مئتي متر تقريباً، ورأيت رياضاً يترجّل وقد لحق به الرجلان، وبعد هنيهة مشينا واذا وراءنا سيارتان لم اعرف مَن فيهما . في الساعة السادسة صباحاً وقف الرتل امام قلعة راشيا ودخلت ورياضاً، والتفتُّ الى ورائي فشاهدت سليم تقلا وكميل شمعون يتبعاننا . وفي الباحة الداخلية وُزعنا على الغرف المحيطة بالدار . ادخلوني غرفة عارية من كل رياش، الا من كرسي خشبي، فجلست عليه والباب مفتوح على الدار يحرسه واحد من رجال الامن العام . اشعلتُ سيكارة وأُحضرتْ لي «طاسة تنك» فيها شاي . تطلعتُ نحو الدار ورأيت رياضاً وسليماً وكميلاً يتمشون فيها فخرجت اليهم، وما ان تبادلنا التحية حتى برز

ضابط فرنسي وانتهر الحراس، وامرهم ان يفرّقونا وأن يدخل كل منا الى غرفته ففعلنا . لم تنقض دقائق حتى دخل ضابط القلعة الى غرفتي وقال بكل تهذيب : «اذا شاء سيدي فليتفضل الى غرفة معاوني لانها تريحه اكثر من هذه الغرفة . » شكرته ودخلت الغرفة الشرقية القبلية ولقيت ارضها مغطاة ببساط، وفي احد جوانبها سرير يقابله مقعد وكرسي كبير، وعلى الحائط بعض الصور الزيتية، ثم أُقفل علي الباب وكانت الساعة الثامنة تقريباً .

«الاقتداء بالمسيح» :

اخرجت من جيبي كتاب «الاقتداء بالمسيح» وبدأت اصلي صلاة الصبح وما ان تلوت بعض الفقرات حتى أخذ يدخل عليّ بعض جنود القلعة من اللبنانيين فيقبلون يدي، او كتفي، ويُظهرون أسفهم، معلنين استعدادهم لخدمتي . ورآهم رئيس الحرس الفرنسي من ثقب الباب يفعلون ذلك في تكريم رئيس بلادهم فنقلهم جميعاً الى الخارج وأقام على بابي حارساً سنغالياً ببندقيته وحربته . انقضى النهار بين التفكير والصلاة والتضرع الى الله ان يخلص لبنان من الانتداب والاستعمار، وان يقبلني فداء عنه بالوظيفة وبالحياة .

في المساء خرجت الى الحمام، في جوار غرفتي والتقيتُ رياض الصلح فقال لي : «لا تتأثر، كنتَ دائماً رئيساً في لبنان اما اليوم فأصبحت زعيماً له . » وأجبته : «انني غير متأثر، وكله للخير ان شاء الله . » وسمعنا الحراس نتبادل هاتين الجملتين فلم أعد أرى رياضاً في الدار الداخلية، وعرفت بعدها انه أُكره على استعمال الحمام الخارجي منعاً له من محادثتي .

ويأتيك بالاخبار من لم تزود :

لم تحن الساعة الثامنة مساء حتى غلب علي النعاس، واستلقيت بثوبي على السرير ولم يكن معي «بيجاما»، فالذين اعتقلوني لم يتركوا لي الوقت

لاجلب ثياباً، وبعد مدة استيقظت وانا اظن اننا بلغنا الفجر فاذا الساعة العاشرة فقط . وقضيت الليل بين نوم ويقظة، والسكون مخيم على القلعة لا يسمع فيها إلا وطء اقدام الحراس وقد احاطوا بنا من كل جانب حتى على السطح . في الساعة الخامسة صباحاً خرجت من غرفتي لغسل وجهي ورجعت فجلست على المقعد، ووضعت حراماً على ركبتي اتطلع من النافذة التي تطل على جبال راشيا مفكراً بمصير لبنان .

ثم طلبت بعض كتب للقراءة فحملها اليّ الليوتنان لابلو ضابط القلعة، واستأذنني بالجلوس وقال انه خجول جداً مما جرى، وانه فوجيء بوصولنا وظن ان رئيس الجمهورية يرغب في زيارة القلعة، فأخذ يتأهب، ولكن سقطنا عليه موقوفين لا زائرين ! واضاف انــه مستعد ليقوم بواجب الحراسة بكل احترام حتى تنقشع الغيمة . فشكرته وصافحني . وقبل ان يخرج مسح دمعتين ترقرقتا من عينيه، وانتظر قليلاً كي لا يراه الحراس على تلك الحالة، فتأثرتُ وأخذت (يا لسخرية القدر) اطيّب خاطره ! وقبل ان يترك غرفتي قال ان اكل القلعة رديء جداً، وانه سمح لامرأة من راشيا بان تأتينا بالطعام الذي نرغب فيه على ان نؤدي النفقات .

بعد ظهر الخميس ١١ من تشرين الثاني وصل الى القلعة عبد الحميد كرامي وعادل عسيران وأُدخلا الغرفة التي وضع فيها سليم تقلا وكميل شمعون وصار عددنا ستة .

في الساعة الخامسة والنصف من يوم الجمعة أخذت اتمشى في غرفتي وسمعت صوت سيارة تصعد نحو القلعة، عرفت انهــا السيارة التي تأتي بمؤنة الطعام للضابط والحراس . وبعد قليل سمعت همساً في الدار فاستنصتُّ وسمعت احدهم يقول : « عبثاً حاولنا الابتياع من المدينة فبيروت مقفلة. لقد احرق الاهلون عربات للجيش في ساحة الشهداء، والحالة متأزمة جداً، وهي تتفاقم ساعة بعد ساعة » . فقلت في نفسي : الحمد لله، إن لبنان حي لا يموت . الله مع العهد !

ثم عرفتُ انه ما ان انتشر خبر الاعتقال في بيروت وأنحاء لبنان حتى خفّت الاهالي الى ساحات المدينة العمومية وشوارعها الرئيسية، وقلبت السيارات العسكرية ظهراً على عقب وأضرمت فيها النار، وقصدت قصر الرئاسة الوف وهي تتظاهر احتجاجاً على اعتقالنا، فأخذ العساكر السنغاليون، من ثكنةٍ في جوار القصر، يطلقون النار ارهاباً، وأصابت بعض الطلقات جدرانه، ولكن قرينتي لم تغادره وأصرّت على البقاء فيه تستقبل الجماهــير الغفيرة ووفود النقابات . وأقفلت متاجر المدينة احتجاجاً، وأقسم التجار ايماناً مغلظة انهم لا يموّنون الجيش الفرنسي، لا بكثير ولا بقليل، حتى يعود المعتقلون الى مناصبهم . وازدحمت الدار بوفود الهيئات النسائية الراقية . وفي المساء زارت السيدة سپيرس عقيلتي وقالت لها : « يخشى في هذا الحال على حياتك وحياة عائلتك من جهل جيرانك (السنغاليين) وليس بامكان جيشنا ان يرسل حرساً الى القصر، فمن الافضل ان تناموا ليلتكم هذه والتي تليها في المفوضية البريطانية . » وهكذا كان، وفي الصباح جاء الى المفوضية الانكليزية المطران مبارك وقابل قرينتي والوزير المفوض ثم خرج حاملاً لواء المعارضة، وزار عائلات المعتقلين . وكان الاهلون قد اقاموا حراسة على القصر طوال النهار والليل فتمكنت زوجتي من الرجوع اليه ثاني يوم الاعتقال وأخذت على عاتقها قيادة حركة التحرر .

في اليوم الثالث احتشدت جمهرة من الاهلين على سلم القصر فاطلقت عليها النار دورية من الدراجات الفرنسية وسقط بعض الجرحى، فأسعفوا داخــل الدار . وبقيت آثار دمائهم على بساط المدخل حتى شاهدناها عندما رجعنا من الاعتقال .

رياض يمشي، مكتب استخبارات :

بعد يومين وصلت اليّ ثيابي .

انقضت الايام التالية وانا منقطع عن كل خبر، مستسلم لكل تقدير

وتكهن، ولم اكن لادري ان رياض الصلح اسس منذ اليوم الاول «مكتب استخبارات» في غرفته . وقد استطاع ان يرسل اليّ وريقة تحمل بعض الاخبار : «تولى اميل اده الحكم . جاء الى السراية محروساً بحراب السنغاليين . الثورة مشتعلة في بيروت . موقف الجنرال سپيرس وسجن رئيس الكتائب وحماسة المطران مبارك للقضية . ثورة المؤتمر الوطني والهيئات الشعبية . تأليف حكومة في بشامون من حبيب ابو شهلا وصبري حماده ومجيد ارسلان . اجتماع المجلس النيابي خارج الندوة» .

ثم صار رئيس الحراس يحمل اليّ الطعام بنفسه ويطلعني على بعض الاخبار من «قلم الاستخبارات .»

الاربعاء ١٧ — رسول من كاترو :

وقفتُ الى نافذتي حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر أُشرف على راشيا وجوارها، واذا سيارة سوداء تبدو من الوادي وتصعد نحو البلدة ومنها الى القلعة . فتساءلت : من عساه يكون فيها ؟ وكأن شعوراً داخلياً انبأني ان فيها رسولاً الينا، وبعد نصف ساعة دُقّ بابي ودخل عليّ الزعيم سليمان نوفل وأدّى التحية العسكرية وانحنى بكل احترام على يدي وقال: «يا فخامة الرئيس اني آتٍ بمهمة فهل تسمح بتأديتها ؟ وقبل ذلك أريد ان اقول لفخامتك انني قبلت المحافظة على الامن من ساحة الشهداء الى مقركم في بيروت، ويشهد الله انني وجنودي لم نمس احداً بسوء، ولم تهرق نقطة دم بسببنا . »

فجلست وأجلسته، وقلت : سنرى ذلك كله في حينه فيما اذا يسّر الله لنا العودة . فأجاب : ان عودة فخامتكم مضمونة بحمد الله واليكم مهمتي :

«استقبلت الجنرال كاترو في المطار امس ودعاني لمقره، وقد رفض النزول ضيفاً على هلّلو، فمكثت لديه اكثر من ساعة شرحت له الحالة كما اراها وتراها البلاد . وقد كلفني بشرف المثول بين يديكم لاعود واخبره

فيما اذا كان عندكم مانع من الاجتماع به غداً الخميس، والارجح ان يكون هـذا في بلدة مجاورة لراشيا . والذي استنتجته من حديثه انه يحترم شخصكم، وان عودتكم لمنصبكم مضمونة ومتفق عليها، انما له بعض المطالب فيما يتعلق بالمجلس والوزارة . فقلت للزعيم نوفل : عند المقابلة نرى ما يكون . فرجا ان اكتب بخط يدي مـا يشير الى قبول المواجهة . فكتبتُ على ورقة صغيرة ما يلي : «وفقاً للرغبة التي ابداها الجنرال كاترو لا مانع عندي من مواجهته في المحل الذي يعينه يوم الخميس في ١٨ من تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ »

وبعد ان أتمّ الرسول مهمته تلك اخذ يطلعني على حالة البلاد عامة، وبيروت خاصة، ثم ودّع منصرفاً مؤدياً التحية العسكرية، فاخذت افكر في الامر، وصممت ان لا افصل قضيتي عن قضية المجلس والوزارة، بل جعلت لها في نفسي الاولوية على ذاتي، وقلت : «لكل حادث حديث، **فاما كلنا او لا شيء، وليقض الله امراً كان مفعولاً . »**

الخميس في ١٨ — تحت الحفظ الى بيروت :

انقضى نهار الخميس ولم تجر المقابلة المنتظرة . وسجا الليل وخيّم على القلعة سكون رهيب . لم يعد يسمع في الظلام سوى وقع قدمي الجندي الاسود المسلح الذي اقاموه حارساً في باب سجينهم، يقبض على مفتاحه فأضطر كلما دعتني الحاجة ان استأذنه، وذلك بقرع الباب من الداخل قرعاً خفيفاً خشية تخديش اذنيه، لئلا ينتفض انتفاضة قد تكون فتاكة . وخلوت الى نفسي والى ربي وتناولت كتاباً اخلقت صفحاته وجالسته وهو خير جليس، وما ان بدأت بالقراءة على ضوء ضئيل حتى فُتح بابي ودخل علي ثلاثة ضباط عرفت منهم القومندان جولان دي نوره رئيس غرفة الجنرال كاترو، والكابيتان بوتيون معاون مدير الامن العام الفرنسي، واما ثالثهما فعلمت فيما بعد انه الكابتان بلانشه المرافق الاول للجنرال .

حيوني التحية العسكرية وتقدم مني القومندان جولان قائلاً: «نحمل اليكم سلام الجنرال كاترو، وهو يعتذر عن اضطراره لدعوتكم الى بيروت.»
قلت: لا بأس.

وكان في جنب كل منهم مسدس من عيار ثقيل. اما بوتيون فكان يحمل الى جنب المسدس بندقية رشاشة من العيار الكبير!

ولبست معطفي وهممت بحمل «حرام» من صوف اتقاء للبرد القارس، فطلب الكابيتان ان يحمله عني فدفعته اليه شاكراً. وخرجنا الى الباحة المظلمة ومنها الى الساحة الخارجية حيث كانت تنتظرنا سيارة عادية. وقبل ان اركب فيها طلب اليّ القومندان جولان بمزيد اللطف ان اجلس في المقعد الامامي قرب السائق، بحجة انه مريح، ففعلت. وجلس الضباط الثلاثة في المقعد الخلفي. وما ان تحركت السيارة حتى رأيت مرافقيّ يحملون مسدساتهم في ايديهم على مستوى ركباتهم تحسباً للطوارىء، وقد يكون هاجسهم احتمال قفزي من السيارة وفراري، وانا لا افتدي بمال الدنيا فخر الاعتقال الذي رفعوني اليه!

اخذت السيارة تنهب الارض نهباً حتى وصلت بنا الى ساحة الشهداء قرب الساعة السابعة والنصف، فوجدناهـا خاليةً خاوية والانوار فيها ضئيلة كاننا رجعنا الى ايام تعتيم الحرب، ووقف على جانبَي الساحة والطرقات جنود فرنسيون بسلاحهم الكامل، وكلما اعترض جندي سيرنا وأشار اشارة الوقوف انتهره الكابيتان بوتيون صارخاً بلهجة الآمر الناهي: أمن عام، امن عام!

قُبَيل ساحة السور (عصور) ملنا الى شارع سوريا، غربي مدرسة اللعازاريين، واجتزناه كله وانحرفنا الى اليسار، ووقفت بنا السيارة امام بيت معروف باسم «بيت الدنا» سكنه فيما مضى المسيو لالوه المستشار الاستئنافي في القضاء اللبناني.

وما ان وطئت قدماي العتبة الخارجية حتى انيرت مصابيح كهربائية قوية، في الحديقة وعلى طول الممر المؤدي من الطريق الى البيت، ووقف على جانبَي الممر ستة رجال من طوال القامة مفتولي السواعد، تراءى لي انهم من المتطوعين الشراكسة باللباس المدني. وقادني رفقاء الطريق الى البهو، ومنه الى غرفة يكسوها الرياش الثمين، فيها سرير مغشى بغطاء من حرير، وخزانة كتب مجلدة تجليداً حسناً، وطلبوا اليّ ان اجلس على مقعد وثير بانتظار وصول الجنرال كاترو، معتذرين عن تأخيره الاضطراري في السراية الكبيرة.

وتناولت كتاباً وانا لا ادري، أفي يقظة انا ام في منام، حتى ظهر لي بباب الغرفة رجل طويل القامة عرفته انه المسيو غوتيه مدير الامن العام الفرنسي فحدق بي من بعيد دون القاء التحية، ومكث برهة ينظر إليّ متسائلاً: «اهذا بشاره الخوري، رئيس الجمهورية بالامس وسجيننا اليوم؟ أهذا هو الذي ظن نفسه حاكم بلد مستقل، فعدّل الدستور وحذف منه نِعم الانتداب ومزاياه؟»

اما انا فكانت مني نظرة الى الكتاب بيدي ونظرة الى الشبح الزائر، واذا هو قد توارى في الظلام.

الساجن والسجين:

وبعد لحظات دخل الجنرال كاترو وحيّاني بكل لياقة واحترام، واعتذر عن ازعاجي بزيارته في بيروت وعن تأخره الوجيز، ودعاني الى البهو الكبير وأجلسني على «دشك» عالٍ وجلس بجانبي، ثم قال:

— اسمح لي يا فخامة الرئيس قبل كل شيء ان اعبّر لك عن اسفي لما جرى، وعن سوء المعاملة التي لقيتها من المسيو هلْلو، ويسرني ان اخبرك ان المسيو هللو قد اقيل من وظيفته، وسيعود الى الجزائر في

الوقت المناسب . والآن اطلب منك ان تقصّ علي سلسلة الحوادث التي مرّت على لبنان منذ تركي اياه في الصيف الماضي .

قلت : تعلم يا حضرة الجنرال ان المسيو هلّلو قد تدخّل في الانتخاب، مخالفاً وعدك الذي قطعته لي في فندق الشقيف (بحمدون) بالمقابلة الاخيرة التي جرت بيننا . وبدا تدخله سافراً مفضوحاً قاصداً اقصاء العناصر الوطنية وانا في رأسها عن المجلس ولكنه لم يفلح . وانتخبت للرئاسة كما تعرف ودعوت رياض الصلح لرئاسة الوزارة، وكلانا يسعى الى خدمة بلاده لتحقيق امانيها بالاستقلال التام الناجز، وفقاً للتعهدات التي قطعت لنا من جانب الحلفاء، ووفقاً للبيان الذي اذعتموه حضرتكم بلسان لجنة التحرر الفرنسية يوم رجعتم الينا في صيف ١٩٤١ تقودون قوى فرنسا الحرة . وقد تضمن البيان الوزاري عهداً صريحاً بان تتقدم الحكومة الى المجلس النيابي في اقرب وقت بمشروع تعديل للدستور يجعله منسجماً مع مقتضيات ذلك الاستقلال ...

فقاطعني الجنرال كاترو سائلاً : وما الذي جعلكم تستعجلون الامور وتستبقون رجوع المسيو هللو من الجزائر وهو يحمل اليكم مقترحات جديرة بالقبول، وقد سبق له قبل سفره ان اجتمع اليكم والى رياض الصلح في شتورا واستمهلكم الى حين عودته فأمهلتموه على ما اعلم .

قلت : جرى ما تفضلتم به، انما أمران جعلانا نشك بحسن نية المسيو هلّلو : كتاب صدر منه، بعد سفره، ينكر علينا حق تعديل الدستور وحدنا بمعزل عن فرنسا، وقد اجبنا عليه في حينه ولم نحرك ساكناً . اما الامر الثاني فهو صدور بيان لجنة التحرر الفرنسية في الجزائر في ٥ من تشرين الثاني منكرة علينا، هي ايضاً، حق التعديل إنكاراً باتاً لا يقبل الجدل، وزاد في الموقف حرجاً ان المندوبية الفرنسية اذاعت البيان على الصحف قبل ان تبعث به الى الحكومة واليّ، خلافاً لكل عرف، مما اثبت لنا ان غايتكم هي وضع الحكومة اللبنانية امام الامر الواقع، وقطع

السبل عليها، وشل عملها الدستوري . وهذا هو السبب الذي استعجل تقديم مشروع التعديل الدستوري . ان بيان لجنة التحرر قلَب الامور ظهراً على عقب، وحلّنا من انتظار المسيو هللو .

قال الجنرال كاترو : اما وقد جرى ما جرى، افلا تظنون يا فخامة الرئيس ان سيطرة النفوذ البريطاني اوصلتنا الى المأزق، فدفعتكم بريطانيا الى هـــذا الموقف واعتنقت وجهة نظركم، وهي تمطرنا كل يوم انذارات سياسية وعسكرية لاعادة الاوضاع اللبنانية الى نصابها ؟ وها ان المستر كايزي وزير الدولة البريطاني المولج بشؤون الشرق قد حضر من القاهرة الى بيروت ليتولى تبليغي هذه الانذارات (١) .

قلت : لم تتدخل بريطانيا في طلب تعديل الدستور، ولا في اقرار هذا التعديل . فالعمل الذي قمنا به كان لبنانياً بحتاً، وضمن نطاق صلاحيتنا الدستورية، دون اي تشويق من الخارج . واذا كنتم حضرتكم تلمّحون الى ان رئيس الجمهورية وحكومته والمجلس يهدفون من وراء هذا كله الى اقصاء فرنسا واستبدال انتداب آخر بانتدابها، وبكلمة اصرح : انتداب انكليزي، فانتم على خطأ . نحن طلاب استقلال كامل، ولا نرضى بديلاً عنه، ولا انتقاصاً منه، على يد أية دولة .

قال الجنرال كاترو : افلا يعتبر ما قمتم به تنكراً للصداقة التقليدية بين بلدينا، وافتئاتاً على كرامة فرنسا، وهي التي لها ما لها من خدمات ونيات حسنة تجاه لبنان؟ قلت : وهذا ايضاً هو الخطأ بعينه يا حضرة الجنرال، فالصداقة الفرنسية ثمينة لدينا، ولسنا ممن ينكر الفضل، او ينسى الماضي، انما الصداقة شيء واستقلال البلاد شيء آخر ولا يتنافيان، وسيبرهن لكم المستقبل وللناس اجمع اننــــا حريصون على صداقاتنا، ومتمسكون بتقاليدنا العريقة . وفي رأيي ان نهاية الانتداب بعثٌ جديد للعلائق الحسنة بين البلدين .

(١) – جاء كايزي الى بيروت مرتين، الاولى في ١٢ والاخرى في ١٩ من تشرين الثاني

سكت الجنرال كاترو دقيقة، ثم قال: لنبحث الآن اموراً عملية. ان المهمة التي اوكلها اليّ الجنرال دي غول ولجنة التحرر تخوّلني حلّ الحالة الحاضرة حلاً حاسماً. لا انكر عليكم ان جميع اتصالاتي بالشخصيات التي اجتمعت اليها منذ وصولي الى لبنان، أثبتت لي اجماع الناس على تقديركم واحترامكم، وعلى طلب عودتكم الى الرئاسة باقرب ما يمكن. وهذا أمر مفروغ منه عندي. وقد ابلغت رأيي الى حكومة الجزائر. غير ان لي مطلبين من فخامة الرئيس: الاول يتعلق بالوزارة، فان حكومتي ترى انه من الضروري إقالتها تعويضاً من كرامتنا، والثاني يتعلق بالمجلس النيابي ونرى ايضاً وجوب حله وانتخاب سواه. فهل لكم ما يقال بهذا الشأن؟

قلت: يا حضرة الجنرال، اعلن بكل صراحة انه لا يسعني إجابة اي مطلب من المطلبين، ذلك انني رئيس دستوري. اضف الى هذا انني وافقت على كل سطر من سطور البيان الوزاري الذي نال رياض الصلح رئيس الوزارة ثقة المجلس النيابي على اساسه، والذي اقترحته على المجلس وفقاً لسلطتي الرئاسية المستمدة من بنود الدستور. والمجلس عينه اقر المشروع المقترح مني برضا الحكومة ومعرفتها، فكيف يكون بوسعي، والحالة ما ذكر، ان اقيل الوزارة او احل المجلس، وانا متضامن معها في جميع تلك التدابير؟ فخلاصة القول، ولن ازيد: إما ان نخرج جميعنا من قلعة راشيا كما أدخلناها وإمـــا ان أرجع الى الاعتقال مع رفقائي الى ان يمن الله علينا بالفرج!

اطرق الجنرال كاترو، وفكر ملياً قبل ان يستأنف الحديث ثم قال:

— أليس بامكان رياض الصلح رئيس الوزارة ان يوجه اليّ كتاباً يبين فيه ان ما قام به من الاعمال لا يستهدف الاساءة الى فرنسا، فيكون هذا الكتاب بمثابة تلطيف لنا، وهل يصعب ان تتخذوا فخامتكم تدبيراً بارجاء دورة المجلس النيابي اربعة اشهر يخف اثناءها التوتر القائم في علائق البلدين فتمكننا هذه الفترة من تدبير الامور؟

قلت: اما فيما يتعلق بالكتاب، فالرأي فيه لرئيس الوزارة نفسه. وفي نظري انه عمـــل غير مناسب، لانه يفترض اساءة لم تخطر على بال احد منا. اما فيما يتعلق بارجاء دورة المجلس فلا اكتمك ان الامر مستحيل، فالدستور يمنح رئيس الجمهورية حق إرجاء افتتاح الدورة العادية للمجلس شهراً واحداً والدورة مفتوحة اليوم، فلا يجوز لي دستورياً تأخيرها بصورة من الصور.

رجع الجنرال الى التفكير والتأمل، ينظر اليّ تارة والى الارض طوراً، ثم قال:

— هل يزعجكم ان تعلموا رياض الصلح رغبتي بالاجتماع به هنا غداً مساء، فأبحث معه قضية الكتاب المذكور وغيرها من الشؤون. وسأتخذ التدابير اللازمة لانتقاله من راشيا الى بيروت؟

قلت: لا يسعني ذلك لان «الاختلاط» ممنوع بيني وبين رياض الصلح وسائر المعتقلين. فأرجو ان توصل اليه الخبر بواسطة الضباط الذين رافقوني.

فبدت على وجهه علامات التأثر وقال بحدة: ممنوع «الاختلاط»! ممنوع «الاختلاط»! ما معنى هذا التدبير الاعتباطي؟ هل انتم مجرمون؟ انا لا اقبل بذلك وسأعطي الاوامر القاطعة بالسماح لكم بمقابلة بعضكم بعضاً، ابتداءً من صباح غد الى ان يصدر الامر بالافراج عنكم جميعاً.

وسكت لحظة ثم اردف: اظن ان الافراج سيقع حتماً يوم الاحد في ٢١ من تشرين الثاني ما لم يحدث ما ليس بالحسبان، وساقابل فخامتكم على اثر خروجكم من راشيا. ولا شك عندي في اننا سنصل الى تفاهم تام على جميع القضايا.

«كنت على عهدك مع نفسك وبلادك»:

طالت المقابلة ما يزيـــد على الساعتين والنصف، وها هي الساعة

تناهز العاشرة ليلاً، فوقفنا كلانا ايذاناً بانتهاء الحديث، وودّعني الجنرال بكل حرارة، مكرراً اعتذاره وتقديره لموقفي وتبسطي في جميع هذه الامور الشائكة بهدوء وصراحة دون اي تذمر او تبرم او شكوى .

اما انا فشكرت الله على انه اعانني على الانطلاق من نفسي، وكنت فيما قلت كطبيب يجسّ عليلاً لا كضحية تستحثّ الطبيب المداوي .

وقبل الانصراف فطن الجنرال الى انني لا أزال بدون عشاء ودعاني لتناول الطعام على مائدته، فاعتذرت، وألح، وقبلت ان آكل تفاحة بيضاء وانا واقف، فحملت اليّ عبير لبنان وحلاوته، وكفاني بها قوتاً ولذة .

رجعت الى راشيا بالمنهاج الذي غادرتها به، ووصلت الى القلعة في منتصف الليل . ولا ضوء فيهـــا الا المصباح الضئيل في حجرة رياض الصلح . الا اني لم اقابله الا في الصباح المبكر من اليوم الثاني اذ دعوته الى غرفتي وقصصت عليه ما جرى، فنظر فيّ ملياً وقال : كنتَ على عهدك مع نفسك، وعلى عهدك مع بلادك ورفقائك، بارك الله فيك !

ثم تعانقنا طويلاً .

في الساعة الخامسة مساءً دُعي رياض الى بيروت ونزل محاطاً بالحراس ورجع الى راشيا في ساعة متأخرة من الليل .

السبت ٢٠ — «سنكون جميعنا متفقين» :

الساعة السابعة صباحاً دخل عليّ رياض وأخبرني بما جرى بينه وبين كاترو وقال : ان الاجوبة التي سمعها الجنرال مني مطابقة لما سبق واتفقنا عليه . وقد عرض عليّ الجنرال مشروع كتاب التلطيف الذي يرى ان أبعث به اليه عند الافراج، وهذا هو ...

وأعطاني رياض ورقة، قرأتها واتفقت معه على ان لا موجب لكتابتها

الى الجنرال . وفي ظني ان تلك الورقة «المسوّدة» لا تزال في محفوظات رياض .

وعلى الأثر دعوت رفقاءنا المعتقلين واخذ كل منهم يقص خبر اعتقاله، فاختصرنا الحديث وقلنا : لدينا من المعلومات الرسمية ما هو اهم . ثم بسطنا لهم ما جرى، فاستقبلوا اخبارنا بملء السرور . وكنت قد اتفقت مع رياض على اخفاء موعد الافراج خشية ان يتأخر لظروف ليست بالحسبان فيعود بالرفاق الى الاضطراب، ولكن بعضهم الحوا علينا بمعرفة الموعد فقلنا لهم : ان شاء الله يوم الاحد، وقد يتأخر فلا تقلقوا .

وتوالت اجتماعاتنا طوال السبت الى قبيل انتهاء الليل، يقص بعضنا على بعض شؤون الساعة ونعقّب على أخبار بيروت والملحقات .

ولما طال اجتماعنا دعا الضابط بوتيون رياض الصلح الى خارج الغرفة وقال له : اعرف انـــك انت والرئيس متساهلان مع الجنرال كاترو، فأطلب منك ان تقنع رفقاءك الآخرين بالتساهل ايضاً . فقال له رياض : كن متأكداً اننا سنكون جميعنا متفقين، ونكون عند حسن ظنك بنا ...

الاحد في ٢١ — تأخر الافراج :

صدق ظني وتأخر الافراج عنا . القلعة هادئة وجميعنا بالانتظار . هوذا الكابتان بلانشه مرافق الجنرال كاترو يستأذن بالدخول وينبئني ان حل القضية قد تأخر، وان التأخير مهما طال فلا يتجاوز يومين او ثلاثة، وقدّم لي كتاباً من رئيسه بهذا المعنى وودّعني .

دعوت الرفقاء واطلعتهم على الكتاب، وكان رد الفعل مختلفاً فيهم باختلاف امزجتهم . انا ورياض رضينا بالامر وانتظرنا النتيجة بكل صبر لاننا توقعنا مثل هـــذا التأخير . ظللنا مجتمعين طوال النهار نتبادل الاحاديث .

ليلة ٢١/٢٢ ــ راديو الجزائر يذيع اخلاء سبيلنا :

خيم الليل على القلعة وخلا كلٌ منا الى مخدعه . حوالي الساعة التاسعة سمعنا ضجة في الدار الداخلية حيث نقطن، عقبها وقع اقدام وقرقعة في نقل اسرّة ومقاعد . جرس التلفون يرنّ كل خمس دقائق... بعد الجهد علمنا ان الكولونيل بواسو ومعاونين له هبطوا القلعة فجأة وطلبوا إعداد اسرّة للنوم، وبرفقتهم عساكر ظلوا خارج الدار في الباحات الملاصقة . حوالي الساعة الحادية عشرة رن جرس التلفون طويلاً فاصغينا : همسات لم نتفهمها تصل من بعيد . طالت المخابرة مدة غير يسيرة . سمعنا وقع اقدام من جديد . ثم خيم السكون . ذلك كله اشبه بعاصفة مفاجئة تهب ثم تشتد ثم تهمد، ويعود الجو الى صفائه بعد تعكيره .

ما ان القيت رأسي على الوسادة حتى دُق الباب ودخل معاون مدير السجن (الذي كنت قـد حللت في غرفته) فحياني التحية العسكرية واعتذر عن ازعاجي في تلك الساعة المتأخرة لان الخبر الذي يحمله اليّ مهم جداً . اصغيت اليه فقصّ عليّ انه سمع منذ دقيقة في راديو مدينة الجزائر ان لجنة التحرير الفرنسية قررت إطلاق رئيس الجمهورية اللبنانية وإعادته الى منصبه، وإخلاء سبيل المعتقلين الآخرين . فكرت مدة طويلة بتفسير هذا النبأ ثم قررت في نفسي : اذا ارادوا ان يفرّقوا بيني وبين رفقائي في المعاملة فلن اقبل، وعند عودتنا الى بيروت سنزيل باذن الله كل تفريق ارادوه .

الاثنين في ٢٢ ــ هل حاولوا الفتك بنا ؟

استيقظتُ باكراً وخرجت الى الدار . شاهدت معاون الضابط الذي جيء به خصيصاً للمحافظة علينا في اليومين الاخيرين لانه شرس الاخلاق، فوقف وقفة عسكرية . حيّاني لاول مرة برفع يده الى قبعته فشعرت اني لم اعد معتقلاً وإنْ وقف السنغالي بسلاحـــه في باب غرفتي .

ارتدى كل منا ثيابه وعقدنا اجتماعاً طويلاً . اخبرني رياض ان الكولونيل بواسو واعوانه وصلوا في الليل لنقلنا من القلعة عنوة وللفتك بنا فيما اذا اخلي سبيلنا . وقد أجبر ذلك الكولونيل الحرس على إعداد المنامة له . وصدرت اليه اوامر عسكرية باخلاء القلعة فأبى . ثم اذعن مرغماً بعد مخابرة هاتفية طويلة . وقيل ان الذي حدّثه بالتلفون في تلك الساعة هو احـــد القواد الناشزين على الجنرال كاترو والتابعين مباشرة للجنرال دي غول، وقد اقنعه بان لا يسيء الينا فامتثل . عرفنا ايضاً ان مؤامرة عسكرية دبرت في الوقت عينه لخطف الجنرال كاترو من بيته في الحي الشرقي ببيروت والفتك به لئلا يفرج عن المعتقلين .

الرجوع :

انقضى قسم من الصباح ونحن بانتظار السيارات التي ستُقلّنا الى بيروت . خرجنا من غرفنا نتمشى في الدار الخارجية على أحر من جمر . تبادلنا الاحاديث عن كل ما جرى . عاهد بعضنا بعضاً على السير الحثيث متضامنين الى الهدف الاستقلالي، وإبعاد جميع من تجرأ على العهد، وفي مقدمتهم اميل اده . كنا قد اطلعنا على تفاصيل توليه الحكم، وأقر كل منا وجوب محاكمته والحكم عليه بما يقتضيه ذنبه . وكنت مع رياض اهدأ من رفقائنا بهذا الصدد .

قارب الوقت الظهر . هوذا غبار سيارات ثلاث يتصاعد من بعيد . دّوى صفير الحراس وطلبوا الينا ان نعود الى غرفنا . لم يطل الوقت ودخل غرفتي المسيو داڤيد المندوب الفرنسي لدى الحكومة اللبنانية، يرافقه الزعيم نوفل وابلغاني أمر الافراج . ابلغته بدوري الى الرفقاء المنتظرين . دعوت بعض الحرس لاعداد الحقائب .

خلا بي المسيو داڤيد وطلب اليّ ان استقبل فور وصولي الى بيروت الجنرال كاترو فعيّنت له الساعة الثالثة بعد الظهر . وما ان خرج من

أزمة جديدة

الغرفة حتى دنا مني الزعيم نوفل وقدم لي كتاباً باستقالته من منصبه، فأعدته اليه وقلت له : عند رجوعنا الى بيروت نرى ما في الامر .

يستقبلنا الوفاء :

خرجنا من الدار الداخلية وشاهدنا السيارات الرسمية يقودها أفراد من الدرك اللبناني . العلم يرفرف على سيارتي . طلب الي المسيو داڤيد ان يرافقني بحجة اكمال حديثه معي فقبلت . ما تحركت السيارات حتى ارتفعت اصوات المعتقلين في الطابق العلوي من القلعة بالنشيد الوطني اللبناني . اننـــا نسمع التحيات والتمنيات والقرقعة على الابواب وعلى حديد النوافذ . كادت اساسات القلعة ترتج . دقيقة مؤثرة جـــداً . اغرورقت اعين الجميع بالدموع .

ما ان اطلت سياراتنا على ساحة راشيا حتى قرعت الاجراس وعلا الهتاف ولعلع صوت « المعدل » في الجو وهجم الاهالي دروزاً ومسيحيين بكوفياتهم البيض يسدون علينا الطريق للتحية . بلغت الحماسة مبلغها والتأثر اوجه، وراح المستقبلون يوجهون الي والى رفقائي التحيات الطيبة فشكرناهم وطلبنا منهم بكل لطف ان لا يؤخروا سيرنا .

انسلّت السيارات تنهب الارض بسرعة فائقة كأن محركاً آخر يزيدها قوة واندفاعاً، وفي الطريق أخذت السيارات الذاهبة نحو دمشق تقف عند مرور الموكب وركابها يصفقون تصفيقاً حماسياً وهتافاتهم تخرج من اعماق الفؤاد .

استوقفنا جمهور كبير في شتورا مطلقاً العيارات النارية، وقطعنا المريجات ومخفر ضهر البيدر ووقفنا دقيقة في المديرج .

لما اطل الموكب على وادي حمانا اوقفت السيارة وقلت للمسيو داڤيد ان ينتقل الى سيارته ودعوت رياض الصلح ان يرافقني وأنزلت العَلم

الغرفة حتى دنا مني الزعيم نوفل وقدم لي كتاباً باستقالته من منصبه، فأعدته اليه وقلت له : عند رجوعنا الى بيروت نرى ما في الامر .

يستقبلنا الوفاء :

خرجنا من الدار الداخلية وشاهدنا السيارات الرسمية يقودها أفراد من الدرك اللبناني . العلم يرفرف على سيارتي . طلب اليّ المسيو داڤيد ان يرافقني بحجة اكمال حديثه معي فقبلت . ما تحركت السيارات حتى ارتفعت اصوات المعتقلين في الطابق العلوي من القلعة بالنشيد الوطني اللبناني . اننـــا نسمع التحيات والتمنيات والقرقعة على الابواب وعلى حديد النوافذ . كادت اساسات القلعة ترتج . دقيقة مؤثرة جـــداً . اغرورقت اعين الجميع بالدموع .

ما ان اطلت سياراتنا على ساحة راشيا حتى قرعت الاجراس وعلا الهتاف ولعلع صوت « المعدل » في الجو وهجم الاهالي دروزاً ومسيحيين بكوفياتهم البيض يسدون علينا الطريق للتحية . بلغت الحماسة مبلغها والتأثر اوجه، وراح المستقبلون يوجهون اليّ والى رفقائي التحيات الطيبة فشكرناهم وطلبنا منهم بكل لطف ان لا يؤخروا سيرنا .

انسلّت السيارات تنهب الارض بسرعة فائقة كأن محركاً آخر يزيدها قوة واندفاعاً، وفي الطريق أخذت السيارات الذاهبة نحو دمشق تقف عند مرور الموكب وركابها يصفقون تصفيقاً حماسياً وهتافاتهم تخرج من اعماق الفؤاد .

استوقفنا جمهور كبير في شتورا مطلقاً العيارات النارية، وقطعنا المريجات ومخفر ضهر البيدر ووقفنا دقيقة في المديرج .

لما اطل الموكب على وادي حمانا اوقفت السيارة وقلت للمسيو داڤيد ان ينتقل الى سيارته ودعوت رياض الصلح ان يرافقني وأنزلت العَلم

القديم وكشفنا السيارة وسرنا بدون علم يتبعنا رفقاؤنا بالاعتقال ، واندفعنا بسرعة البرق الخاطف في طريق بيروت، فما مررنا ببلدة إلا ولقينا ابناءها حشداً متماسكاً على طرقاتها يتزاحمون لتحية الموكب، وكنا نلتقي بسيارات المستقبلين صاعدة لملاقاتنا فيحيينا ركابها وينضمون الينا . ووصلنا الى بيروت ومعنا رتل كبير من المرافقين فمررنا بساحة الشهداء من امـــام السراية، واتجهنا نحو البيت وهناك استقبلنا هتاف الجماهير وتصفيقهم وحداؤهم ولم نتمكن من صعود السلم والدخول الا بشق النفس فقـــد تلاصقت المناكب كالبناء المرصوص، ووقف بعضهم على الكراسي والمقاعد، وعلى البيانو ايضاً، وكانت زوجتي واولادي وإخوتي في مقدمتهم فؤاد ينتظروننا في غرفتنا محاطين باصدقاء كثيرين، فتعانقنا واحداً واحداً والدموع تنهال من اعين الجميع، وبلغ التأثر بزوجتي ان كادت يغمى عليها، فخف الاصدقاء الى اسعافها بالمنعشات . وكنت انا املك نفسي من تلك الانفعالات الشديدة لاتمكن من مجابهة الاحداث ، فالعمل لما ينته .

اوصلني رياض الى البيت والقى التحية على الجميع ومضى الى داره ليشاهد عائلته .

أزمة جديدة

لا اقبل مساومة على الوزارة ولا على المجلس :

اذنت الساعة الثالثة واذا الجنرال كاترو ينزل من السيارة امـــام القصر، واذا الجموع المنتشرة في كل غرفة والجماهير المزدحمة في كل مكان تصمت فجأة كأن على رؤوسها الطير ! خفتُ ان تصدر من احدهم اهانة للزائر فأرسلت من يحيط به ويوصله الى غرفة المنامة حيث خلونا بعد ان أقفلت الباب . فحياني الجنرال بكل احترام وهنأني بسلامة الوصول، وأجلسته بالقرب من السرير الذي انتزعوني منه الى راشيا وابتدأ الحديث، وهذه زبدته :

قال : اهنئكم بالافراج عنكم وبعودتكم الى منصبكم، وبالافراج عن رفقائكم

قلت : ما هذا التفريق بعد ان تبادلنا الحديث بعدم قبولي الرجوع الى منصبي الا مع الوزارة والمجلس

قال : انا موافق على ما تفضلت به، ولكن حكومة الجزائر لا تزال متحفظة بهذا الخصوص، وأستمهلك اربعاً وعشرين ساعة لتسوية الامور وفق ارادتك، فالذي عرقل المسعى تدخّلُ الانكليز وإنذارهم لنا باعادة كل شيء الى نصابه قبل منتصف الليل الماضي، فكان القرار الذي صدر من لجنة الجزائر

قلت : انا لا أتدخّل في شؤونكم مع الانكليز . اني رئيس دستوري والوزارة والمجلس لا يزالان قائمين بحكم الدستور، وأعتبرهما كذلك . وهما يمارسان بنظري وبنظر الدستور اعمالهما دون حاجة لاي شيء آخر .

قال : الحق معكم ، ولكني ارجو إمهالي هذه الساعات المعدودة .

قلت : كل ما استطيعه هو ان اؤخر نزولي الى السراية حتى بعد ظهر غد . ولكني افهمكم ان الاحكام جميعها قد عادت الى مجاريها، ورجع الوزراء الى مناصبهم ، ورجع المجلس النيابي الى عمله .

طال الحديث الى ما يقرب من ساعتين، وفيما يهمّ الجنرال بالانصراف دخل علينا حبيب ابو شهلا راجعاً من بشامون فعانقته طويلاً وسألته عن رفقائه ، ثم صافح الجنرال كاترو ، فعاتبه هذا لانه تخلف عن مقابلته وأجابه حبيب : لم استطع ذلك اذ انـني ابلغت قرار المجلس النيابي بالامتناع عن كل مفاوضة قبل الافراج عن المعتقلين . وودعنا الجنرال بعد ان عيّنت له الساعة الثالثة من اليوم الثاني لاستقباله في بيت هنري فرعون، وقد فعلت ذلك لتجنب الجماهير المكتظة دائماً امام القصر .

رافقت الجنرال الى الدار وعـاد الوجوم الى الوجوه ، فاضطررت للوقوف على الشرفة الخارجية متفقداً بالنظر جوانب الممر وأطراف الحديقة، خوفاً من ان يُمس الزائر بسوء، او ان يسمع هو كلمة نابية . ولم يحدث حادث والحمد لله . وانقضى النهار واطلاق الرصاص متواصل، والبيت يعج بالزائرين من جميع الطبقات، وعاد رياض الى القصر فأنبأته بكل ما جرى ووافق عليه تماماً . ثم وصل صبري حماده عائداً من بشامون وأخبرني ان الامير مجيداً باق هناك الى يوم الاربعاء صباحاً حتى يتمكن من تفريق « البواردة » الذين انضموا الى الحكومة الشرعية للمحافظة عليها .

« لو ضعف الرئيس لحظة واحدة ... » :

بدأ يوم الثلاثاء (في ٢٣ من ت ٢) بمجيء الهيئات النسائية التي اشتركت في التظاهرات وواجهت الاخطار وقدمت صدورها للرصاص ، فتوالت الخطب مهنئة بالعودة ومعلنة الاغتباط بالنتائج الطيبة التي فزنا بها . وكنت ارد على الخطيبات بتأثر ظاهر .

ووصل المستر ودسورث والجنرال سپيرس وتصافحنا، وقصّا علينا ما حدث معهما في غيابنا، ثم استعلما عن تسلمنا مهام الشؤون فأخبرناهما بما جرى . وشكرتهما على ما اسدته دولتاهما ، وما اسدياه لنا من معونة في ضيقنا، فاجاب الجنرال سپيرس : « ساندناكم كثيراً ، ولكن ثق يا فخامة الرئيس انك لو ضعفت لحظة واحدة ، او ساومت مقدار ذرة ، لذهبت مساعداتنا جميعها من سياسية وعسكرية سدى ، كالهباء المنثور ...»

في الساعة الثالثة ذهبت وحدي الى منزل هنري فرعون واستقبلت الجنرال كاترو استقبالاً طويلاً . وهذا موجز الاحاديث :

قال الجنرال بتأثر وهدوء : ليس لديّ قوة مادية لامنع فخامتك من الرجوع الى السراية على الفور مع اركان الحكومة، ولامنع المجلس النيابي من الالتئام، كما انه ليس لديّ حجة منطقية لاقنعك بخلاف ذلك، ولكن اسمح لي ان ابدي تحفظ حكومتي بشأن الوزارة والمجلس في كتاب اقدمه لفخامتك ، وساقنع الجنرال دي غول بالرجوع عن هذا التحفظ قبل غد ان شاء الله .

وزاد كاترو : ربما انسحبت مع جيوشي من بيروت عاجلا قبل الليل احتجاجاً على الانذار الانكليزي ، فاودّعك الآن فيما اذا اضطررت الى الانسحاب .

ووقف مودعاً ، ورافقته وكأني به قد مشى ولا يرى امامه شيئاً ،

فزلت به القدم متعثرة بحافة البركة الصغيرة، وأمسكتُ بيده وأقلته من عثاره . فشكر وقال : اذا بقيت هنا غداً فسأزور فخامتكم في السراية مهنئاً . وأجبته : الى غد ولا شك !

« الى السراية ... »

رجعت الى البيت ووجدته يعج بالزائرين ، يتقدمهم اركان الحكومة ورئيس المجلس النيابي والنواب واعضاء المؤتمر الوطني وجميع الهيئات ، فقلت : الى السراية ! ! وسمع ضجيج محركات السيارات والموتوسيكل . وانطلق الرصاص من المتظاهرين والدرك . ودخلنا السراية والجموع وراءنا والعيارات النارية تدوّي بشدة . وتبعنا الشعب الى غرفة الرئاسة وخرجنا الى الشرفة لنحيي الجماهير .

وبسبب ازدحام غرفة الرئاسة بالعالمين اضطررنا لان ننتقل الى غرفة رئيس الوزارة في شرقي السراية لنعقد اول مجلس وزراء بعد راشيا ، وكدنا لا يسمع بعضنا البعض الآخر بسبب الحداء والاهازيج وإطلاق النار .

وفيما مجلس الوزراء منعقد دُعي كميل شمعون الى الخارج ورجع يقول لنا : «لدي معلومات ان بعض ضباط الجيش الفرنسي غير راضين عما جرى ، وهم يستعدون « لعملية » في هذا الليل ضدنا وضد الجنرال كاترو شخصياً» . ورأيت ان ترسل حالاً قوة عسكرية من مائتين وخمسين دركياً الى القصر، وان يبيت رئيسا المجلس والوزارة ومعهما الوزراء في داري وهكذا كان . وتدبرنا امرنا بقدر الامكان، فاكلنا وسهرنا نتجاذب اطراف الاحاديث الى ساعة متأخرة من الليل ، والجنود ساهرون يتناوبون الخدمة الى الصباح . وتلوت على الحكومة كتاب التحفظ الذي ورد من الجنرال كاترو ، وأخذنا قسطاً قليلاً من الراحة .

نصرٌ من الله وفتحٌ قريب

كاترو يلغي تحفظه :

استيقظنا يوم الاربعاء مبكرين وتحدثنا ملياً . وحوالي الساعة الثامنة صرفنا الدرك .

في الساعة التاسعة نزلنا الى السراية وخصصنا اليوم بالاستقبال الرسمي .

وكنا في الصباح الباكر قد ارسلنا حرساً الى بشامون لمواكبة الامير مجيد ارسلان واوفدنا اليه وزراء لمرافقته .

تلقيت كتاباً من الجنرال كاترو يقول لي فيه انه يُلغي تحفظاته السابقة بخصوص الوزارة والمجلس، فاطلعت الحكومة والنواب عليه وسرّوا بالامر .

كانت ساحة الشهداء تعج بالجماهير وفجأة اندفعت كأنها السيل الجارف لملاقاة الامير مجيد، وقد وصل بمظهر حربي (بالسلاح الكامل) يرافقه حامل بندقيته الحربية اديب البعيني . فعانقتُ الامير وهنأته على موقفه كما هنأت رفقاءه من قبل .

بعد قليل وصل الجنرال كاترو مع اركان حربه الى ساحة الشهداء فأدّى له الدرك التحية العسكرية وصعد الى السراية وصافحني وصافح

الوزراء والنواب مهنئاً ومبدياً أسفه لما جرى واستعداده مع حكومته لفتح صفحة جديدة في العلائق الفرنسية اللبنانية، فأجبناه بما يستلزمه المقام وانسحب مودعاً

ايام الفرح الوطني :

تألب على السراية المهنئون من الهيئات الاجنبية وفي مقدمتها الجنرال سپيرس واركان الجيش الانكليزي، والمستر ودسورث ومرافقوه، وقناصل الدول العربية والاجنبية، والهيئات النقابية والحزبية، ووفود الاهلين من بيروت ومن الخارج من جميع طبقات الشعب، واستمرت التظاهرات الصاخبة الى ساعة متأخرة من الليل .

وتوالت التظاهرات وزيارات الوفود والاهازيج والهتافات اياماً ونحن نستقبل الجميع، وشغلنا الشاغل الافادة من الظرف السانح لتدعيم الاستقلال تدعيماً نهائياً .

بعد يومين اقمنا مأدبة عشاء للجنرال كاترو لم تحضرها قرينتي، خصوصاً لان الايام الاخيرة كانت قد ارهقتها، فسألني الجنرال عن صحتها واعتذرت عنها، فرفع كأسه وقال : اسمحوا لي ان اشرب نخب الرئيسة، وتفضلوا بتقديم اعتذاري لها باسم فرنسا .

الجنرال كاترو :

الجنرال جورج كاترو من ألمع الفرنسيين الذين أمّوا بلادنا، جاءها مع مولد الانتداب رئيساً للمكتب السياسي في المفوضية العليا، وتنقّل بهذه الصفة بين لبنان وسوريا ومنطقة العلويين، يدرس ويراقب حتى ألمّ بأوضاعها وعرف كثيراً من خفاياها وصار المفوضون السامون يستعينونه في المهمات الدقيقة والمفاوضات العسيرة، فقام باعمال مرموقة في ايامهم

عند انهيار فرنسا كان الجنرال كاترو حاكماً عاماً في الهند الصينية،

فانضم الى حركة الجنرال دي غول لمتابعة الحرب، وارتضى ان يخضع لمن هو دونه مقاماً ورتبةً واختباراً، ليثأر لكرامة بلاده ويغسل عنهـا وصمة الاستسلام، فعدَّ العالم تضحيته آيةً في الوطنية، وأسند اليه الجنرال دي غول اسمى المناصب وجعله مستشاره الاقرب ولا سيما في شؤون العالم الاسلامي

قاد الجنرال كاترو الحملة التي شنّها الفرنسيون الاحرار مع الجيش البريطاني لنزع بلدان المشرق من يد الفيشيين[١] . وهو الذي وقّع على صك هدنة عكا . دخل بيروت في إثر البريطانيين واعلن نفسه مندوباً سامياً بتفويض من الجنرال دي غول، وبقي في الوقت عينه عضواً (وزيراً) في لجنة التحرر الفرنسي وأخذ ينتقل من مكان الى آخر، ثم يطير الى القاهرة والى مدينة الجزائر، يغيب اياماً وشهوراً ويعود الينا عند تأزم الحالة من سوء سياسة المسيو هلّلو، وكيله في بيروت، ليصلح او يعالج ما افسده الوكيل غير الكفوء .

اما الدور الفعّال الذي قام به الجنرال كاترو فهو النشاط الخطير الذي نشطه بعد اعتقال راشيا . وقد جازف بسمعته وبرصيده السياسي تجاه بلاده ورئيسه دي غول ليجنّب فرنسا ويجنّب الشرق ازمة دولية ما كان احد ليعرف مدى خطرها إلا الله . وكان تفهّم الجنرال كاترو لحقيقة الوضع اللبناني من اكبر العوامل في تهدئة الحالة في ثورة تشرين . وقد جهد نفسه لتلك التهدئة على ما في صدره من غصّة، وعلى ما في ظنّه من وهمٍ ان عهد الاستقلال الذي اردناه انما هو آلة مسخّرة للانكليز ! ولكن الايام اثبتت له، وللجميع، ان صداقتنا كانت للبنان وحده، وان جهادنا وقفناه على تحقيق استقلال لبنان الكامل وتوطيد سيادته التامة، واننا رعينا مصالحنا الوطنية اولاً، ثم حافظنا على صداقتنا مع جميع اصدقائنا

(١) — راجع : ج ١، ص ٢٣٩

بدون تميز . وكانت فرنسا — بعد زوال الانتداب — في مقدمة هؤلاء الاصدقاء .

قضية اميل اده :

صرت انزل يومياً الى السراية وأجتمع برئيس الوزارة والوزراء اجتماعاً متواصلاً، وكل منهم منكب على العمل ومأخوذ في الوقت عينه بمراجعات سياسية اقتضتها الظروف الاستثنائية التي لم تعرف لها البلاد مثيلاً .

ان اول مسألة وُضعت على بساط البحث بيني وبين رياض هو العمل الذي اتاه اميل اده فاقام البلاد وأقعدها وقابله اللبنانيون بالنفور والسخط والاستنكار . وبعد رجوعنا لزم الرجل بيته فأحطناه بالحراسة الشديدة خشية ان يعتدى عليه، ورأينا من الواجب ان لا يبقى عمله بدون جزاء، وكان يسيراً جداً في ذلك الجو ان يُلاحق قانونياً . ولكننا لم نشأ ان نندفع مع التيارات الشعبية، وآثرنا التريث لعل الوقت يداوي جرحاً عميقاً اصيبت به البلاد ودستورها في الصميم .

الموظفون اصحاب الموقف المريب :

ورأينا من الضروري تصفية التعاون مع الحكم غير الشرعي : ترى من هو الذي تعاون ؟ ومَن لم يتعاون ؟ من تمارض لكي يتعاون من وراء الستار ؟ ومن تمارض لكي لا يتعاون ؟ من له اسباب مخفّفة ؟ ومن له اسباب مثقلة ؟

اختلط الحابل بالنابل، كما يجري بعد كل هزة عنيفة في بلد صغير تكثر فيه الارتباطات العائلية والصداقات، وحيث يبرز حب الانتقام والتشفي من جهـة ، والرغبة في تبييض الوجوه من جهة ثانية، وقد تظهر علائق بين الناس لا تخطر ببال .

آثرت في ذلك الجو ان اتولى التحقيق بنفسي، فلا يُظلم احـد ولا يؤخذ البريء بجريرة المسيء . وهذا التساهل سبب خلاصاً لكثيرين . والافضل عندي ان يتعب الضمير من السماح على ان يثقل بظلم وان قليلاً . وهكذا اقتصر التنسيق على إحـالة بعض كبار الموظفين على الاستيداع وهم لا يزيدون على عدد اصابع اليد الواحدة .

وعلى الأثر صدرت في الادارة، وعلى الاخص في وزارة الداخلية وباقتراح وزيرها كميل شمعون، مراسيم تشكيلات واسعة تمكن الحكومة من التعاون مع موظفين مخلصين للعهد الاستقلالي، ولم يخل التساهل في التدبيرين من معارضة ، مما يحدث في كل عمل بشري .

جلسة تدخل التاريخ :

عقد المجلس النيابي جلسته الاولى بعد تلك الاحداث في الاول من كانون الاول وغصت قاعة الاجتماع بالنواب والمستمعين، وافتتح الرئيس صبري حماده الجلسة بتلاوة الدعوة التي أرسلها الى النواب الساعة الثامنة صباحاً من يوم ١١ تشرين الثاني حال ان بلغه اعتقال رئيس الجمهورية ورفقائه. والقى بياناً عن تلك الجلسة المنعقدة في جو الارهاب : فقد اقام الجنود السنغاليون حواجز في مداخل دار البرلمان ليمنعوا ممثلي الامة من ولوجها، ولم يتمكن الا سبعة منهم من التسلل الى الداخـل بصورة عجيبة، فعقدوا جلسة قانونية على رغم من فقدان النصاب بحكم القوة القاهرة، ووضعوا قراراً باسمهم وباسم زملائهم المكرهين على التغيب يستنكرون فيه الاعمال الفظيعة التي جرت ضدّ رئيس الجمهورية ورفقائه ، وأرسلوا احتجاجهم الى الدول الغربية التي اعترفت باستقلالنا ، مستصرخين الدول العربية لنجدة لبنان في محنته .

ثم قال رئيس المجلس في ذلك البيان انه والنواب الذين تمكنوا من الحضور قد أُبلغوا اوامر السلطة العسكرية الفرنسية باخراجهم من المجلس

وهم يوقعون على القرار الذي وضعوه باستنكار اعتقـال رئيس الجمهورية ورفقائه ، فأجابوا : « سنبقى هنا ولن نخرج الا بقوة السلاح . » انهم قد اخرجوا فعلاً بقوة السلاح . فيا لها من ذكرى !

وبعد تلاوة ذلك القرار المؤرخ بيوم الحدث عينـه ، تليت محاضر الجلسات التي عقدها المجلس النيابي بين ١١ و ٢٢ من تشرين الثاني خارج قاعة المجلس وختم الرئيس حمادة بيانه بكلمات بليغة مؤثرة .

ووقف رئيس الوزارة والقى خطاباً من خطبه السياسية الرائعة جداً، بسط فيه الحوادث الخطيرة التي مرّت على البلاد لتقرير مصيرها ولدعم استقلالها . وسوف يطالع اولادنا واحفادنا محاضر تلك الجلسات فيرون فيها وثائق اساسية للايام العصيبة التي كللها النصر والفخر والاعتزاز .

وهذه فقرة من خطاب رئيس المجلس :

« ويسرني في هذه المناسبة ان اوجه الى فخامة الرئيس الاول الشيخ بشاره الخوري تحية المجلس واعجابه ، فهو كان ولا يزال حامي الدستور ، والمضحي في سبيله بكل ما عز وهان ، واني احيي دولة رئيس الوزارة والوزراء الذين اعتقلوا وسلبت حريتهم في سبيل بلادهم، ومن منة الله علينا ان يكون المجلس قد اشترك في التضحية فكان سماحة الزميل السيد عبد الحميد كرامي في معتقله ممثلاً لزملائه جميعاً في راشيا قلعة الاباة والاحرار

« اما الزميلان الوزيران الاستاذ حبيب ابو شهلا والامير مجيد ارسلان فلهما مني كلمة خاصة ، فقد عشنا معاً جنباً الى جنب اثني عشر يوماً ستكون خالدة في تاريخ لبنان . وهي ايام عرفت فيها كيف صمد الوزيران وثبتا ، وبحقٍ جاهدا وناضلا ، وكيف افترشا الغبراء وقطعا الوهاد والجبال مشياً على الاقدام حتى يوفرا لامتهما وبلادهما هناءً ورغداً وعزة وكرامة وحرية واستقلالاً . »

الشعلة المباركة :

وهذه فقرة من خطاب رئيس الوزارة :

« عدنا وعدتم ، وعاد كل شيء الى ما اردنا واردتم ، بل الى ما ارادت الامة . وكانت هذه العودة الشعلة المباركة بفضل الجهاد الرائع الذي جاهدته الامة ، فلنسجل لها في هذه الجلسة التاريخية الشكر العظيم بل لنسجل لانفسنا نحن نوابها وحكومتها الفخر والاعتزاز باننا نمثلها، بل باننا ننتسب اليها واننا منها واليها ... وان خير ما اختم به هذا البيان هو ان ارسل كلمة تحية واعجاب ، وليس لي إلاّ ان اقول شهادة حق لوجه الله، الى ذلك الرجل الذي مثّل العزة والكرامة ومثل الاماني الوطنية للبنان واللبنانيين اصدق واكرم تمثيل ، ذلك هو فخامة رئيس الجمهورية الشيخ بشاره الخوري . فنحن اذا كنا مدينين الى اتحاد الامة وجهادها وتضحيتها، والى نجدة البلدان العربية الشقيقة، والى معونة الدول الديمقراطية، فثقوا اننا مديونون بالدرجة الاولى الى صلابة هذا الرئيس العظيم، ووطنية هذا الرئيس الذي آثر الاعتقال والسجن والحرمان على ان يفرط بادنى تفريط باي حق او معنى من معاني الاستقلال والسيادة . »

واشترك في المناقشات عدد من النواب وأجادوا اية اجادة، ولا عجب « فالموضوع قابل . »

وتقدم اقتراحان بشجب اعمال الرئيس اميل اده ووجوب محاسبته ، اولهما من حميد فرنجيه والآخر من هنري فرعون .

اقتراح حميد فرنجيه :

« ان مجلس النواب — نظراً للحوادث المؤلمة التي مرّت بالبلاد، ونظراً لان نفراً من اللبنانيين، كان والحمد لله قليل العدد، تآمر على دستور البلاد وحكمها الوطني .

« ولما كانت القوانين الحالية لا تكفي لحماية الدستور والحكم الوطني من تآمر المتآمرين واعتداء المعتدين، خصوصاً عندما يتخذ هذا التآمر سبيل التفريق بين عناصر البلاد، وترويج الاشاعات الكاذبة للنيل من الدستور والحكم الوطني .

« لذلك فان المجلس يطلب الى الحكومة بالحاح بان تضع باقرب وقت مشروع قانون تقدمه للمجلس لقمع الجرائم التي تقترف ضد دستور البلاد وحكمها الوطني . »

(قبل الاقتراح بالاجماع) [١]

اقتراح هنري فرعون :

« ان مجلس النواب، على أثر الحوادث المؤلمة التي هزّت لبنان وأثارت الامة وكادت تذهب باقدس امانيها القومية، يشجب بشدة موقف احد اعضائه اميل اده، وهو موقف يقابله المجلس والشعب اللبناني بالسخط والاستنكار الشديدين، ويطلب من الحكومة ان تتقدم الى المجلس باسرع ما يمكن باقتراح العقوبة التي يجب ان تنزل به . »

(قبل الاقتراح بالاكثرية) [٢]

وفي تلك الجلسة التاريخية ايضاً وافق المجلس على التعديل الدستوري بتغيير العَلم اللبناني القديم وجعله بالوانه الجديدة (الحالية) .

واذكر للمناسبة ان حكومة الرئيس اميل اده اوفدت وانا في راشيا فرقة من الدرك لانزال العَلم عن دار الرئاسة فمانعت الجماهير المحتشدة امام المقر ممانعة شديدة وأبت ذلك التحدي، وكادت تقع الواقعة لولا ان

(١ و ٢) — محضر جلسة الاول من كانون الاول ١٩٤٣ : ص ٦٩ و ٧٠

عقيلتي تداركت الامر بحكمتها فطلبت من أخيها جوزيف أن يأتيها بالعلم، ولما تسلمته فصلت منه اللون الابيض وعليه الارزة فقبلته واحتفظت به والجماهير تصفق، ثم القت باللونين الاخرين، وتولّى الناس حرقهما امام الدرك .

ولم يزل ذلك القسم الابيض من علم الجهاد في حوزتنا نحتفظ به ذكراً مجيداً لذلك اليوم التاريخي .

ان ما قامت به زوجتي من اعمال البطولة في ايام راشيا كثير لا اذكره، ولكن الوف اللبنانيين عرفوا تلك الاعمال الكبيرة وشاهدوها بام العين، وهي ذخيرتها امام التاريخ .

تسلم المصالح المشتركة :

وما ان ارتاح البال من انجاز تلك الشؤون الحيوية حتى انتقلنا الى موضوع حيوي آخر ألا وهو تسلم المصالح المشتركة من يد الفرنسيين . وابتدأت المفاوضات بشأنها جدياً، فعقد اول اجتماع في مقر الرئاسة وحضره الجنرال كاترو واعوانه وتبادلنا الرأي، فلمسنا استعداداً حسناً عند الفرنسيين للتنزل عن مصالح مهمة جداً، واستثنوا الجيش والحراسة على اموال العدو بحجة انهم لا يزالون في حالة حرب مع المانيا، فابدت الحكومة بعض التحفظ . ورأيت من المصلحة ان نتسلم قسماً من الجيش بصورة موقتة للمحافظة على الامن فقبل العرض مبدئياً إلاّ ان سوريا لم تقبل الا بتسلم الجيش كله فتأخر حل المسألة .

وانتقل اركان الحكومتين الى دمشق وانتقل ايضاً اليها الجنرال كاترو واعوانه وعقدوا اجتماعاً ثانياً في مقر رئاسة الجمهورية السورية وجرى التوقيع على البروتوكول الشهير في ٢٢ من كانون الاول ١٩٤٣ (تراجع الوثائق في الملحق)

كان لهذا الاتفاق أثر باهر في نفوس اللبنانيين والسوريين على السواء، وأسرعت الحكومة اللبنانية الى تبليغه للمجلس النيابي في اليوم الثاني . والقى رياض الصلح خطاباً بليغاً ضمنه تلاوة الاتفاق واثنى على الجنرال كاترو لتفهمه الامور وأنهى كلمته بقوله :

« ولا يسعكم معي قبل ان اختتم كلمتي الا ان اتوجه بالشكر الجزيل الى فخامة رئيسنا الاول الشيخ بشاره الخوري الذي كان قائداً لنا في كل عمل اتيناه ومرشداً حكيماً . وبالختام ترون ايها السادة ان الحكومة كانت عند حسن ظنكم، وانها استطاعت بفضل موآزرتكم ان تحقق الى الآن اهم ما جاء في بيانها الوزاري بمدة قصيرة : تمجيد اللغة العربية، وتعديل الدستور، ورفع العَلَم اللبناني الجديد خفاقاً فوق الرؤوس وفي القلوب، والسعي لان تعترف الدول العربية الشقيقة والحليفة للبنان بكيانه وحدوده الحالية . وهي الآن تأتيكم بالاخير من هذا البرنامج وهو المصالح المشتركة . عاش لبنان سيداً حراً عزيزاً مستقلاً . »

وقوبل الخطاب بتصفيق متواصل .

تهنئة من الجنرال سبيرس :

لقد اعتبر الجميع تسلم المصالح المشتركة اكبر عمل قامت به حكومة الاستقلال بعد تعديل الدستور وانتصار راشيا، بدليل كتاب ورد عليّ بشأنه من الجنرال سپيرس باللغة الفرنسية . وهذه ترجمة بعضه :

« فخامة الرئيس العزيز . اسمحوا لي ان اهنئكم وحكومتكم من صميم قلبي على النتائج الموفقة التي كللت المفاوضات اللبنانية السورية الفرنسية . وكان من المستحيل لمدة قصيرة خلت ان نرتقب امكان الحصول عليها . ان عذاباتكم وعذابات اصدقائكم لم تذهب سدى لانها كانت ثمناً لحرية بلادكم . وانه لجميل جداً ان يكون اسم رئيس الدولة

طليعة الاسماء المسجلة في اول صفحة من تاريخ لبنان الحر، اذ انه امسك بيديه عالياً جداً، وفي مقدمة الصفوف، مصباح الحرية الخ ... ولا شك عندي ان تعلق بلادكم بكم سيحفر باسطر ذهبية في الصفحة الاولى من تاريخ لبنان، وسيبقى خالداً طالما يوجد لبنانيون في الجبال اللبنانية ويكونون فخورين بكم . ولكم من زوجتكم بحمد الله رفيقة لم تلن عزيمتها، وسيقترن اسمها باسمكم على مدى الايام . وتفضلوا الخ ... » (تراجع الوثائق في الملحق)

وبعد التوقيع على الاتفاق الآنف الذكر باشرنا ابتداء من سنة ١٩٤٤ تسلم كل مصلحة على حدة .

بعثة من مصر :

قيض الله للبنان في محنته عطف الدول الغربية الكبرى والدول العربية الشقيقة . وأظهرت مصر عاطفة جياشة، ملكاً وحكومة وشعباً، فالملك فاروق أبرق اليّ وانا في راشيا برقية طافحة بالتأييد، وألقى النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية يوم ذكرى الجهاد خطاباً نارياً لمساندة لبنان . وبعد ان شفي الملك من حادث السيارة في القصاصين اوفد الينا بعثة برئاسة عمر فتحي كبير الياوران ليهنئنا بعودتنا سالمين وبنيل الاماني الوطنية التي طالما حلمنا بها، فكنا الدولة العربية الاولى التي تحررت من الانتداب بفضل الله .

وصلت البعثة الى بيروت في اواسط كانون الاول فجرى لها استقبالان رسمي وشعبي، كلاهما بالغ في الحفاوة . واقيمت على شرفها حفلات كثيرة منها دعوة من رئاسة الجمهورية للغداء، ورأيت من المناسب ان اتكلم على المائدة لاشيد بالعلائق الودّية بين البلدين، واعرب عن شكري لموقف مصر مليكها وحكومتها وشعبها في ايام راشيا، فكتبت

الخطاب بيدي ولما لفظته شعرت بمدى تأثيره في الحاضرين ولا سيما اذ قلت :

« ... فشكرنا الله على المكروه، ولمسنا عطف مليك مصر ذلك العطف الذي شاركته به سائر الاقطار العربية الشقيقة يوم نفذ ذلك العطف رقيماً كريماً الى المعتقل رغم الحصون والجدران والخفراء الساهرين، فكأني بهذا المليك الجليل يحطم بيديه الفتيتين القويتين قيود المراسم الرسمية فيجعل من قضية لبنان قضية مصر الى ان اصبحت عالمية استوقفت فترة حوادث الدهر، فتهادن المتحاربون كأنهم ينظرون لا الى مصير لبنان فحسب بل الى مصير مبادىء الحرية والاستقلال . »

وكان للخطاب صداه البعيد في لبنان والقطر الشقيق لما تضمنه من اشارة الى امور تاريخية يلذ ذكرها، كتحالف الامير بشير ومحمد علي، وشق قناة السويس، والهجرة اللبنانية الى مصر، وازدهار الآداب بفضل ومساهمة كتابنا وشعرائنا بالنهضة الادبية في وادي النيل .

وبعد ان سافرت البعثة المصرية مشيعة بكل اكرام، ومزودة باجمل تذكارات الضيافة اللبنانية، ألـّفنا وفداً من رياض الصلح رئيس الوزارة وسليم تقلا وزير الخارجية وموسى مبارك مدير غرفة الرئاسة، لرد الزيارة فجرى لهم في مصر استقبال منقطع النظير وتوالت الدعوات لتكريمهم .

وانتهزت الفرصة وأهديت جلالة الملك الدرجة الممتازة من وسام الاستحقاق اللبناني، واهديت اركان الحكومة المصرية اوسمة عالية اخرى وأرسلنا مع الوفد هدايا ثمينة، منها فرس من اطيب الخيول العربية الاصلية وسيف تذكاري قديم .

قداس الميلاد في الكاتدرائية المارونية :

سبق لي ان بسطت موقف المطران اغناطيوس مبارك ايام راشيا، فقد زار سيادته عقيلتي ثم زار الجنرال سپيرس يوم اعتقلنا، وعلى اثر تلك المقابلة اندفع بكل قواه تأييداً لنا، ولم يترك مناسبة الا وجاهر فيها باستنكار عمل المسيو هلّلو، وبمطالبة فرنسا باعادة كل شيء الى نصابه والاعتراف باستقلال لبنان . وطبيعي ان ينتهز اول عيد ليدعونا الى حضور القداس في كاتدرائية مار جرجس ويظهر انشراحه بالنتائج الباهرة التي وصل اليها لبنان، فدعانا ودعا اركان المجلس والحكومة الى القداس الاحتفالي يوم عيد الميلاد، فلبينا الدعوة شاكرين وبعد تلاوة الانجيل لفظ سيادته خطاباً حماسياً جداً، كاد يصفق له الحضور لولا حرمة المقام، وقد شبّه راشيا بالمغارة التي ولد فيها السيد المسيح « لان الاستقلال التام الناجز قد ولد في قلعة الاعتقال . »

وفي قاعة الاستقبال رددت على خطابه شاكراً . وكان البشر يطفح على كل وجه .

دورة استثنائية :

آخر جلسة للمجلس النيابي عُقدت في ٣٠ من كانون الاول وما ان انتهت الدورة العادية حتى فتحنا دورة استثنائية لاتمام العمل التشريعي في بدء العهد الجديد، ولم يكن قد خف النشاط، والنصاب مؤمّن، وللمناقشات طابع الجد . ويا حبذا هذا التقليد فترتفع اسهم التمثيل الشعبي !

وكنت اعجب لاناس يبذلون الغالي والنفيس للوصول الى النيابة، وعندما يصيرون نواباً يتقاعسون عن حضور الجلسات، والقيام بالعمل المجدي فيها، ثم يتهافتون على الدخول في لجان المجلس لكنهم يتخلفون عن

اعمالها، ويستقتلون ليدخلوا الوزارات، ومتى اسعدهم الحظ بولوج بابها واغضبوا مزاحميهم، واثاروا عتب هؤلاء على رئيس الجمهورية، استهتروا بالمصالح الموكولة اليهم واضاعوا الوقت بتوافه الامور، وتلهوا بالقشور عن اللباب .

في اول العهد لم يكن ذلك التهاون . وكان للعمل لذته وللجهد نتيجته .

ولم تلبث الحكومة ان فتحت دورة استثنائية في النصف الثاني من كانون الثاني، وجدول الاعمال حافل بشتى المشاريع .

١٩٤٤

اقرار اتفاق شتورا :

كان من البديهي ان نبدأ باقرار اتفاق المصالح المشتركة بين سوريا ولبنان وان يوافق المجلس عليه حالاً، لما فيه من الفوائد للبلدين . وكان من البديهي ايضاً ان يوافق من فوره على مشروع القانون المتعلق بمنح الحكومة حق الاشتراع فيما يتعلق بالمصالح المشتركة والمصالح الاخرى التي كان يمارسها الانتداب الفرنسي ويتولى اصدار القوانين بشأنها . غير ان هذين المشروعين اثارا اعتراضات كثيرة، خصوصاً من قِبَل الانعزاليين، فزعم بعضهم ان اتفاق شتورا يمس استقلال لبنان، وزعم بعضهم الآخر انه لا يؤمّن حقوق لبنان تماماً . وأثار سواهم موضوع مخالفة المراسيم الاشتراعية لاحكام الدستور، وخشي سواهم ان يتعدى هذا الاشتراع القوانين الجمركية الى غيرها من القوانين، لان الانتداب الفرنسي كان يشترع في المواضيع كلها .

وازاء هذه الملاحظات التي كان بعضهم يبديها عن حسن نية، ويبديها البعض الآخر لعرقلة سير الاعمال ولتعكير الجو بين سوريا ولبنان، وجب على الحكومة ان تتخذ للامر حيطته فتبادلتْ والجانب السوري في ٣ من شباط ١٩٤٤ كتابين مفسرين لحق الاشتراع، أُلحقا بالاتفاق

على انـــه جزء متمم له وغير منفصل عنه، واسهبت الحكومة في بيان الاسباب التي تبرر الاتفاق وحق الاشتراع الاستثنائي . وناقش الموضوع عدد من النواب وانتهى الامر بان المجلس النيابي أقرّ مشروعَي القانونين اللذين تقدمت بهما الحكومة في جلسة ٣ من شباط .

ارجاء الانتخابات التكميلية :

فرغ المقعد النيابي الاول بانتخابي رئيساً للجمهورية، وفرغ المقعد الثاني بوفاة المرحوم وهيب طاريا جعجع (بشرّي) الذي قضى ضحية حادث مؤلم اذ كان يقلب مسدساً فانطلق واصابته الرصاصة برأسه . وقد ارجئت الانتخابات التكميلية اضطراراً بسبب اعتقال راشيا، فلما عادت المياه الى مجاريها تقدمت الحكومة بمشروع قانون يمدد المهلة شهرين آخرين، واصطدم نص المشروع بعقبة دستورية، ذلك لان إرجاء الانتخاب اكثر من شهرين يقتضي تعديل البند الـ ٤١ من الدستور، فأعيد هـــذا المشروع الى اللجنة العدلية وقرّ الرأي على ان لا تمس مدة الشهرين المنصوص عليها في الدستور، وإنما يعين ابتداء الشهرين اول اذار نظراً للظروف القاهرة التي اجتازتها البلاد، ووافق المجلس في ٢٧ من كانون الثاني على هذا النص المعدل .

وسنعود الى هذه الانتخابات التكميلية .

الاتفاق المالي الجديد :

كان النقد اللبناني مربوطاً بالفرنك الفرنسي بموجب الاتفاق الذي جدده المجلس النيابي سنة ١٩٣٧ لمصلحة بنك سوريا ولبنان .

وأرادت حكومتا لوندرة وباريس ان تعقدا بينهما اتفاقاً جديداً يتناول عدة شؤون تتعلق بمعادلات الفرنك الفرنسي والليرة الاسترلينية، والفرنك

الفرنسي والعملة اللبنانية، وامكان استبدال الليرة اللبنانية بالعملة الانكليزية، الى آخر ما هنالك .

والجدير بالذكر ان فرنسا حافظت على تعهداتها لسوريا ولبنان، بل زادت عليها ان ضمنت النقدين في حالة تدني الفرنك . وعلى أثر ذلك الاتفاق أنزلت العملة الفرنسية دون ان يمس تدنيها هذا النقدين المذكورين، والاعتراض الوحيد على الاتفاق هو اننا لم نكن شخصاً ثالثاً في التعاقد الجديد بين انكلترا وفرنسا، مع ان الاتفاق حفظ حقوقنا تماماً، فرغبت الحكومة اللبنانية والحكومة السورية الانضمام اليه بعد التوقيع عليه . وكان الاجتماع لهذه الغاية في دمشق، فاوفدنا الى العاصمة السورية حبيب ابو شهلا نائب رئيس الوزراء وزير العدل ومثّل لبنان احسن تمثيل ووقع على الوثيقة اللازمة في ٢٥ من كانون الثاني، ورجع في مساء ممطر تبعته عاصفة شديدة في ضهر البيدر اوقفت سير السيارات فأرسلنا قاطرة حديدية نقلته الى بيروت، وقابل المجلس النيابي والحكومة اللبنانية ذلك الاتفاق بعاصفة اخرى من التقدير اذ لخصه رئيس الوزارة في جلسة ١٠ من شباط، واقره المجلس بالاجماع وارفقه بالشكر الآتي نصه :

« تسجيل كلمة شكر للحكومة اللبنانية على مدافعتها عن حقوق البلاد اللبنانية، ومحافظتها على مستوى النقد اللبناني باتفاقها مع دولتي فرنسا وانكلترا اللتين ضمنتا هذا النقد، وهي مأثرة جديدة نضيفها الى مآثرها الطيبة . »

ويعلم كل منصف ويشهد : ان لبنان جنى اعظم الفوائد من الاتفاق المذكور . فنهضت اقتصادياته نهوضاً عظيماً، خصوصاً واننا جعلنا معدل استبدال نقدنا بالنقد الانكليزي على اساس ٨٨٣ غرشاً لبنانياً، اي ١٧٦ فرنكاً بدلاً من ٢٠٠ فرنك، بتوفير ٢٤ فرنكاً في كل ليرة استرلينية . ومن البديهي ان عدداً كبيراً من الماليين اللبنانيين اجروا

ذلك الاستبدال الذي فتح لهم سبيلاً لاستيراد بضائع ضرورية كان لبنان بحاجة ماسة اليها، فربحوا ارباحاً طائلة ببيع هذه البضائع في الاسواق .

المشروع الانشائي :

بينما المجلس النيابي يقر القوانين، بعد مناقشات جدية وملاحظات قيمة، كان مجلس الوزراء يجتمع برئاستي مرتين في الاسبوع ويبحث شؤون السياسة والادارة في آن واحد، ورياض يجيئني دائماً فنوضح خطط العمل. وقد فاتحته ذات يوم بإعداد مشروع انشائي واسع، على هامش الموازنة، لا تخضع اعتماداته للقاعدة السنوية، فيبقى الاعتماد قائماً وان انقضت السنة عليه ويتحول حكماً الى السنة التالية . فرحب رياض بالفكرة وعقدنا مجلس الوزراء غير مرة لهذه الغاية، ودعونا مدير المال ومدير الاشغال المائية الى جلساتنا لاستطلاع رأي الاول في احتياطي الدولة ورأي الثاني في المشاريع المائية، وضممنا اليهما مدير النافعة لدرس مشاريع الطرقات الواجب فتحها واكمالها .

ومن طريف ما كان ان الامير جميل شهاب، المشهور بحرصه على مال الخزينة حتى درجة البخل، نصح بصرف الاموال الاحتياطية بعد ان اقتنع بان حفظ المال في صندوق بنك سوريا ولبنان لا يجدي الناس فتيلاً، فالفائدة عنه لا تذكر وهو مهدد بتدني النقد، وقد جرى هذا في الماضي قبل الاستقلال وقبل الضمان النقدي الاخير .

وتقدمت الحكومة بمشروع اول لعام ١٩٤٤ بمبالغ تناهز الاثني عشر مليون ليرة، فأرجأ المجلس الموافقة عليه ريثما تقدم له الوزارة مشروع الاشغال المنوي القيام بها في الخمس السنوات الاولى، وقد جارت الحكومة رغبة المجلس واخذ النواب يكيفون الاعتمادات وفقاً لحاجات مناطقهم، فتجزأت المشاريع ولكنها أتت بفوائد عظيمة .

وقد خصص الاعتماد الاول، وقدره نصف مليون ليرة، لقصري بيت

الدين ودير القمر، والاعتماد الثاني وقدره ربع مليون ليرة للطرقات المؤدية اليها، ذلك لانني كنت قد صممت منذ تسلمي زمام الدولة على ترميم تلك الاثار التاريخية .

خصومة كامنة :

كان بعض النواب يأتون الى البيت بعد انصراف الوزراء وانا في خلوة برياض الصلح نتجاذب اطراف الاحاديث، فندعوهم للاشتراك بالمباحثات، ومعظمها يدور حول شؤوننا الداخلية وعلائقنا بالفرنسيين وبالدول العربية والدول الحليفة، ونستعيد من حين الى آخر عِبَرَ سجن راشيا . واذكر تماماً ان عبد الحميد كرامي لم تكن عاطفته «على ما يرام» نحو زميله رياض الصلح، فصرت اسعى الى تلطيف الجو بينهما . وقد لاحظت، والحق يقال، ان مبادرة الخصومة قلما صدرت من رياض . وحافظ الاثنان امام الناس على الظواهر الولائية واما في الاجتماعات الخاصة فلم تكن الخصومة بينهما لتخفى عن جلسائهما .

تأخير تقديم الموازنة :

كدنا نصل الى دورة اذار العادية دون ان تقدم الموازنة بسبب الظروف الاستثنائية التي مرت علينا . وصارت ادارة الدولة تعيش على الاعتمادات الاثنتي عشرية، وهي تطرح على المجلس النيابي بمشروع قانون خاص يقره، واتصلت الدورة الاستثنائية بالدورة العادية . وتقدمت الموازنة لعام ١٩٤٤ في بدء دورة اذار .

فصل الرئيس اميل اده عن النيابة :

بقيت مسألة الرئيس اميل اده معلقة منذ العودة من راشيا الى جلسة ٣١ من اذار، وقد كثر الاخذ والرد حولها . ثم هدأ الرأي العام الناقم بعض الهدوء ولكنه ظل يطالب باتخاذ حل وسط يحفظ كرامة لبنان،

دون ان يصاب الرئيس اده بانتقام او بمحاكمة تسقطه من الحقوق المدنية . وكان ذوو العقول الراجحة يميلون الى اقصائه عن الاشتراك الفعلي بسياسة البلاد، فرأيت بعد طول التفكير والمذاكرة ان اهون الحلول يتمّ في إبعاده عن المجلس النيابي .

واحتوى جدول اعمال جلسة ٣١ من اذار مشروع قانون لحماية الدستور، تنفيذاً لاقتراحَي حميد فرنجيه وهنري فرعون في جلسة ٣ من كانون الاول ١٩٤٣، ومن الطبيعي ان تثار قضية النائب اده بمناسبة حماية الدستور الذي خرقه بقبوله رئاسة الدولة تعييناً من قِبل السلطة الفرنسية في الظروف التي عرفها القاصي والداني، فتقدم اميل لحود من المجلس باقتراح هذا نصه :

> « لما كانت المادة ٢٨ من القرار رقم ٢ الصادر في ٢ كانون الثاني ١٩٣٤ تنص على ان كل عضو من اعضاء المجلس النيابي يعين او يرقى الى وظيفة عامة ذات راتب يُعدّ منفصلاً من المجلس بمجرد قبوله لها، ولما كان السيد اميل اده قبل ان يعين بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ في وظيفة عامة وان يمارسها، فلهذه الاسباب يقرر مجلس النواب اعتبار السيد اميل اده منفصلاً عن المجلس وابلاغ الحكومة قراره هذا للعمل بمقتضاه . »

(تصفيق وهتاف) [1] .

ووافقت الحكومة على الاقتراح . وأراد النائب المقترِح ان يكتفي بمشروعه مشفوعاً بكلمة « عفا الله عما مضى »، ولها مغزاها البعيد، فتصدى له النائب جورج عقل، فشفع لحود اقتراحه بقوله :

« ما كنت اريد ان اتخطى قولي عفا الله عما مضى . اما وقوفهم

---

(١) ــ محضر جلسة ٣١ من اذار : ص ٣٦٧

من كلامي اني اريد ان اقصي اميل اده عن المجلس فاني اذكّر هذا المجلس بان الزميل اميل اده أقفله في وجه ٥٤ نائباً . واذكّره ايضاً انه اراد ان يكمّ صوت الامة . واذكّره ايضاً وايضاً ان اربعة اشهر كافية لاختمار هذه الفكرة . واذكّره اخيراً انه ما نزل عليّ وحي ولكنه وحي الامة يدوّي الآن ، فاطلب ان يصوّت المجلس على اقتراحي » (محضر الجلسة) .

وعقّب رئيس الوزارة على هذا الكلام مؤيداً . ثم قال النائب اديب الفرزلي في جملة ما قال :

« ... ولكن يستحيل علينا ان ننساه يوم خرج من هنا ناقماً على تعديل الدستور . اذكروا كرامة الوطن، اذكروا العهود التي قطعتموها لناخبيكم، وارجعوا بارواحكم الى الامة التي ترقب اعمالكم، وافصلوا نائباً كمّ افواهكم وأصمّ اذانكم وجرح كرامتكم . ويجب ان لا يفهم البتة ان فصل اميل اده يعتبر تحدياً لدولةٍ ما، او يشجب صداقة معينة، انما يجب ان يفهم من هذا كله ان مجلس الامة حريص على استقلاله وكرامته »[١] .

وبعد ان ردّ المجلس اقتراحاً بإرجاء المناقشة، أقر اقتراح اميل لحود بفصل النائب اميل اده من المجلس باكثرية ٣٥ صوتاً .

ما له وما عليه :

اما وقد انطوت صفحة من حياة الرجل السياسية فيجدر ان يوصف بما له وبما عليه، وإنْ بإيجاز :

لم أُسِءْ اليه في حياته بقليل او بكثير ، فكيف أُسيء اليه اليوم وقد لاقى وجه ربه، وحال دون نزاله حائل يعقل اللسان ويلجم القلم .

(١) – محضر الجلسة ص: ٣٦٨

عهدتُ المنافسة بيني وبينه سياسية بحت . فقيّدتُ نفسي فيها بروح الرياضة وآداب الوغى . اما هو فعزّ عليه ان اتقدمه وكان خَطوُهُ امامي، فأعطى تلك المنافسة طابعاً شخصياً، ورضي ان تُمعن صحفه بي طعناً وتجريحاً . ولو اقتصرت الاساءة عليّ دون ان تتعداني الى الوضع والكيان لسدلتُ دونها ثوباً، وطويتُ عليها كشحاً، وغضضتُ عنها طرفاً والتمستُ لها عذراً .

كان اميل اده متوقد الذهن، سريع الخاطر، ظريف المعشر، جذاباً، خاطف المداورة، يُقدِم قبل ان تُستكمَل عناصر الاقدام، ويحجم دون ان يُبقي لنفسه فضلاً بالاحجام، لا ينقصه من مميزات رجل الدولة سوى التحلي بالصبر ، والتعمق في الدرس ، والاحاطة بالامور من جميع نواحيها .

متين في صداقاته، قاسٍ في خصوماته، سخي العتاب، ضنين المعذرة، طموح الى آخر مرتقى الطموح، وقد حُقّ له لوفرة مواهبه وقوة شكيمته وشدة مراسه .

قد يكون خطأهُ خطأً في العقيدة، ذلك انه كان ضيق الايمان بالاستقلال التام الناجز وبديمومة الميثاق الوطني . ضعيف الثقة بدنيا العرب . ولو انقادت اليه مَقاليد الامور واصبح في مقدوره تحويل مجرى الحادثات لانشأ لبناناً اصغر من الكبير، وأكبر من الصغير، يضم بيروت قاعدةً له والبقاعَ الغربي مدى حيوياً، ولاحاطه بسياج من الوصاية الفرنسية، ولجعل من لبنان هذا موطناً ترجح فيه كفة على كفة رجحاناً بيناً، يحتل هو فيه مقام الصدارة ممسكاً عصا الاقتدار، واسع السلطة مرهوب الجناب .

هذا المزيج من المواهب والعطاء والنقص والخواء الذي كان يغلي به صدر اميل اده غليان المرجل لا تخمد من تحته النار، قاده الى يوم

راشيا . ولو رفض عروض الفرنسيين وظل في داره قابعاً ينتظر تطور الاحداث، لعظم في نظر مواطنيه ولسجل لنفسه صفحة ناصعة البياض في تاريخ لبنان، لكنه، سامحه الله، أخذ برأسه دوار القمم، واستهوته رفرفة العلم، وراقه تسلم الحكم وإقصاء الخصم عن اقرب الموارد، فكبا جواده ولم يعد لاقالة عثاره من سبيل، فصعد على حطام الدستور الى مشارف الحكم رهيناً سجيناً، بينما نزلت الرئاسة الشرعية الى غياهب السجن حرة طليقة، وكان لها على يد الله ويد اللبنانيين ذلك النصر المبين .

وفد لبناني الى بغداد والرياض :

لم تنتهِ جلسة ٣١ من اذار عند ذلك الحد بل تابع المجلس مناقشاته، فأقرّ مشروع قانون حماية الدستور الذي اقترحه حميد فرنجيه ، وهو يقضي باعتبار المواد من ٢٧٠ الى ٣٤٩ من قانون الجزاء الجديد مرعية الاجراء على الفور ، اي قبل تنفيذ القانون الجديد برمته ، لان ذوي الاختصاص أفتوا بأن البنود المذكورة كافية للغاية المطلوبة .

ثم بحث المجلس دعوة حكومتي العراق والمملكة العربية السعودية للبنان ، وسفر الوفد اللبناني الى القطرين الشقيقين ، فهنأ اعضاء المجلس الحكومة على سياستها الخارجية الرشيدة الرامية الى توثيق عرى المودة بين لبنان والاقطار الشقيقة ، وقرر اعتماداً مالياً لسد النفقات يزيد على المبلغ الذي طلبته الحكومة، وذلك لعظيم ثقة المجلس بها، ولرغبته بتأمين نفقات تليق بتمثيل لبنان في الخارج .

وفي اوائل نيسان سافر وفدنا الى بغداد ومنها الى الرياض ، وكانت حكومة العراق قد اعترفت باستقلال لبنان قبل سفره ، اما الحكومة العربية السعودية فابلغتنا اعترافها باستقلالنا وفدنا ما يزال في عاصمتها .

واخذ الرأي العام يتلقى تلك الاخبار بالاعتزاز ، ومشت فكرة الاستقلال تترسخ يوماً بعد يوم .

الانتخابات الفرعية :

دعونا الناخبين في محافظتي جبل لبنان والشمال للانتخاب الفرعي بعد أن خلا مقعد ثانٍ في المحافظة الاولى بفصل النائب اميل اده عن المجلس .

ترشح للمقعدين الشاغرين في جبل لبنان كثيرون ، ولكن بقي منهم الشيخ فريد الخازن وخليل ابو جوده ولويس زياده ، ولم يلبث هذا ان انسحب هو ايضاً من الميدان ، وبذلك افسح المجال لنجاح نائبين دستوريين لم ينجحا في سنة ١٩٤٣ .

اما في الشمال فترشح ندره عيسى الخوري وحسيب طاريا جعجع اخو النائب المتوفى ، وكلاهما من بشري ، وترشح يوسف كرم من زغرتا .

ولما كانت بيننا وبين ندره عيسى الخوري علاقة نسب طلبتُ اليه الانسحاب فامتثل وعمل برغبتي . وتمّ الانتخاب يوم الاحد في ٢٣ من نيسان ونجح الشيخ فريد الخازن وخليل ابو جوده في جبل لبنان . وفاز في الشمال يوسف كرم .

حوادث ٢٧ من نيسان :

وما ان عُرفت نتيجة الانتخاب في الشمال حتى اندفع خصوم العهد يبشرون بهذا الفوز ، صابغينه بصبغة سياسية زائفة ، كأنه فوز للسياسة الاستعمارية على السياسة اللبنانية ! واندفعت الابواق التي تتلبس بالمسيحية تبشّر بالقيامة وتستعد لدخول كرم المجلس بتظاهرات شعبية .

ومما اذاعته الابواق المعلومة ان ابن كرم حفيد يوسف بك سيصل الى بيروت ممتطياً جواداً أدهم بلباس جده اللبناني . واستفادت بعض الدوائر

التابعة للادارات الفرنسية، والمؤلفة خصوصاً من لبنانيين، لبث الدعاية ودفع المال وتوزيع الاسلحة، حتى تبدأ التظاهرة ساعة وصول يوسف كرم الى بيروت، فتنقلب الى شغب ومنها الى ثورة دموية تجتاح العهد، وتريح الدولة المنتدبة من هيكل الحكومة الجديد، فينتعش الانتداب المحتضر .

وتعينت اولى جلسة للمجلس بعد الانتخاب الفرعي يوم الخميس في ٢٧ من نيسان واتخذت الحكومة تدابير حكيمة، منها حصر التظاهرات، وعدم استعمال السلاح من قِبل قوى الامن الا في حالة التعدي عليها ، والمنع من دخول المجلس الا لحاملي البطاقات . ووزعت قوى الدرك والشرطة على جوانب البرلمان — وكان الجيش والامن العام لا يزالان بيد الفرنسيين — وقد دخلت المدينة سيارات متعددة من جسر بيروت مع سيارة يوسف كرم، متجهة نحو ساحة الشهداء حيث ترجل المتظاهرون وانضم اليهم آخرون حملوا العَلم اللبناني القديم، اي العلم الفرنسي الذي تتوسطه الارزة ، وساروا الى البرلمان واخترقوا الحواجز حتى وصلوا الى ساحته . وحمل آخر العَلم الفرنسي محاولاً ان يرفعه على باب المجلس . وأراد الجمع ان يقتحم الباب الحديدي ويدخل قوة وقسراً ، فأطلقت قوى الامن النار في الفضاء، واطلق نعيم مغبغب من المدخل بعض القنابل اليدوية إرهاباً فجُرح، وتفرقت الجموع مع عَلَمها القديم . وقيل ان الفرقة السنغالية المرابطة لحراسة دار التلفون الفرنسية اشتركت باطلاق النار من الجهة القبلية على المجلس النيابي . واختلط الحابل بالنابل ، وقُطعت اسلاك التلفون حتى انني لم اتمكن من مخابرة المندوب الفرنسي لاطلعه على تصرفات اتباعه، وفي مقدمتهم مرافقه الخاص البوليس منصور الذي قاد التظاهرة بكل وقاحة . ولحسن الحظ سيطر الدرك اللبناني على الموقف بسرعة فائقة واعتقل بعض المتظاهرين، ومنهم كاهن اشوري مسلح اطلق الرصاص يميناً وشمالاً .

ودخل يوسف كرم المجلس وحده ولاحظ الجميع ان صفرة قد

اعترت وجهه . وافتتحت الجلسة واقتصرت على بيان من رياض الصلح رئيس مجلس الوزراء شجب به عمل الخونة « الذين ارادوا ان يعتدوا على قدس الاقداس الا وهو المجلس النيابي، معتقدين ان حلم الحكومة ضعف . فالحكومة ستضرب بيد من حديد على هذه القبضة الصغيرة من الخائنين، وان كلاّ من اعضاء الحكومة ورئيس المجلس واعضائه سيقفون سداً منيعاً في وجه كل من تحدثه نفسه بالاعتداء على سلامة هذا الوضع الذي نحميه بدمائنا . »

وأيد يوسف كرم موقف رئيس الوزارة وتلا بياناً اذاعه بعد الجلسة، هذا نصه :

« استغل بعض المشاغبين والخونة مناسبة حضوري الى مجلس النواب فحاولوا رفع العلم الفرنسي على باب المجلس اصطياداً في الماء العكر، فجرت حوادث آسف لها كل الاسف . وانا استنكر هذا العمل كل الاستنكار واؤيد بكل قواي وطني العزيز لبنان العربي المستقل . عاش لبنان، وعاش المجلس، نائب الشمال : يوسف كرم . » (محضر جلسة ٢٧ من نيسان)

ثم انتقد النائب كاظم الخليل فرنسا على سياستها وطلب تسلم الجيش، فأجابه رئيس الحكومة : ان اللبنانيين كلهم جنود ريثما يصير تسلم الجيش . وطلب رياض الثقة على هذا الاساس فنالها بالاجماع .

انتهت الجلسة وذهب الوزراء الى السراية الصغيرة، ولدى نزولهم من السيارات اطلقت صوبهم العيارات النارية من مجهولين، مما جعل الوطنيين يتحمسون كثيراً للوضع ورجاله، ولولا حكمة الحكومة لوقعت حوادث لا تحمد عقباها . ولكن الوزارة ضبطت اعصابها وتركت الامر لقوى الامن ولرجال العدل ، واحالت الدعوى على المجلس العدلي، وتوارى نعيم مغبغب عن العيان، وأخذت السلطة الفرنسية تتعقبه لاحالته الى المحكمة العسكرية . وقد زارني نعيم في القصر الجمهوري في اليوم الثاني من

الحادث فلطّفتُ خاطره وهنأته على موقفه، ونصحت له بان يبقى بعيداً عن الابصار حتى نتدبر أمره دون أن يوقفه الفرنسيون .

وعلى أثر الجلسة جاء الى القصر بعض النواب يرافقهم يوسف كرم وأعاد النائب الجديد امامي تأسفه على ما جرى . وترك بيروت في تلك الليلة يرافقه هنري فرعون الى نهر الكلب خوفاً من ردة فعل ضده، وهناك كان بانتظاره بعض اعوانه فرافقوه الى زغرتا .

ومما لم يذكره احد ان الخطة التي رُسمت للمتظاهرين كانت تقضي باقتحام المجلس النيابي اولاً، ثم اقتحام دار الرئاسة، بعد ان قطعوا اسلاكها الهاتفية . وكان الامر سهلاً لان درك القصر استُخدموا للمحافظة على الامن في انحاء المدينة ولم يرجعوا الا بعد ان فشل الهجوم على المجلس . وعبرة ذلك ان الحارس هو الله .

احتجاج الجنرال بينه على حوادث ٢٧ من نيسان :

بقيت قوى الامن معسكرة في ساحة الشهداء امام السراية وفي ساحة البرلمان يومين او ثلاثة، وصادف يوم ٢٨ من نيسان موعد عرض طائرات « السپتفاير » الانكليزية امام سراية البرج، فخرجت مع اعضاء الحكومة لفحصها وقوبلنا بتظاهرة تأييد حارة، وتعالى التصفيق في الشرفات والشوارع ، وكاد الجمع يخترق صفوف الدركيين المحيطين بجوانب الساحة، مما دل على ان حادثة اليوم السابق خلقت تياراً شديداً في جميع طبقات الشعب لتأييد الحكومة .

وفي التاسع والعشرين من الشهر عينه كان موعد قيام الطائرات « سپيتفاير » بتمارين وحركات فوق المطار، فدعت المفوضية البريطانية السلطات اللبنانية والهيئة السياسية والموظفين والاعيان لحضور المهرجان، وأُعدّت المقاعد على سطح بناية المطار، وعند وصولي استقبلني في الساحة

الجنرال سپيرس، وعرضتُ قوة من حرس الطيران الانكليزي بملابسها الخاصة، وصعدتُ الى السطيحة فعانتنا حرارة الشمس . وبدا المندوب الفرنسي الجنرال بينه بحالة عصبية اثناء التمارين في حين انه قام بواجب السلام على رئيس الجمهورية وأركان الحكومة باحترام زائد . وكان قد طلب مني موعداً لاستقباله في النهار نفسه فعينتُ له الساعة السابعة مساء اي بعد انتهاء الحفلة .

استقبلتُ الجنرال بينه في القاعة بحضور رياض الصلح، وكان يرافقه سكرتيره العام المسيو استروروغ ودعوتها للجلوس فلم يجلسا، وتلا الجنرال مذكرة احتجاج شفهية على حوادث ٢٧ من نيسان وعلى العبارات التي قيلت في المجلس ضد فرنسا وانسحب حالاً مع رفيقه بعد ان قدمها لي، فدفعتها الى رئيس الوزارة .

وفي الليلة عينها دعوت سليم تقلا وزير الخارجية واعددنا جواباً مفصلاً ومُفعِماً رداً على تلك المذكرة، ودعوت المسيو بيار بار وكيل المندوب الفرنسي لدى الحكومة اللبنانية ودفعته اليه . وانتهى الحادث ظاهراً غير ان الجنرال بينيه أمر المحكمة العسكرية بملاحقة نعيم مغبغب فحوكم نعيم غيابياً وحُكم عليه بالسجن .

القداس القنصلي :

ومما زاد الامر تفاقماً ان الفرنسيين تشبثوا بالاحتفال بالقداس القنصلي الذي كان يرئسه القناصل الفرنسيون في الكنيسة اللاتينية والكنائس الكاثوليكية الشرقية في عهد تركيا إقراراً بحماية فرنسا لمسيحيي الشرق، وقد ورثه الانتداب عن العهد العثماني وصار المندوب يرئس الاحتفال به.

وأراد الجنرال بينيه ان يحتفظ بهذا التقليد في العهد الاستقلالي فلم نوافقه على ذلك . وصادف عيد القديسة جان دارك في العاشر من نوار

فكتب اليّ يدعوني لحضور القداس المزمع اقامته لهذه المناسبة برئاسته في كنيسة الآباء الكبوشيين فأجبتُ بالرفض، فأوفد اليّ المسيو بار يرجو ان انتدب احداً عني لحضور الحفلة فأصررت على موقفي وقلت له : ان الاتفاق بين الفاتيكان وفرنسا على اقامة هذه الحفلات مشروط به قبول حكومة البلاد . وما دمنا لا نقبل به فعليهم الاقلاع عنه .

واقيم قداس جان دارك بدون حضور ممثل عنا . وانتهزتُ الفرصة فبلغت اساقفة الطوائف الكاثوليكية إلغاء القداس القنصلي في كنائسهم استناداً الى النص الآنف الذكر . امـــا الطوائف الارثوذكسية فلم تجرِ العادة على اقامة مثل هـــذه الحفلات فيها ولم يكن من داعٍ لابلاغها الالغاء . وهكذا اندثر ذلك التقليد ، وصارت كاتدرائية اللاتين تحتفل بقداسات حبروية يحضرها ممثل فرنسا في مقدمة الجالية الفرنسية . وهذا أمر لا اعتراض لنا عليه ما دام انه لا يتسم باي طابع حماية سياسية .

ونتج عن ذلك الإلغاء امران :

الاول : تمنّعُ السفير البابوي، بعد تعيينه، من رئاسة الاحتفال الديني بهذا القداس خلافاً لما كان يقوم به القاصد الرسولي، وذلك لان سفير البابا له صفة دبلوماسية وهو معتمد لدى رئيس الجمهورية .

والآخر : إبلاغنا جميع الكنائس، بما فيها اللاتينية، وجوب تأدية المراسم التشريفية في الاحتفالات الدينية، كالتبخير ولثم الاشياء المقدسة، لرئيس الجمهورية او لممثّله دون سواه .

وأظهر رجال الاكليروس اللاتيني منتهى اللياقـــة فصاروا يؤدّون المراسم للرئيس اللبناني مرفقة بجميع مظاهر الاحترام في عيد قداسة البابا .

ويقيننا ان هذه التقاليد التي اقمناها بشقّ النفس سوف تستمر بعدنا لتكريم لبنان أيّاً كان رئيسه .

تسلم اول فوج من الجيش :

تسلـّمنا المصالح المشتركة واحتفظ الفرنسيون بقوى الجيش وحراسة ممتلكات العدو بسبب قيام الحرب . وكنت قد اقترحت عليهم في ذاك الحين ان يسلـّمونا قسماً من الجيش لصيانة الامن الداخلي فتأخّر التسليم .

وشعرنا بحاجـــة لدعم قوانا الداخلية بعد حادث ٢٧ من نيسان، فاقترحت الحكومة على مجلس النواب تخصيص اعتماد لزيادة ٢٥٠ دركياً وأُقرّ الاعتماد على الفور وَقبل الاقتراع على الموازنة .

ويجدر القول إن علائقنا بالجنرال بينيه – وكانت قد توترت جداً بعد تبادل المذكرتين عن حادثة نيسان، وأثر رفضنا التمثيل في القداس القنصلي – عادت الى التحسن تدريجياً، فأعدنا الكرّة لتسلـّم فوج من الجيش اللبناني ولم نرَ ممانعة، ووُضع البروتوكول اللازم بهذا الصدد وأقيمت حفلة خاصة لتسلـّم الفوج رسمياً في الملعب البلدي في ١٥ من حزيران . فوصلتُ في الساعة المعينة ومعي اعضاء الحكومة واستقبلني الجنرال بينيه في المدخل، وعُزِف النشيد اللبناني وعرضتُ الفوج، والجنرال يرافقني مع الزعيم فؤاد شهاب . وعدتُ الى المقاعد حيث ينتظرني المدعوون . ثم نزلتُ الى الساحة وتقدم الجنرال بينيه وسلـّم الزعيم شهاب علَماً لبنانياً وعلَم الفوج، فتقدم الزعيم مني وقدّم لي العلَمين فأخذتهما بيدي، ومرّ الفوج امامنا بكل انتظام يتقدّمه قائده العقيد جميل لحود، فصفق المدعوون كثيراً . وانتقل الجميع الى مقصف اقيم بجوار المقاعد وشربنا نخب الجيش اللبناني الذي تسلـّمنا نواته الاولى في ذلك اليوم، ثم انصرفتُ مع اعضاء الحكومة يشيّعني الجنرال بينيه والزعيم شهاب والعقيد لحود بينما الجنود يؤدّون التحية العسكرية، وجمهور المدعوين والمتفرجين يصفقون ابتهاجاً.

واضطررنا بعد مدة لاستخدام هذا الفوج في لبنان الشمالي لقمع بعض الحوادث المخلة بالامن ، فلقي تصرف الضباط والافراد ارتياحاً عاماً لشدة انضباطهم وحسن سلوكهم .

تعديل الوزارة ـ تعيين وزيرين مفوضين :

بينما الاحداث الجسام تتوالى على لبنان، ولمصلحة لبنان، على رغم مما اعترضنا من مصاعب طبيعية في بدء عهد خطير كعهد الاستقلال، توالت الانتقادات القاسية للحكومة، خصوصاً بشخص وزير التموين عادل عسيران وشخص وزير الداخلية كميل شمعون، ولما آن الاوان لتعيين وزيرين مفوضين في خارج البلاد فكرنا بإرسال كميل شمعون الى لوندرة وموسى مبارك الى الجزائر، فاعتذر الاخير عن قبول المركز واخترنا احمد الداعوق رئيس الوزارة الاسبق بدلاً منه . وعُدّلت الوزارة فخلف حميد فرنجيه كميل شمعون، وخلف محمد الفضل عادل عسيران وصدرت المراسيم بهذا التعديل وبتعيين الوزيرين المفوضين في اول تموز .

وفتحت دورة جديدة للمجلس النيابي في ٥ من تموز استمرت الى الدورة العادية في تشرين الاول . وكذلك كانت الدورة تتصل بأختها، والمجلس النيابي واقف على شؤون الدولة، والوزارة تنال الثقة بأكثرية تكاد تشبه الاجماع .

رفضنا عقد معاهدة مع الفرنسيين :

بعد تعديل الوزارة طلعتُ الى عاليه للاصطياف كالمعتاد . وفي اوائل

لا معاهدة

صيف ١٩٤٤ غادر الجنرال سپيرس لبنان بالاجازة الى بلاده، وفور عودته طلب مقابلتي في منزلي في عاليه فاستقبلته بحضور رياض الصلح رئيس الوزارة وسليم تقلا وزير الخارجية، وأبلَغَنا الجنرال بوصفه وزيراً مفوضاً لبريطانيا العظمى ان حكومته تطلب منا رسمياً عقد معاهدة مع فرنسا لانهاء الانتداب، وذلك عملاً بالوعود التي قَطَعتْها للجنرال دي غول وللفرنسيين الاحرار الذين وُعدوا ايضاً بمركز ممتاز في دولتي المشرق. فأجبته: «لن نعمل بهذه النصيحة مطلقاً. ويجب ان ننتظر انتهاء الحرب. ونطلب ان يكون لنا كلمة في معاهدة الصلح. فنحن نقول بان الانتداب قد انتهى. وقد سبق لنا ان رفضنا تصفيته عن طريق معاهدة، وهكذا عدّلنا الدستور دون استشارة فرنسا. فسياسة حكومتنا هي ان تبقى الى مؤتمر الصلح حرة طليقة.»

وانصرف الجنرال ولم يُبدِ ملاحظة على جوابنا.

وبعد اربع وعشرين ساعة طلب الجنرال بينيه ان استقبله، وقد استصحب المسيو استروروغ سكرتيره العام، فدعوتُ رئيس الوزارة ووزير الخارجية وهما اللذان حضرا أمسِ مقابلة الجنرال سپيرس.

صرّح لنا المندوب الفرنسي ان حكومته ترغب في عقد معاهدة مع لبنان تقوم مقام الانتداب، وذلك لتصفية علائقنا الماضية وفقاً للوعود التي قُطعت لها من قِبَل حليفتها بريطانيا، وان فرنسا تدعونا لفتح باب المفاوضات للوصول الى هذه النتيجة.

فأجبته: «ان لبنان دولة مستقلة، وهو لا يرغب في عقد معاهدة مع ايّة دولة من الدول قبل انتهاء الحرب واجتماع مؤتمر الصلح، وبعدئذ يفتح باب البحث في المعاهدات مع جميع الدول الراغبة في عقدها مع لبنان على اساس المساواة التامة وبدون أي مركز ممتاز.»

فدهش الجنرال للجواب وعلا وجهه الاصفرار، وأخذ مع سكرتيره

العام يناقشنا في ضرورة الامر وفوائده الحاضرة والمستقبلة، خصوصاً وان فرنسا متفقة كل الاتفاق مع حليفتها بريطانيا على ان الانتداب قائم فعلاً . فأجبته : «ان وزير بريطانيا ابدى لنا النصيحة عينها، بناء على تعليمات من حكومته، فأسمعناه هذا الجواب للاسباب عينها .»

وطالت المناقشة وقتاً طويلاً، وتشبّث كلٌّ منا برأيه لم يحدْ عنه قيد شعرة .

وبــدا امتعاض الجنرال ظاهراً، وودّعنا مُظهراً أسفه العميق لهذا الموقف .

نظر كلٌّ منا الى رفيقه، ولخّص رياض الموقف قائلاً : «لا فضل لي برفض مثل هذه المعاهدة، ولكن الايام ستُظهر فيما بعــد فضل الشيخ الماروني اللبناني القديم على لبنان والعرب بهذا الرفض ... لقد كنتَ يا سيدي الرئيس اميناً على العهد، وسنظل نحن ايضاً امناء عليه .»

مشاكل احتلال باريس :

وتوالت المشاكل لا تحصى، وتوالى احتجاجنا عليها وظل الفرنسيون يتهربون من التبعة، فنضطر حيناً بعد آخر لان نصدر بيانات في استنكار اعمالهم، خصوصاً عندما يصدرون تدبيراً اشتراعياً لم يَعدْ من حق المنتدب القديم، فكانوا يقنعون ويعدون بأنهم لن يفعلوا شيئاً بعد الآن، ثم يعودون فتصدر المفوضية قرارات بشؤون مختلفة، كتصفية بعض المصالح المشتركة او الحراسة على اموال العدو او اعمال بنك الإصدار . وكنا نحتج ونعترض ويتوتر الجو . وقد جالدنا وتحمّلنا النصب منذ رجوعنا من راشيا وخصوصاً بعد ٢٧ من نيسان واثناء صيف ١٩٤٤، وظلّت الطريق وعرة جداً .

في تلك الايام العصيبة دخل الحلفاء باريس فانفجرت نشوة عند الفرنسيين كأن شراذمهم الضئيلة التي اشتركت في احتلال العاصمة هي

التي حازت النصر دون اية معونة من الحلفاء ! وكذلك جاش النَزْغ في بعض المتطرفين من سكان البلاد ووهموا أن النصر المذكور سيتعدى حدود فرنسا ويجرف العهد القائم في لبنان ورجال العهد، ويعيد الانتداب واعوانه الى الحكم ! وكان في ذاك الحين عمَلَة كثيرون من المواطنين يشتغلون في المصانع الفرنسية في بيروت ورياق وحمانا فأركبهم ضباطهم الكميونات العسكرية وأخذوا يطوفون المدينة والقرى هازجين مستفزّين سواهم، ونحن صابرون، والله مع الصابرين !

عودة الى صلاتنا العربية :

يوم انتخابي رئيساً للجمهورية أعلنتُ من على منبر المجلس النيابي ان عهد الانعزال في لبنان قد زال، فنتج ان الدول العربية اطمأنت كل الاطمئنان الى سياستنا الجديدة .

واول عمل قمنا به ان وقّعنا مع الحكومة السورية على اتفاق شتوره في الاول من تشرين الاول ١٩٤٣، اي بعــد عشرة ايام من انتخابي، فأثيرت ضدنا عاصفة من الانتقاد ولكننا حافظنا على علائقنا مع سوريا في ادقّ الظروف السياسية والاقتصادية، وعانينا حملات شديدة في الصحف بسبب الوحدة الجمركية . واول احتجاج تلقيته جاءني من البطريرك الماروني، وقد نشره في الصحف وأحرج الموقف ونحن في اول عهــد الاستقلال، فاضطررت لان أردّ عليه بكتاب خاص . وكذلك حمل صديقي يوسف السودا على ذلك الاتفاق حملة شعواء .

ومع العلائق الرسمية اخذت صلاتنا الشخصية والودية تزداد يوماً فيوماً، فلما فوجئنا بمرض الرئيس السوري السيد شكري القوتلي في اذار، تأثرنا كأنه حل بأحدنا، وتلقينا الخبر ونحن على مائدة العشاء في البيت ومن ضيوفنا الجنرال سبيرس واعضاء الوزارة، فتنادينا على الهاتف بلهفة نتسقط

آخر الاخبار، وهمّنا ان نرسل الى دمشق الاطباء اللبنانيين ليلاً في سيارات حكومية للمداواة . وفعل الجنرال سپيرس فعلنا واتصل بأطباء الجيش الانكليزي وأرسلهم الى دمشق لمعاونة الاطباء السوريين واللبنانيين في عنايتهم بشكري بك .

ودامت الاتصالات حتى أبل الرئيس من وعكته القاسية وجاء يستجم في صوفر بضعة ايام . وشاء ان يكون بعيداً عن كل تظاهرة سياسية او دعوة رسمية فاحترمنا رغبته واكتفينا بتبادل الزيارات الخاصة، في فندق صوفر وفي بيتي في عاليه، وكانت تدور بيننا الاحاديث الودية، وعرضنا جميع الشؤون التي تهم البلدين وعلائقها بالبلدان العربية والدول الاجنبية، وكنا على تمام الاتفاق ونحن على عتبة اجتماعات الاسكندرية التي اوصلتنا الى البروتوكول ثم الى ميثاق الجامعة، وكان يُطلق عليها في ذاك الحين اسم «مشاورات الوحدة العربية»، وهذا التعبير غير منطبق على الواقع .

ومـــا قيل عن علاقتنا بسوريا يقال مثله عن علائقنا بمصر والعراق والمملكة العربية السعودية مما ذكرناه سابقاً، اما اليمن فعلاقتنا بها كانت كتابية تتم عن ارق العواطف .

وقد اعترفت جميع الدول العربية باستقلالنا فوراً بعد عودتنا من راشيا . وفي سنة ١٩٤٤ تبادلنا التمثيل السياسي بيننا وبينها، واحدة تلو الاخرى . وغيمة وحيدة ظهرت في الافق من جهة شرقي الاردن بسبب مشروع سوريا الكبرى، وهو المشروع الذي عكّر بين الامارة الاردنية والجمهورية السورية، وما كنا لنرتاح له . وقد تحرّجت الحالة عندما اظهر الامير عبد الله بن الحسين — قبل ان يصير ملكاً — رغبته في زيارة احدى قريباته في مستشفى لبناني، فلم ترَ وزارة الخارجية مانعاً من ذلك وأجابت بالايجاب، وبلغ الخبر مسامع رئيس جمهورية سوريا

فاتصل بي هاتفياً، ثم اتصل برياض الصلح، وطلب الينا بالحاح ما بعده من مزيد ان نرجع عن موافقتنا على الزيارة، فتردّدنا كثيراً ثم قبلنا طلبه على غير رضى، وانتحلنا عذراً ضنّاً بأخوتنا مع سوريا . فوجد الامير علينا ومضى يبوح بعتبه امـــام زائريه . وصرنا نسعى الى تلافي الأثر بقدر امكاننا ولم نُفلح إلا بعد زمن طويل .

وتجدر الملاحظة ان بعض اللبنانيين كانوا ينظرون الى توطيد علائقنا مع البلدان العربية بالحذر والتحفظ، ونحن نجيب من يشكو الينا همه واهتمامه : ان اصبروا علينا قليلاً وسوف ترون ما هي الفائدة الكبرى من سياستنا هذه في الخارج وفي الداخل ايضاً .

صلاتنا مع الدول الاجنبية

فرنسا :

تبين فيما سردناه سابقاً نوع العلائق التي تربطنا بفرنسا وتبين موقفنا منها، فقد أعلنا منذ تسلّمنا الاحكام ان الانتداب قد انتهى ولكن الفرنسيين ظلوا يقولون إنه لا ينتهي الا بمعاهدة، وأثبتنا رأينا بان عدّلنا الدستور وأثبتوا رأيهم باعتقالنا في راشيا . ومن ذلك الاحتكاك ولد الاستقلال .

وكان للفرنسيين جنود في البلاد وجدوا بحكم الانتداب السابق، وبسبب الحرب الكونية، وكان لهم محكمة عسكرية . وصار من الضروري مداواة تلك الوقائع المادية او الامور الوضعية او الحـــالة الراهنة بالمفاوضات . وقد اشرنا الى تسلمنا المصالح المشتركة في كانون الاول سنة ١٩٤٣ وهي الخطوة الاولى، فمن الضروري ان تعقبها خطوات . وأشرنا الى ان البريطانيين نصحوا لنا بعقد معاهدة مع فرنسا وان الفرنسيين طلبوا منا ذلك رسمياً، فرفضنا النصح والطلب وبقي كل على موقفه، زد

على ذلك حوادث نيسان سنة ١٩٤٤ والدسائس الداخلية الدائمة، وهي أمور لا تسهّل سير العلائق الطيبة بين الحكومتين . وكنت انصح دائماً بالصبر والاعتدال، وأطالب باستكمال اسباب السيادة، وألحّ على الاخص على المندوبين الفرنسيين بان يبدلوا شكل تمثيلهم ليصير تمثيلاً دبلوماسياً أسوةً بالدول الاخرى، وظلوا يتهربون !

ولما عُيّن الجنرال بينيه مندوباً عاماً لفرنسا في لبنان لم يقدّم اوراق اعتماد، بل اكتفى بحمله كتاباً من الجنرال دي غول الى رئيس الجمهورية اللبنانية قدمه لي كممثل لفرنسا .

وأردنا ان ننشىء مفوضية دبلوماسية لدى حكومة فرنسا الحرة في مدينة الجزائر فلم تمانع بالامر، وعيّنا احمد الداعوق وزيراً مفوضاً في اول تموز سنة ١٩٤٤، إلا ان سفره تأخر الى بعد احتلال باريس فصدر مرسوم آخر في ٢٥ من تشرين الثاني بتعيينه وزيراً مفوضاً لدى حكومة الجمهورية الفرنسية الموقتة ، وسافر على مدرعة حربية الى مرسيلية في كانون الاول .

ولم يبادلنا الفرنسيون هذا التمثيل السياسي في حينه ولم يرسلوا اول وزير مفوض من قبلهم إلا في عام ١٩٤٦ .

بريطانيا العظمى :

كان لبريطانيا قبل الحرب قنصل عام هو المستر هافارد، اضطرته الظروف للبقاء في عاليه عندما انفردت فرنسا بعقد الهدنة مع المانيا (حزيران ١٩٤٠)، ثم غاب ولم يعد إلا بعد دخول القوى الفرنسية الحرة والعساكر الانكليزية (تموز سنة ١٩٤١) فهنأته بالعودة وأجابني بانه عابر طريق وانه سيصل الى لبنان قريباً رجل كبير من السياسيين

البريطانيين ومعه اعوان له يتولّون جميع الشؤون السياسية والادارية التي تهم الحكومة البريطانية ما عدا شؤون الجيش .

ثم وصل الجنرال سپيرس وأعوانه الى بيروت، وكان الجنرال عضواً في مجلس العموم وصديقاً حميماً للمستر تشرشل رئيس الوزارة الانكليزية، فعطف منذ الدقيقة الاولى على الاستقلال اللبناني حتى انــه لم ينتظر استكماله لينشىء مفوضية سياسية لدولته في لبنان، فقدّم الى السيد ألفرد نقاش اوراق اعتماده كوزير مفوض ومندوب فوق العادة[1] .

الولايات المتحدة :

كان يمثلها في بيروت قنصلها العام المستر ودسورث[2] وبعد انتخابي رئيساً اعترفت حكومته باستقلالنا بدون قيد ولا شرط، ورفعت قنصلها الى رتبة وزير مفوض، فقدّم لنا اوراق اعتماده رسمياً في ١٧ من تشرين الثاني ١٩٤٤ .

الاتحاد السوفياتي :

في صيف ١٩٤٤ حضر معتمد خاص عن الحكومة السوفيتية هو المسيو نوفيكوف وانشأ علائق دبلوماسية معنا . ثم خلفه الوزير المفوض

---

(١) — في ١١ من شباط سنة ١٩٤٢ .

(٢) — كان يعرف الشرق معرفة تامة وله غيرة على بنيه منذ كان استاذا في الجامعة الاميركية (وتلاميذه يسمونه اقتضاباً: المستر «وزوز») . برودته ظاهرة . وقلبه متوقد . اكب على مشكلتنا وتابع نشاطنا وشجعنا عليه، ووقف بجانبنا يوم راشيا، وساعدنا على اعتراف الولايات المتحدة باستقلال لبنان . وهو اول من افتتحنا معه تقليد الغداء على مائدة القصر يوم تقديم اوراق الاعتماد .

نقل من لبنان وبقي على صلاته الطيبة معنا . ولم يمر يوماً ببيروت الا زارنا وبثنا عواطف الشوق والتأييد . بقيت له مكانة لدى اللبنانيين لخدماته الجلى .

المسيو سولود في اوائل تشرين الاول سنة ١٩٤٤ وقدّم اوراق اعتماده لنا في ٣٠ من الشهر عينه .

بلجيكا :

كان لها قنصل عام اسمه المسيو دلكوين . أنشأت مفوضيتها في بيروت في ٢٩ من نيسان ١٩٤٢ اي بُعيد انشاء المفوضية البريطانية، وكان المسيو دلكوين استقلالياً بدمه فساعدنا كثيراً يوم اعتقال راشيا وصارت علائقنا بدولته تزداد متانة بعد اعلان استقلالنا التام .

وجدير بالذكر ان لبنان دخل الحياة الدولية دخولاً فعلياً منذ عودتنا من راشيا، إذ اصبح موجهاً في العالم العربي وفي العالم الغربي . وكنا نبذل جهدنا لنضمن له علائق حسنة مع الدول جمعاء . وقد وفّقنا الله في ذلك الى ابعد مدى .

وبعد ان خطونا الخطوات الاولى، وهي الصعبة، مشت الامور حسب المرغوب وصار التبادل الدبلوماسي عملاً عادياً .

الذكرى السنوية الاولى لانتخاب الرئاسة :

اخذ بعضهم على رياض الصلح تفرّده الظاهر بالحكم دون الالتفات الكافي الى مقام الرئاسة، فأراد ان يعطي البرهان الحاسم على عكس ما قالوه وقرر، بمعزل عني، إحياء الذكرى الاولى لانتخابي بمهرجان منقطع النظير فأعدّه ونجح بترتيبه، وفي صباح ٢١ من ايلول نزلت من عاليه يرافقني رياض بسيارة مكشوفة تواكبها دراجات الدرك، فاستوقفتنا في مفارق القرى تظاهرات شعبية مؤثرة، وفي ساحة الشهداء عرضنا الفوج العسكري والدرك اللبناني والشرطة بحضور معتمدي الدول العربية والاجنبية وكبار الموظفين، وتعالت الهتافات من المشارف المطلة على الساحة ومن الجماهير المتراصة على الارصفة . وجرى استقبال آخر بعد

الظهر في حديقة الصنائع جمع الهيئات الرسمية كلها وعدداً كبيراً من وفود القرى . وبهذه المناسبة بعثتُ الى الشعب اللبناني برسالة جدّدتُ فيها له عهدي، وصادفتْ قبولاً عظيماً وحملها الراديو الى انحاء لبنان، وأحيت الاذاعة حفلةً خاصة ، وأُقيمت الزينات في الليل ، وطافت بالمشاعل الفرقة اللبنانية التي تسلمناها من الفرنسيين، فشكرت رياضاً على فعله .

شعرتُ بتعب كبير على اثر تلك الاحتفالات ، وشعرت بالتعب عينه في الذكرى الاولى لعودتنا من راشيا اذ احتفلنا بها في الثاني والعشرين من تشرين الثاني فعرضنا قوى الجيش والامن في ساحة الشهداء ثم استقبلنا الهيئات الرسمية من لبنانية وأجنبية في سراية البرج . وتدفقت علينا وفود متعددة من المدن والقرى .

يا لها من ذكرى مجيدة طيبة على القلب !

التنظيم العدلي والمديريات العامة :

أعدّ حبيب ابو شهلا تنظيماً عدلياً جديداً عُرض على مجلس النواب وأقره ، فأجريت تنسيقات جديدة في وزارة العدل رافقتها عدة ترقيات مع تحسين حالة القضاة معنوياً ومادياً .

وطال هذا العمل وقتاً غير قصير ، وسبّب مشادات حتى انتهينا الى وضع المراسيم اللازمة في اواخر تشرين الاول ، وقد أُنصف القضاة عامة ومنهم خصوم العهد ، فاجتمع بعض مديري الدوائر وطلبوا ان ترفع ملاكاتهم واضطرت الحكومة الى إحداث مديريات عامة أُسندت الى اقدم المديرين، واستوت مرتباتهم ومرتبات القضاة الكبار إلا ذوي الفئة الاولى منهم فقد ظلوا اكثر اجراً .

مشاكل التموين :

تأزم التموين تأزماً شديداً في تلك الفترة واضطررنا مراراً الى تدابير حازمة، بعد اجتماعات طويلة مع اعضاء الحكومة السورية وبعض الاقتصاديين في البلاد ، وأهم تلك التدابير مصادرة معامل الغزل في لبنان وسوريا بآن واحد ، فوقفت عن العمل لان اصحابها في لبنان لم يعاونوا الحكومة على التنظيم الجديد . ووقعت حوادث دامية في حلب أخلّت بالامن العام فاسرع خالد العظم الى بيروت موفداً من رئيس الجمهورية السورية وطلب اليّ باسمه ان نعود عن التدبير المذكور لعدم التمكن من تنفيذه في سوريا، فاجبرنا على إلغائه مما جعل بعضهم يظنون سوءاً بالحكومة على غير صواب .

وأذكر ايضاً مسائل الصابون والزيت والكوتا : لقد سعينا لان نداوي الحالة بالتي هي احسن مما كان يضايقنا ويضنينا في بعض الاوقات، والخلافات تعرض بمعظمها على الرئاسة فأخصّها باكثر وقتي حتى في ايام الاحاد والاعياد .

بروتوكول الاسكندرية

دعوة من مصر :

تكررت الدعوة من الحكومة المصرية لحضور الجلسات الاخيرة لـ « مشاورات الوحدة العربية » . فقررنا ان يعود الى مصر الوفد الاول الذي زارها سابقاً برئاسة رياض الصلح، فسافر الى الاسكندرية في اواخر ايلول .

وانتهت المشاورات في ٩ من تشرين الاول وانا اتتبع بالتلفون سيرها بمحادثات يومية طويلة مع رياض . وفي ذلك اليوم بشّرني بان المشاورات انتهت وبانه قد وُضع نصّها النهائي وأسموه بـ « پروتوكول الاسكندرية » . وتلا رياض على مسمعي الفقرة الخاصة بضمان استقلال لبنان وحدوده فسررتُ بتلك النتائج الطيبة .

وفي اليوم الثاني فوجئنا بإقالة النحاس باشا من رئاسة الوزارة المصرية بأمر ملكي !

عاد وفدنا من الاسكندرية ، وعرضنا الحوادث الداخلية في مصر ، وحوادث البلدان العربية ومشاورات الوحدة، وراجعنا محاضر الجلسات، فاعترضتُ على فقرة واحدة متعلقة بالسياسة الخارجية المفروضة على دول

الجامعة . واتفقتُ ورياض الصلح وسليم تقلا على وجوب تعديل النص المذكور بنص آخر لا يقبل لبساً في سياستنا العربية (١) .

ذلك انه ورد في احدى فقرات البروتوكول انه لا يجوز لدولة من الدول المتعاقدة ان تتبع سياسة خارجية تضر بسياسة الجامعة العربية او بمصالحها .

ومع ان مثل هذا التعبير لا يمس السيادة والاستقلال، وهو يرد في النصوص المماثلة عند دول اخرى متعاقدة فيما بينها، فقد اثار عندنا بعض الشكوك الحقيقية او المفتعلة، وذلك بسبب وضع لبنان الحساس والتيارات التي ما زالت تتجاذبه، فصممنا، نحن الثلاثة، استبدال النص عندما يكتب الميثاق النهائي الذي يُلغي مفعول البروتوكول، وهكذا كان . اما ضمان استقلال لبنان فهذا نصه :

«تؤيد الدول العربية الممثلة في اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده الحاضرة .»

وهو ضمان سبق لحكومات هذه الدول ان اعترفت به بعد ان انتهج لبنان سياسته الاستقلالية التي اعلنتها حكومته في بيانها الوزاري الاول .

وصرّح رئيس الوزارة في الجلسة التي اشرت اليها بأن النص المتعلق بضمان استقلال لبنان هو القرار الوحيد الذي اعتبره المجتمعون قراراً قاطعاً ، ونهائياً ، لا يحتاج الى الرجوع به الى الحكومات الممثلة او الى مجالسها النيابية، وانه حكم غير قابل الاستئناف ولا التميز . وزاد رياض على ذلك قوله :

« ... فنحن ايها السادة، اينا ذهبنا رواد استقلال وتعاون واتحاد

---

(١) — القى رئيس الوزارة بياناً في مجلس النواب بسط فيه هذا الامر (يراجع محضر جلسة ١٤ من تشرين الاول)

ووفاق بين المسيحيين والمسلمين، ونحن نحمي هذا الاستقلال التام الناجز ونفديه بدمائنا وأرواحنا، ليس فقط ضد الغرب بل ضد الشرق ايضاً » (تصفيق) .

وختم المجلس بحثه هذا الموضوع بشكر الحكومة على جهودها في سبيل تحقيق استقلال لبنان واحترامه من جميع الدول العربية [١] .

رئاسة الحكومة ورئاسة المجلس :

نالت سياسة رياض الصلح الخارجية استحساناً عاماً في جميع الاوساط الوطنية ولقيت ما يقارب الاجماع في المجلس النيابي، غير ان سياسته الداخلية لم تكن كذلك . ووقف له بالمرصاد بعض خصومه السياسيين، وأكثرهم من طائفته ومزاحميه على كرسي الرئاسة، منهم عبد الحميد كرامي وصائب سلام وعبدالله اليافي وسعدي المنلا يدعمهم هنري فرعون . وقد أسّسوا فيما بينهم حزباً سياسياً أطلقوا عليه اسم « حزب الاستقلال »، وتجنبوا ان ينتخبوا له رئيساً لئلا يثيروا المشاكل بين عبد الحميد كرامي ومتزعم الحزب الحقيقي . أُلّف هذا الحزب لانتزاع الحكم من رياض على رغم من تأييده الظاهر له . ولكنه لم يستسهل محاربة رياض خشية ان يثير على نفسه نقمة الجماهير، وخصوصاً الاسلامية، وهي التي يحتل فيها رئيس الوزارة المقام الاول . وكمنت النار تحت الرماد .

وأراد بعض النواب إظهار عدم رضاهم عن صبري حماده فرشحوا نائباً غير شيعي لينافسه، وكان هذا المرشح يوسف سالم نائب الجنوب . ومضى المنافِس الى قصده مُصرًّا غير منتصح، ولم يقتنع مني ومن رياض، وقد محضناه النصح لا رغبة عن شخصه بل لسببين : الاول لعدم الاخلال

---

(١) — محاضر جلسات المجلس من ٢١ من ايلول ١٩٤٣ الى ١٤ من تشرين الاول ١٩٤٤ : ص ٧١٠ وما يليها .

بالتوازن الطائفي الذي جعلناه رائدنا في سياستنا الجديدة، والثاني لان تصرف صبري حماده كان مُرضياً ولا سيما وقفته في بشامون .

وفاز صبري بالرئاسة باكثرية لا بأس بها، وبادل منافسه عبارات التقدير . وإذا كان من موضوع لاسف، فهو تلك التظاهرات التي قام بها بعض أشياع صبري في بيروت، ودلّت على نعرة طائفية بغيضة، ولم يكن صبري بحاجة لتظاهر وأكثر المجلس معه . ترى، متى يقلع الجهّال عن مثل تلك الاستفزازات التي تسيء الى الوطن والى الافراد ؟

لقد احتج لديّ بعض الاساقفة من طائفة الروم الكاثوليك قائلين : « هل يجوز ان يتفوّه المتظاهرون بكلام كهذا : سلّم تسلم يا سالم ؟ » فاستهجنتُ الامر ولكن حقيقته لم تثبت عندي، وربما اختُلق لإثارة غضب السادة الاساقفة .

الاعتداء على عبد الحميد كرامي :

اعتُدي على عبد الحميد كرامي في طريق مرياطا — طرابلس ووقع علينا جميعاً نبأ الاعتداء وقعاً سيئاً واجتمع مجلس الوزراء للوقت وأرسل على جناح السرعة الى طرابلس وجوارها قوة كبيرة من الدرك، وطلب رياض من المدعي العام وقائد الامن الداخلي الانتقال الى الشمال فوراً للاحتياط اللازم واعتقال المعتدين لاحالتهم الى المجلس العدلي . وتقاطرت الوفود على طرابلس للاستفسار عن صحة عبد الحميد بعد ان « خلص بأعجوبة من خروم الشبك » كما يقولون . واتجهت الظنون الى آل المقدّم بسبب الخصومة السابقة بينهم بعد ان صرع عبدُ الحميد الشابَّ عبدَ المجيد المقدّم وبرأته المحكمة اذ رأت انه دافع عن نفسه [١] . وعلى رغم من المصالحة بين الفريقين فإن القلوب لم تصفُ . ولم يكن هذا اول مسعى للثأر منه

---

(١) — راجع : ج ١، ص ١٩٣

فقد سبق لاتباع المقدّم ان اطلقوا الرصاص على شقيقه محمد كرامي اثناء انتخابات ١٩٤٣، وزاد الطين بلّة إرسال قوة من الدرك الى بيوت آل العُمري في طرابلس وهؤلاء من خصوم عبد الحميد ومن اصدقاء مصطفى المقدّم . وكان السبب في ذلك أن مَظهر العمري المطلوب من القضاء قد فرّ، فأثار وضع الدرك في البيوت احتجاجاً كثيراً ممن اصابهم التدبير وممن يلتفّون حولهم .

وشهادة لوجه الله يجب ان تقال : إن رياضاً قام باتخاذ جميع التدابير اللازمة غير ملتفت الى صداقته التقليدية لبيت المقـدّم . وفعل ذلك تأييداً للعدالة وتعزيزاً لمقام عبد الحميد في طرابلس والشمال . وكان رياض يلقى تأييداً كاملاً مني .

فهل قوبلنا بمثل هذه العاطفة من زعيم طرابلس ؟

مناقشات لوندرة وباريس حول استقلال لبنان :

بعد مرور سنة على تعديل الدستور وأزْمة راشيا والتجربة القاسية التي مرّ بها لبنان وخرج منها ظافراً ، عادت الى الاذان نغمة مركز فرنسا الممتاز في سوريا ولبنان !

وردّدت الصحف الانكليزية صدى بيان أُذيع في باريس أوعزت به الحكومة الفرنسية ، وهو يقول ان الانتخابات التي جرت في لبنان وسوريا عام ١٩٤٣ ادّت الى اعتلاء عناصر وطنية قوية مناصب الحكم، مما سبّب ازمـة دقيقة اكرهت الحكومة الفرنسية على استعمال القوة لحسم الموقف، وان فرنسا، المسلحة بوعد بريطانيا[١] بان يكون لها مركز ممتاز في سوريا ولبنان، تعلّق تعاونها العسكري مـع الدول الحليفة على تنفيذ هذا الوعد .

(١) — راجع : ج ١، ص ٢٤٠ و ٢٩١

وأثار النائبان جبرائيل المر ووديع الاشقر هذه المسألة في المجلس النيابي في ١٤ من تشرين الثاني وعرضا للبحث في امكان عقد معاهدة بين فرنسا ولبنان، وأشارا الى اهمية نشر هذا البيان قُبَيل وصول المستر تشرشل الى باريس . فأجاب رئيس الحكومة بما معناه : ان ما تمّ قد تمّ ولا رجعة له . وانهى كلمته بقوله : « ... ولديّ من التأكيدات من الدول جميعها ، فرنسا وانكلترا واميركا وروسيا وكلها دول صديقة ، ما اتلقاه كل يوم من احترام لهذا الاستقلال، اما المعاهدة فاننا قد صرّحنا بانه ليس في نيّتنا عقد اية معاهدة مع اية دولة كانت، لاننا نريد ان نذهب الى مؤتمر السلام احراراً طليقين من كل قيد[١] » (وبذلك تلميح للمحادثات التي جرت في الصيف الماضي) .

انتهاء مهمة الجنرال سپيرس :

طلب الجنرال سپيرس مقابلتي صباح يوم احد خلافاً للمعتاد، وذلك في اوائل شهر كانون الاول، وأخبرني ان مهمته انتهت في الشرق وان حكومته دعته الى لندن ، وان الانتخابات الانكليزية قد قرب موعدها وهو ذاهب ليتقدم اليها في منطقته . وقد ابدى تمنياته للبنان وعبّر عن تقديره لمقام الرئاسة ولرئيس الوزارة، واظهر تفاؤله بمستقبل بلدنا فيما اذا ثابر على خطته الاستقلالية . فاظهرتُ له عميق اسفي على سفره وشكرته على معونته الثمينة في اثناء الازمات التي مررنا بها . وقلت له اننا سنحفظ له ذكراً عاطراً لما قام به من اعمال فيها . وكنت متأسفاً جداً لانتهاء مهمته .

للجنرال سپيرس شخصية جذابة ممتازة وذهن متوقد وعزيمة ثابتة لا تلين . اسهمَ كثيراً في مساعدتنا للوصول الى اهدافنا الاستقلالية، وعلم

(١) — محضر جلسات المجلس ١٩٤٤-١٩٤٥ : ص ١٠

من اول لحظة ان موقفنا لا يهدف الى استبدال الانتداب الانكليزي بالانتداب الفرنسي فماشانا صادقاً في مواقفه كلها .

وطلب اليّ الجنرال وهو يستأذن بالانصراف ان اعيّن له وقتاً ليقدّم لي اوراق استدعائه من جلالة الملك ففعلت، وفي اليوم المعيّن استقبلته بسراية البرج وأُقيمت له المراسم التي تقام في حفلة تقديم اوراق الاعتماد . وبعد بضعة ايام دعوته لتناول العشاء على مائدة الرئاسة مع السيدة عقيلته، وبعد الطعام ألقيت خطاباً بسطتُ فيه خدماته الصادقة لنا وودعته بعبارات الصداقة . وأجابني على خطابي بخطاب مؤثر، ثم علّقت على صدره وعلى صدر ليدي سپيرس الوسامين الممنوحين لهما، فكانا شاكرين ومتأثرين جداً .

وزار الجنرال دمشق وطرابلس مودعاً . وقبَيل سفره زار المجلس النيابي اللبناني فاستُقبل في احدى جلساته واقرّ النواب اقتراحاً بشكره على ما قام به من اعمال مفيدة لاستقلال لبنان، وبمنحه لقب «مواطن شرف» . وجرت حفلة رسمية لوداعه في المدرسة الايطالية بمحلة الصنائع انتدبتُ رياض الصلح لحضورها وحضرها معه الوزراء وحضرَتها ايضاً زوجتي، ولما عاد رئيس الوزارة ونائبه الى السراية اخبراني ان الحفلة كانت فخمة جداً، وانه قبل نهايتها مرّت فصيلة كبيرة من الجيش البريطاني امام الجنرال والحضور مروراً مهيباً جداً . وسافر بعد انتهاء الحفلة حالاً في صباح ١٥ من كانون الاول .

الجنرال سپيرس :

كان الجنرال سپيرس من ألمع الرجال الذين عرفتهم . وهو ذو ارادة حديدية . يلبس تارة البزّة العسكرية، وتارة يرتدي اللباس المدني، او الملابس المزركشة الخاصة بالسلك الدبلوماسي مع القبعة ذات الريش الابيض، ويسعى لان يحيط نفسه بالابّهة التي تؤثّر في الناس، ولكنه يبقى في

جميع الاحوال على ظرفه وميله للنكتة، مع شدة مراسه وقوة شكيمته، وتصلّب في الرأي يصعب على مخاطبه ان يجابهه برأي معاكس .

جاء جاهلاً احوال الشرق، ولكنه لم يلبث ان اطلع على الخفايا واصبح على جانب عظيم من الخبرة فيها .

قابلته قبَيل الانتخابات العامة واظهرتُ له تخوّفي من تدخل هلّلو فأجاب جواباً ذا طابع بريطاني : «لا محل للخوف، ولديكم محاكم عليا تقضي بابطال الانتخابات الزائفة .» فابتسمتُ وقلت : لسنا في انكلترا .

وقابلته اثناء الحملة الانتخابية فاعترف لي بان ليس من ضمان للحرية فيها .

ودعاني يوم مداورة الرئيس اده وسعيت ان انبّه فكره اليها . ووقّعتُ على الوثيقة المعروفة ودفعتها اليه وفيها انسحابي من الترشيح . وفشلت المداورة (١) واعترف في ضميره بان الحق بجانبي .

وبقي الى الدقيقة الاخيرة غير مؤمن بوصولي الى رئاسة الجمهورية بالرغم مما اعتقده الناس من وجود اتفاق بيني وبينه ليوصلني الى الرئاسة !

والحقيقة ان رئاستي كانت لبنانية صرف ولم تكن وليدة مساعدة بريطانية .

والحقيقة ايضاً ان ايمان الجنرال سپيرس بي لم يتبلور إلاّ بعد راشيا عندما قال لي : «كانت مساعداتنا السياسية والعسكرية قد ذهبت جميعها هباءً منثوراً لو ضعفتَ او ساومتَ يا فخامة الرئيس .»

(١) — راجع : ج ١، ص ٢٥٩

حملة صحفية :

نسي الناس في اواخر سنة ١٩٤٤ الخدمات الجلّى التي قام بها رياض الصلح وحكومتاه الاولى والثانية في تدعيم الاستقلال، وتوثيق علائق لبنان مع الدول العربية ، وثباته في وجه الاحداث التي مرّ ذكرها ، ونسوا ما قمنا به من الاعمال المجيدة في السنة الاولى من العهد الجديد ، وابتدأت المصاعب تقام في وجهه . وكان الامير مجيد ارسلان يشكو من رياض الصلح لبعض التراخي في إجابة مطالب له يعتبرها مشروعة ، وتقدّم مني باستقالته من الوزارة في أوائل كانون الاول ١٩٤٤ فطيّبتُ خاطره ودافعت عن موقف رئيس الوزارة وعن حسن نيته ، فاقتنع الامير مني وتداركنا الامر موقتاً .

وأثيرت حملات سياسية وصحفية على سياسة الحكومة الداخلية، وعلى تصرفها في الادارة وعدم الحزم في تحسينها، وعلى قضية التموين ، وعلى التساهل مع الشارع واطلاق الرصاص بمناسبة وبغير مناسبة . وكان بين المنتقدين من هم حسنو النيّة وفريق آخر يريد العرقلة والتهديم . والانكى ان أخذَ الناس بالحلم لم يأتِ بالنتيجة المطلوبة فبدلاً من مقابلة الاحسان بالشكر كان يُقابل بمزيد من الدلال وسريع من الحرد، والمنتقدون يفرطون في انتقادهم .

ولعلّ مؤرخ الحوادث التي نحن بصددها يجد عذراً لحكومة رياض الصلح بأنها مرّت بأصعب الايام وأشدّها حلكاً ، وفي البلاد عساكر اجنبية ونفوذ اجنبي ، ودولة تدّعي لنفسها دوام الانتداب علينا ، والطوائف مقسمة، والاحزاب غير منظمة، وبعض الفئات طريّة العود، بينما الفئات الاخرى كثيرة الخوف او التخوف، وفئات تتطلّع الى المستقبل مستبقة الحوادث، وفئات تحنّ الى الماضي فتعرقل الحاضر وتهدم ما يبنى على غير رضى منها، وكثير من الناس قليل الثقة بنفسه، ولكننا لم

نبالِ، واكملنا الطريق يحدونا الايمان القوي بقدرات وطننا وبحقه الصراح في الحرية ، ويوحّدنا التفاهم الصميمي الذي ساد علائقي برياض الصلح ، وتلك الشرارة التي انطلق منها الميثاق الوطني .

ليالٍ سهرناها والنوم لم يزر جفوننا، ومعضلات يومية تعترض السبيل ويجب حلّها دون إبطاء، ومراحل شاقة يمسك بعضها برقاب بعض، وايام مرهقة نستعيد ذكرياتها بفخر ونكاد لا نصدّق اننا قضيناها ونفذنا فيها الى الغاية القصوى التي هدهدت طفولتنا وشبابنا وكهولتنا، الا وهي استقلال لبنان ، وتدعيمه وتوحيد الصفوف بين عنصري الامة ، وحفظ التوازن بينهما .

كسر في كتفي اليمنى :

تلك كانت هواجسي في نزهاتي على الاقدام، في بعض ايام الاسبوع . وفي ١٥ من كانون الاول زلّت بي القدم وانا في طريق بيت مري ، فنزلتُ تواً الى مستشفى راهبات المحبة وأظهر التصوير بالاشعة كسراً في أعلى الكتِف اليمنى فجبره الدكتور الياس البعقليني وكانت عملية مؤلمة .

وانتشر الخبر في العاصمة والبلاد، واسرع رياض يعودني في البيت قبل جميع الناس وهو بادي التأثر الشديد، وأول سؤال طرحه على الطبيب هل بامكاني ان أوقع بيدي، فأجابه بالايجاب . واسرع رئيس الوزارة الى اصدار بلاغ يطمئن البال . وغصّ البيت بالزوار فاستقبلتُ الوزراء وبعضاً من النواب والموظفين الكبار والاصدقاء واكتفى الآخرون بالسؤال عن صحتي وتسجيل اسمائهم في سجل خاص .

وثابرتُ على العمل بعونه تعالى على رغم من تعب النهار وأرق الليل، ورياض يعودني مرتين في النهار، والوزراء يزورونني عندما يكون لاحد منهم عمل يقتضي اخذ رأيي فيه، والجميع يسعون لتقليل المراجعات توفيراً

عليّ، خصوصاً وان حمل الآلة الحديدية على الكتف كان مؤلماً جداً والالم يحرمني الرقاد .

تقديم اوراق اعتماد المستر شون :

طلب اليّ وزير الخارجية ان اعيّن موعداً للمستر شون خلف الجنرال سپيرس لتقديم اوراق اعتماده، فأجبته بان الآلة الحديدية تمنعني من ارتداء اللباس الرسمي، فقال : لا بأس ونسعى لان نتدبر الامر .

وفي يوم تقديم اوراق الاعتماد[1] ارتديتُ العباءة التي حملها اليّ وفدنا هدية من الملك عبد العزيز آل سعود، فسترتُ الآلة الحديدية . وكان الاستقبال مختصراً جداً وفي قاعة البيت العليا . وبعد ان انصرف الوزير المفوض الجديد ومرافقوه، وكلهم بالبزّات الرسمية، رجعت الى غرفتي حيث كان الدكتور بعقليني بانتظاري لينزع عن كتفي آلة الحديد ويضع مكانها آلة خشبية اخف ثقلاً فأراحني قليلاً من الألم .

وصول مدرعة فرنسية :

في ذلك الوقت وصلت الى الثغر مدرعـــة فرنسية فتبادل اعضاء الحكومة وأميرها الزيارة، واقمنا لهذا الاميرال مأدبة غداء لم اتمكن من حضورها فترأستها زوجتي وجلس مقابلاً لها رئيس الوزارة نائباً عني .

ولبّت زوجتي ايضاً دعـــوة الاميرال لتناول العشاء على المدرعة، فرافقها سليم تقلا وزير الخارجية في سيارة الرئاسة . وصادفت الدعوة ليلة الميلاد وقد اعدّ الضباط والبحارة حفلة ساهرة احتفاءً بالعيد، فاعتذرت زوجتي عن حضورها ورجعت بعد العشاء لتقضي معي السهرة .

---

(١) — في ٢٢ من كانون الاول ١٩٤٤

ودعت الحكومة الفرنسية احمد الداعوق وزيرنا المفوض ليسافر على متن المدرعة المذكورة الى مرسيليا لتسلّم مهام وظيفته الجديدة في باريس، فزارني مستأذناً وكلفته ان يشكر الحكومة الفرنسية وامير البحر على هذه الدعوة .

تأخر في تقديم الموازنة :

لم تقدّم الموازنة الى المجلس في هذه الدورة لان الحكومة انتظرت ان يقرّ النواب قانونَي ضريبة الدخل وضريبة الاراضي، فاقرّوا الاول ولم يناقشوا في الثاني بل انتقلوا الى اقتراحات متعلقة برفع الرقابة عن الصحف . ولم تكن الوزارة تميل الى ذلك لان الاستقلال ما يزال طري العود والدسائس عليه كثيرة . وحدث في تلك الجلسة ما يحدث عادة من تبييض الوجوه والمزايدة في حقل الشعبية ، فاجمع النواب على إلغاء المراقبة تماماً وكالاً إلاّ في الشؤون الحربية، وانساقت معهم الحكومة على غير رضى .

ثم وافق المجلس على مشروع قانون قدمته الحكومة يقضي بدفع المرتبات الشهرية سلفاً للموظفين، وقد استثني فيه بعض الفئات من هذا التدبير ، منها رئاسة الجمهورية واعضاء الحكومة ورئيس المجلس النيابي واعضاؤه، فألغى المجلس هذا الاستثناء . ولما عُرض القانون بمجموعه على الاقتراع خالفه الوزراء الحاضرون بسبب ذلك التعديل وحسناً فعلوا .

وقبل ان نطوي صفحة سنة ١٩٤٤ يجدر القول ان حصادها لم يكن بالكمية التي يستهان بها على رغم من المصاعب والمتاعب التي انتابتنا .

إلاّ ان آخر جلسات الدورة عكـّرت العلائق بين المجلس النيابي والحكومة واصبح علينا ان نتدارك الموقف .

وقد شكرنا الله على نعمه في العام الذي انصرم، وطلبنا عوناً منه للسنة الجديدة وقد أطل فجرها على أزمة كامنة اضطررتُ لمعالجتها في الايام الاولى دون اخذ اي قسط من الراحة .

١٩٤٥

عبد الحميد كرامي يرئس الوزارة :

تركنا الحالة متوترة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وحزب الاستقلال بزعامة عبد الحميد كرامي وهنري فرعون يغذّي الحملة على وزارة رياض الصلح . ولما اشتدّت الحملة ولم يعد بالامكان تلافي ازمة وزارية رأيتُ ان الافضل اجراء تبديل الحكومة وان يكون رياض موافقاً على هذا التبديل فدعوته وأفهمته ان الوقت قد حان لان يتخلى عن الحكم، وان لا شك بان المستقبل له، وان السياسة الاستقلالية التي باشرناها منذ خمسة عشر شهراً ستتابع على يد خلفه عبد الحميد كرامي ، فأجابني بالقبول ، وبغصّة .

استقبلتُ عبد الحميد كرامي ليلة ٤ من كانون الثاني وقلت له بان يشكّل الوزارة المقبلة ، وكان لا يزال متأثراً جسدياً من الحادث الذي أصابه، وللجرح في وجهه أثر يستره بمنديل، وكان ابن عمي ميشال شيحا يرى من الحكمة تولية عبد الحميد في هذا الظرف بالذات فرافقه لمقابلتي ، وعرضت معهما الحالة الراهنة. واظهرتُ لعبد الحميد المصاعب التي تعترضه، ولم اكتمه قبول رياض المبدئي بالاعتزال ، ولكنه قبول على مضض، ثم نصحتُ له بان يتصل للوقت بسلفه قبل ان يأتي اي أمر، وان لهما من

الاصدقاء ما يكفل الانتقال بأحسن ما يمكن، مع تجنّب ازمة حادة بلادنا بغنى عنها .

ودارت المخابرات بين الاثنين ثلاثة ايام كاملة تدخّل فيها عمر الداعوق ومفتي الجمهورية واعيان المسلمين والنصارى حتى وصلت الى نتيجة مُرضية . وفي صبيحة الاحد ٧ من كانون الثاني باكرني رياض الصلح وقدّم لي كتاباً باستقالته واستقالة وزارتـــه فدعوت مجلس الوزراء للاجتماع في الساعة العاشرة وعقدنا جلسة وداعية . ومن اول الحديث لحظتُ ان الوزراء اتفقوا فيما بينهم على عدم الاشتراك في الوزارة المقبلة . وقبلتُ الاستقالة وشكرت الحكومة على ما قامت به من اعمال، وودّعت الوزراء جميعاً فرداً فرداً، وخصصتُ رياضاً بقبلة على وجنتيه، وأحسست بوحشة لفراقه اعتقد انـــه شعر بمثلها، وطلبت منه ومن زملائه ان يعاونوا الوزارة الجديدة . وهكذا امّنا موقتاً وحدة الصفوف، ووفـّرنا على البلاد هزة الانتقال من حكومة الى اخرى .

وانقضى يوما الاثنين والثلاثاء في المشاورات وتشكلت الوزارة الجديدة في ٩ من كانون الثاني ولم يدخلها من الوزراء القدماء إلاّ سليم تقلا وزير الخارجية لكي نتمكن من متابعة سياستنا الخارجية بدون انفصال . ودعوت الوزراء الجـــدد ووقّعت على مراسيم تعيينهم وافترقنا على ان يتسلّم كلٌّ مهام منصبه .

وفاة سليم تقلا :

الخميس في ١١ من كانون الثاني مساء جاءني سليم تقلا لمباحثتي ببعض الشؤون وهو على اتم ما يرام من الصحة والعافية . والجمعة صباحاً دخل عليّ طبيبي الدكتور بعقليني والدمعة في عينيه، وقال : لا داعي لان اخفي عليك خبر موت سليم تقلا فجأة بسكتة قلبية . فتأثرتُ جداً وقصّ عليّ بالتفصيل ما حصل لرفيقنا فخيّل إليّ ان صاعقة انقضّت

عليّ . وهيهات ان اذكر تلك الساعة بعد مرور سنوات عليها إلاّ ويعاودني الحزن على الذكرى الاليمة .

ووفد عليّ المعزّون وفي مقدمتهم رياض الصلح وحبيب ابو شهلا يشاطرونني الحزن، وحاولوا ان يهوّنوا عليّ المصاب بقدر الامكان وقد رأوني في حالة التأثر العميق . وللحال امرتُ بتشكيل لجنة لتنظيم مأتم وطني للفقيد الغالي . وطلبت ان يلقي رئيس الحكومة كلمة باسمي، وان يحاط المأتم بمجالي التكريم، ويدعى اليه الرؤساء الروحيون على اوسع مدى، والهيئات الاجنبية والوطنية . فجرى المأتم وطنياً، رسمياً وشعبياً في آن واحد، وعزّ نظيره . وشمل الحزن لبنان والبلاد العربية .

وعلى الاثر تعيّن هنري فرعون وزيراً للخارجية (١٥ من كانون الثاني، يوم افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس النواب) .

وعُقدت جلسة الثقة في ٢٠ منه، وأُعلنت اولاً خمس دقائق للصمت حزناً على سليم تقلا فقيد البلاد وعُرض اقتراح بتخصيص عائلته بمعاش اضافي على التقاعد، فوافق المجلس عليه بالاجماع . ثم تلا رئيس الوزارة الجديد بياناً وزارياً جامعاً شكر فيه اعمال الحكومة السابقة، مشيداً بفضل سلفه لما قام به من خدمات في سبيل الاستقلال، وصرح بان السياسة الخارجية ستستمر على النهج السابق، وكذلك سياسة الاستقلال وعلائقنا بالدول العربية والدول الاجنبية الى آخر ما ورد في البيان (محضر الجلسة الرسمي) .

ونوقش البيان، وكان اول المتكلمين جورج زوين باسم الكتلة الوطنية التي اتخذت اسم حزب الشعب، فاعلن باسمه ونيابة عن زملائه الغائبين عن الجلسة حجب الثقة عن الوزارة لانها حزبية، وهم يرون بان حالة البلاد تقضي بقيام وزارة حيادية او وزارة اتحاد وطني، وانسحب . اما النواب الآخرون وفي مقدمتهم الوزراء السابقون فأيدوا الحكومة الجديدة وأعلنوا رغبتهم في استكمال الاستقلال وتسلّم الجيش وتعديل الاتفاق مع بنك الاصدار وتخفيف اعباء المعيشة عن الفقراء، الى آخر ما قيل ...

وظهر امتعاض من رياض الصلح في تلك الجلسة مرتين، اولاهما عندما دافع عن نزاهة المرحوم سليم تقلا الذي مات فقيراً وكُتبت ضده نشرات كاذبة تزعم زوراً وبهتاناً انه يملك عقارات في سوق من اسواق بيروت . واظهر رياض امتعاضه مرة اخرى اذ اعلن ايلاءه الثقة للوزارة متمنياً لها كل النجاح «في الحقل الذي نجحنا فيه والحقل الذي يقال اننا لم ننجح فيه» (يعني الحقل الداخلي) .

ونالت الوزارة الثقة باجماع الحاضرين .

فك الجبار عن كتفي والسفر الى فلسطين :

وما ان ارتاح بالي من الازمة الوزارية وتأمين سياسة الاستقلال حتى فك الطبيب الجبارة عن كتفي بعد ان اثبت التصوير بالكهرباء غير مرة ان كل شيء قد رجع الى حاله والحمد لله . وآلمتني عملية الفك ألماً شديداً وبقي الأرق يلازمني، فأشار عليّ طبيبي والكثيرون من زملائه بان اغادر بيروت للراحة والاستجمام . ورفضت رفضاً باتاً ان اغادر لبنان، ولم اقبل بالذهاب الى فلسطين إلاّ لما اعلن لي الاطباء ان حياتي مهددة بالخطر فيما اذا بقيت على حالة الارق والمداومة على العمل والاهتمام بشؤون الدولة عن كثب .

فتركتُ بيروت والبلدان اللبنانية مقفلة احتجاجاً على عدم تسليم الجيش للحكومة الوطنية، وقصدت طبريا بطريق صيدا والعَلَم اللبناني يرفرف على السيارة حتى الحدود .

ومن سوء الحظ ان الاربعة الايام التي قضيناها في طبريا كانت غائمة جداً والمطر يهطل بغزارة غريبة . ولم يمنعني ذلك من الحمامات الساخنة فانتفعت بعض النفع ولكني أُصبت بالنزلة الصدرية بسبب تفاوت الحرارة بين مياه الحمامات وبرودة الطقس الخارجية، وكان لهذه المداواة البسيطة

مع تمسيد الكتف مفعول حسن اذ استطعت بعد الحمام الاول ان انام ساعتين بدون انقطاع .

وأجبرتني رداءة الطقس على مغادرة طبريا قبل انتهاء الاستجمام اللازم فقصدت حيفا ، ونزلتُ في بيت نسيبنا ألبر فرعون في خارج البلد . وكانت قرينتي تلازمني ليلاً ونهاراً ، ويتناوب على العناية بي الطبيبان الصديقان الياس بعقليني ويوسف حنينه فيقضي كل منهما نصف الاسبوع معنا ، وعادني اطباء كثيرون من اشهر اطباء فلسطين وأجمعوا على ان التعب كله يزول بزوال الارق ، فصرنا نقوم بنزهتين بالسيارة في النهار الواحد، في حالة صحو الطقس . وصوّرت كتفي غير مرة وتمرّنت ذراعي على التمسيد تكراراً وبدأتُ انام اربع ساعات، ثم ستاً، ثم ثماني في الليل، وصرت ارتاح بعد الغداء قليلاً . فأخذت صحتي تتحسن بسرعة وعادت اليّ شهية الطعام، ورجعتُ الى القراءة، وطفقت استقبل رسل بيروت للاطلاع على مجرى الاعمال وللتوقيع على المراسيم او لاعادتها مع إبداء بعض الملاحظات لتصحيحها .

وتلقيتُ من ملك مصر وأنا في حيفا دعوة لطيفة جداً للاستجمام في حلوان فشكرته بكتاب ارسلته اليه بواسطة يوسف سالم وزيرنا المفوض في القاهرة .

وعادني في شهر اذار عدد من كرام اللبنانيين في مقدمتهم رئيس المجلس النيابي ورئيس مجلس الوزراء، وقد استقبلت هذا الاخير في رجوعه من القاهرة بعد التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية وهنأته على ما قام به من جهود وقلت له : الى اللقاء القريب ان شاء الله في لبنان .

قرر الاطباء بعد مدة ان ليس ما يمنعني من عودتي الى بيروت بعد ان مَنّ الله عليّ بزوال الارق ، وكانت العودة في ٣١ من اذار يوم سبت النور، فاجتزت الحدود الفلسطينية حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر

وكان بانتظاري في الناقورة ضابطان من الدرك اللبناني ، وقرب صيدا استقبلني عبد الحميد كرامي رئيس الوزارة وهنري فرعون وزير الخارجية فدعوتهما الى سيارتي ، وعند دخولي البيت في بيروت وجدته مزيناً بالازهار الفواحة ، ولاقاني رهط من الاصدقاء . ويوم الاحد في اول نيسان خرجت لاستماع القداس في كنيسة مار الياس لان الحفلة الرسمية في الكاتدرائية المارونية أُرجئت من عيد الفصح الى عيد القديس جرجس .

وشكرت الله على نعمه عليّ .

بعض الشؤون المهمة في غيابي . المطالبة بالجيش . اعلان الحرب على المانيا . الانتخاب الفرعي في جبل لبنان . تصريحات تشرشل والكتاب الابيض البريطاني :

غبت ولكني لم انفك عن تتبع الحوادث في لبنان .

خُصصت جلسة المجلس في ٣ من شباط لاستماع بيان من وزير الخارجية عن الخطوط الكبرى للسياسة الاجنبية طمأنة للنفوس وتبديداً للمخاوف والاوهام فيما يتعلق بسياسة لبنان العربية ، وفي تلك الجلسة اعلن الوزير رسالتين بعثتْ بهما الحكومة الى الدولة الفرنسية، الاولى للمطالبة بتسلم القوات العسكرية المعروفة باسم « القنّاصة » والمؤلفة من اللبنانيين ضمن اراضي لبنان، والثانية لتغيير شكل تمثيلها الدبلوماسي ، اي جعل المندوبية العامة مفوضية سياسية يرئسها وزير مفوض ويقدم اوراق اعتماده اسوة بالدول الاخرى .

وبعد إلقاء البيان انطلقت ألسن النواب بالمطالبة بتسلم الجيش اللبناني .

وانتهت الجلسة بالموافقة على اقتراحين بهذا الموضوع مع شكر الحكومة على مساعيها (محضر الجلسة الرسمي) .

وخُصصت جلسة ١٧ من شباط باعلان الحرب على المانيا حتى يتمكن لبنان من الاشتراك في المؤتمر العالمي المزمع عقده في مدينة سان فرنسيسكو لبحث إنشاء المؤسسة العالمية لتأمين السلام خلفاً لجمعية الامم . وقد جرى بحث قانوني في كيفية اعلان الحرب ، وكان الجميع متفقين على وجوب اعلانها ولم يقم اختلاف إلاّ على الصيغة .

واقرّ النواب اقتراحَين : اولهما الموافقة على اعلان الحرب، والآخر الطلب من الوزارة ان تتصل بمن يلزم للاشتراك في المؤتمر العالمي الآنف الذكر، فيدخل لبنان مصاف الدول المستقلة على اساس الند للند .

جرى الانتخاب الفرعي في محافظة جبل لبنان في ٤ من اذار ففاز فيليب تقلا بالمقعد النيابي خلفاً لاخيه المرحوم سليم بما يقرب من عشرة آلاف صوت، ونافسه الياس ربابي احد اعضاء الكتائب اللبنانية ، فعتبت هذه المنظمة عليّ وانا غائب، وعتبت على الحكومة، عتباً في غير محله، ذلك لان القوى الانتخابية متفاوتة جداً وكان الناخبون يتحسسون الخسارة بوفاة سليم تقلا ويرون في أخيه عنصراً لائقاً يحل محله ، وقد وُفّقوا في اختيارهم مع تقدير المنافس .

عاد الانكليز الى نغمة الانتداب الفرنسي وعدم زواله فنياً ، والى حديث المركز الممتاز، وصدر من رئيس وزرائهم تصريح بهذا المعنى سُجل في كتاب ابيض يعترف البريطانيون فيـه بالمركز الممتاز لفرنسا عملاً بالتعهدات السابقة، مع الاقرار بأن الحكومتين الاميركية والروسية تعارضان في اعطاء فرنسا هذا المركز . وأُثير موضوع هـذا التصريح في المجلس النيابي في ١٠ من اذار فاستمهلت الحكومة للادلاء ببيان عنه .

ميثاق الجامعة العربية وميثاق الأمم المتحدة

الاعمال التحضيرية لمؤتمر الدول العربية في القاهرة :

انتدبت الحكومة هنري فرعون وزيرَ الخارجية لحضور المؤتمر التحضيري في القاهرة لوضع ميثاق جامعة الدول العربية ، فسافر الوزير واشترك في المباحثات اشتراكاً جدياً وعاد راضياً مطمئناً ، وأدلى بتصريح في المجلس النيابي يُطـَمْئن الى نتائج المحادثات النهائية بأنها تضمن التعاون التام بين الدول العربية ، وتحافظ على استقلال كل دولة وعلى حقوقها المقدسة .

وأوجد هذا البيان الأثر الطيب وأسكت شائعات ذوي الغـَرَض الماكر ، وسجّل المجلس الشكر لوفدنا .

وما ختمت دورة المجلس الاستثنائية إلاّ في بدء دورة اذار العادية . وهكذا كان المجلس النيابي دائم العمل ، مشتركاً مع الحكومة في نشاطها ومطلعاً على مجرى الامور في حينها .

التوقيع على ميثاق القاهرة :

ابتدأت دورة اذار وعبد الحميد كرامي رئيس الوزارة في القاهرة للتوقيع

على ميثاق جامعة الدول العربية[١] ولما عاد وقّعتُ على الفور على مرسوم بإحالة الميثاق الى المجلس النيابي، فوافقت اللجنة الخارجية عليه بالاجماع وأُودع الميثاق قلم المجلس لمناقشته في جلسة ٧ من نيسان[٢] .

وفي تلك الجلسة تلي تقرير حبيب ابو شهلا مقرّر لجنة الشؤون الخارجية بوجوب إقرار الميثاق ، وكان التقرير ممتعاً . وأدلى وزير الخارجية ببيان شامل عنه وعن ميزاته، ثم عقبه على المنبر رئيس الوزارة ووفى الموضوع حقه وختمه بأن بعث بالشكر الى ملوك الدول العربية ورؤساء جمهورياتها، وخصّ بالذكر «حضرة صاحب الفخامة رئيسنا الشيخ بشاره الخوري الذي صادفت عودته متمتّعاً بالصحة الغالية وقت انجاز ذلك الميثاق ، فكان على لبنان خيراً مضاعفاً وفرحة مزدوجة» . واسترسل عبد الحميد كرامي في بسط مفاوضات القاهرة والصلات التي تربط الدول العربية وتشد بعضها الى بعض، وعمّا نحن به مدينون لشهدائنا ولرسالتهم، ووصف الميثاق، بحق ، بأنه «من الاحداث الجليلة في تاريخ الامم العربية» ، وطلب اقراره في الجلسة ليصبح نافذ المفعول .

ودارت مناقشات قيّمة اشترك فيها عدد من النواب وأقرّ الميثاق بإجماع الاصوات وسجّل المجلس كلمة شكر للحكومة . (محضر الجلسة)

لبنان في عداد الامم المتحدة :

وزاد تلك الجلسة بهجة نبأ سار حمله وزير الخارجية الى المجلس ، ألا وهو بشرى قبول لبنان في عداد الامم المتحدة، ودعوته بهذه الصفة لحضور مؤتمر سان فرنسيسكو .

وفي ٢٩ من اذار تلقت وزارة الخارجية من المستر كرو وكيل وزارة

---

(١) — وقع عليه في قصر الزعفران في القاهرة في ٢٢ من اذار سنة ١٩٤٥

(٢) — أحيل الميثاق الى المجلس النيابي في ٣ من نيسان ووافقت اللجنة الخارجية عليه في ٥ منه

الخارجية في واشنطن رداً على مذكرتها يتضمن ان حكومة الولايات المتحدة، بصفتها امينة على الميثاق، هي سعيدة بقبول لبنان رسمياً في مصاف الامم المتحدة .

وفي ٣١ من اذار أودعت المفوضية الاميركية وزارة الخارجية اللبنانية الدعوة الرسمية للاشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو، وقد جاءتنا هذه الدعوة من الدول الاربع الداعية، وبواسطة الحكومة الاميركية .

اي انه في ذلك اليوم التاريخي الذي أُبرم فيه ميثاق الجامعة دخل لبنان مصاف الامم المتحدة في مؤتمر سان فرنسيسكو ايضاً، فعُدّ شهر اذار ١٩٤٥ شهر اشتراك لبنان الفعلي في الحياة الدولية على انه دولة مستقلة مستكملة جميع عناصر الاستقلال، ولم يرَ في ماضيه، على ما فيه من مجد، استقلالاً تاماً ناجزاً كهذا الذي سجّل في اذار المبارك .

الرجوع الى المشاكل الداخلية — الثقة بالوزارة :

لا يستطيع رجل السياسة ان يتغنّى دائماً بالاعمال المجيدة التي عملها في سبيل بلاده، فهو لا يكاد يلمع في حقل حتى تعترضه مشاكل اخرى لم يكن ليتوقّعها في حقل آخر . والناس سريعو النسيان، والنواب كسائر الناس يسعون وراء اهداف لهم وهم كثيرو المطالب، سريعو الحرَد، ولم يكن عبد الحميد بالرجل الصبور ذي الجَلادة، بل كانت تزعجه كل مراجعة، ويؤلمه كل مسعى، ويقول في هذا عن نفسه : « أنا رجل نرفوز » .

شعرتُ بتعكر في الجو الداخلي فأخذتُ أُهدّىء الاعصاب بقدر المستطاع، وراجعني نواب عديدون شاكين متبرّمين، وكاد لا ينقضي يوم إلاّ ويزورني رئيس الوزارة، متذمراً بدوره هو ايضاً من الحالة، ملحّاً عليّ بقبول استقالته، مكرراً على مسامعي قوله : « اما الآن وقد عدتَ معافياً يا فخامة الرئيس فاستلم زمام الامور لارتاح من العناء، خصوصاً وان

صاحبنا رياض الصلح فيه شهوة الحكم، ولا يريدني ان اهدأ يوماً واحداً، فهو يثير المشاكل والعراقيل في وجهي، وصحفه تنحي باللائمة عليّ، وأنا قليل الصبر . »

وكان عبد الحميد يقول ايضاً : « ان وزير الخارجية يقلق راحتي ويشغل بالي بسبب تطرّقه الى بعض الامور السياسية ... »

كان عبد الحميد يقول لي هذا، ولا ألبث ان استقبل هنري فرعون وزير الخارجية فيشكو لي من عبد الحميد، ومن كثرة تصريحاته، وعدم انطباق تعابيره في بعض الاحايين على الواقع اللبناني مثل قوله (بقوة الاستمرار) : « سوريا الداخلية وسوريا الساحلية ... »

وكنت اقرّب وجهات النظر بينهما واقول لهما : ما لكما وللتصاريح والتعابير، فكلاكما قد وقّع على ميثاق القاهرة وهو دستورنا في السياسة العربية لا نحيد عنه قيد انملة، واذن فارتاحا وثابرا على العمل لنواجه المصاعب .

واستقبلتُ رياض الصلح غير مرّة وهدّأت خاطره .

وكذلك كان شأن حميد فرنجيه، يأتيني متذمراً من توقف الاعمال في الوزارات، وقد أثبت بأكثر من برهان ان مجلس الوزراء لا يتخذ اي قرار حاسم في هذه الآونة، وانه يعيّن لجاناً كسباً للوقت فتُدفن المشاريع المهمة في الادراج .

وتمكنتُ بكل عناء من ان اردّ تيارات النواب عن الوزارة، وان اخفّف من شكوى عبد الحميد منهم، واجتزنا مرحلة لا بأس بها رغبة في الاستقرار .

وكنتُ قد عدتُ الى المجيء الى السراية كل يوم ما عدا السبت

والاحد . واختصرتُ المقابلات وألغيتُ التي لا جَدوى فيها ولا طائل تحتها . واقتصرت في غالب الاوقات على استقبال رئيس الوزارة والوزراء. وكان مجلس الوزراء ينعقد في السراية ونتداول بشؤون الدولة، ورئيس الوزراء يصرّف معظم الشؤون بنفسه دون ان يحتاج الى مراجعتي . وأهم عمل قمنا به هو تنظيم قوى الامن الداخلي وإحالة الموازنة الى المجلس النيابي بعد ان تأخر إعدادها .

وأردنا ان نضع حــداً لبلبلة الافكار ونُعيد الى الصفوف وَحدتها، فاتفقنا مع الوزارة والنواب على ان يُدلي عبد الحميد كرامي ببيان يدحض فيه ما يشيعه بعضهم عن تحوّل في السياسة الخارجية، فيلاقي إجماعاً من المجلس بتأييد سياسته وإيلائه الثقة على اساسها، وقد تمّ ذلك في جلسة اول نوار ونالت الوزارة الثقة بالاجماع وهدأت الحالة الداخلية الى وقت .

عساكر فرنسية في ميناء بيروت :

وما ان سكنت الاعصاب قليلاً حتى عدنا الى بعض المشاكل مع فرنسا .

وكنتُ ذات يوم في نزهة في طريق جونيه فتبعتني درّاجة بخارية عسكرية الى انطلياس حاملة اليّ رسالة مستعجلة للعودة حالاً الى بيروت. فشغل بالي جداً وعدتُ مسرعاً فوجدت رئيس الوزارة ووزير الخارجية والمسيو استروروغ الامين العام للمندوبية الفرنسية ينتظرونني في البيت . وسألتُ عما جرى وأُجبت بان جنوداً سنغاليين وصلوا الى ميناء بيروت، وانهم نزلوا الى البر وليس للحكومة اللبنانية سابق علم بذلك . ثم خلوتُ بالمسيو استروروغ وعنّفته تعنيفاً شديداً على مثل تلك الاعمال التي تضرّ بعلائقنا مع فرنسا في حين ان الامر يسير جداً فيما لو استُؤذِنا بذلك . وأخذ استروروغ يحتجّ بحسن نية الفرنسيين وبأن وصول العساكر السنغاليين لم يقصد منه تعزيز القوة الموجودة في البلاد وانما هم «أبدال» من آخرين قررت القيادة ارجاعهم الى فرنسا، وأكّد ان هؤلاء الراجعين

يزيدون على عدد الذين وصلوا . وقال المسيو استروروغ ان مثل هذا البدل يجري كل يوم في صفوف العساكر البريطانية ، ولكنه لا يُلاحظ لانه يأتي برّاً . واستمهلني قليلاً فغاب وعاد اليّ بمذكرة من المندوبية الفرنسية الى وزارة الخارجية اللبنانية تعلمها بوصول هؤلاء الجنود، وانهم على سبيل البدل . فدعوت رئيس الوزارة ووزير الخارجية وطلبت امامهما من المسيو استروروغ وعداً بأن لا يعود الفرنسيون الى مثل هذا العمل . فتردّد استروروغ . وقلت له : لم يعد لي من تدخّل في الامر، لقد ادليتُ بوجهة نظري وهي صريحة جداً، ولم أرَ قبولاً من الجانب الفرنسي، وعليه فاني اسلّم وزير الخارجية مذكرتكم وهو يتدبّر الامر .

وقال هنري فرعون : يجب على السلطتين الفرنسية والبريطانية ان تستأذنا الحكومة اللبنانية قبل اجراء اي بدل في قواتهما ما دامت الحرب قائمة والى ان تعود الجيوش الاجنبية الى بلادها في نهاية الحرب .

وأجاب الامين العام للمندوبية بانه سيرجع الى حكومته بهذا الشأن واستأذن بالانصراف .

ورجع جو العلائق بيننا وبين الفرنسيين الى التلبّد .

المسألة في المجلس واعطاء الحكومة الثقة :

وتسرّبت الانباء الى الصحافة ، وصار على الحكومة ان تواجه المجلس . واستعدّ النواب استعداداً تاماً لتأييدها في موقفها . فأثيرت المسألة في جلسة ٨ من نوار ، وألقى وزير الخارجية بياناً صريحاً جداً أعلن فيه ان الحكومة اللبنانية كانت تعتبر حتى اليوم ان دخول جيوش الحلفاء اراضيها قائم على سَماح ضمني منها ، بسبب حالة الحرب والواجبات الملقاة على عاتق لبنان كبلد محارب وهي تقضي بتقديم المساعدات اللازمة للحلفاء وتسهيل عملهم بجميع الطرق الممكنة . أما الآن وقد انتهت

الحرب وجاء يوم النصر، فإن لبنان يرغب في ان يكون دخول الجيوش الاجنبية اراضيه، وبقاؤها فيها بعد الآن، معلَّقَين بإذن سابق من حكومته، وذلك الى ان تسمح تطورات الحرب بعودة الجيوش الحليفة الصديقة الى أوطانها ظافرة مكلّلة بالنصر .

وأُبلغت ارادة الحكومة اللبنانية هذه الى ممثل فرنسا وممثل بريطانيا وممثلي جميع الدول الحليفة والصديقة .

ووافق النواب على شكر للحكومة لوقوفها ذلك الموقف .

الجنود السنغاليون يتعاقبون — اجتماع مشترك في شتورا :

جرى ذلك كله وظل إرسال الجنود الفرنسيين الى البلاد مستمراً . وفي الرابع عشر من نوار بلغنا ان المدرعة «جان دارك» وصلت الى بيروت تقل ١٢٠٠ جندي سنغالي، فأسرع وزير خارجيتنا الى دمشق لمفاوضة الحكومة السورية بالأمر . وأُثيرت المسألة تكراراً في المجلس النيابي في السابع عشر من نوار .

وتلبّد الجوّ مرة اخرى . وتحرّكت دمشق والمدن السورية إزاء هذا الاصرار الفرنسي . وزاد في الطين بلّة ان الجنرال بينيه عاد من باريس على جناح السرعة وأبلغ الحكومتين السورية واللبنانية ضرورة تصفية الانتداب الذي لا يزال قائماً (قانوناً في نظرهم) . وهذه التصفية تتم — في رأيه — بعقد معاهدة تضمن لفرنسا مركزاً ثقافياً ممتازاً، وقواعد برية وبحرية وجوية في البلدين .

واتصلتُ بالرئيس السوري وقررنا الاجتماع في شتورا يوم السبت (١٩ من نوار) واستصحبتُ رئيس وزرائنا ووزير الخارجية ووصلنا الى مكان الاجتماع في الموعد المحدد وانتظرنا وصول الرئيس السوري ومرافقيه اكثر من ساعتين ولم يصلوا، فطلبنا دمشق وصعبت علينا محادثتها،

واخيراً قيل لنا ان شكري بك قد تركها متأخراً . ثم وصل الرئيس السوري يرافقه جميل مردم بك واعتذر عن تأخره بحوادث خطيرة وقعت بين الاهالي وعساكر الفرنسيين وقصّ علينا انه في طريقه الينا شاهد عربات عسكرية فرنسية تحترق في الشوارع .

تلونا المذكرات الفرنسية وأعددنا جواباً عليها بمعنى واحد وتناولنا الغداء على عجل ليتمكن اركان سوريا من العودة حالاً ويتداركوا الحالة .

واشتدّ بنا اضطراب البال، وخشينا مرة اخرى على الاستقلال خصوصاً وان انتصار الحلفاء الذي وصل خبره الينا في ٨ من نوار أثار هياج المشاغبين من عَمَلة الفرنسيين وعملائهم اذ أخذوا يطوفون شوارع بيروت في الكميونات العسكرية ويطلقون العيارات النارية والعبارات النابية ويستفزّون الاهالي الآمنين .

واندفع الجنود الفرنسيون يقيمون الزينات في ثكناتهم ويطلقون النار من بنادقهم الحربية طَوال ثلاثة ايام، ولا سيما في كورنيش المنارة، ومنعوا الناس من السير عليه منعاً باتاً .

وتحرّج الموقف كثيراً، فرحت اطوف المدينة بسيارتي، ماراً بأكثر الشوارع طَمْأَنةً للاهالي . وذهبتُ علناً الى حفلة سينمائية لاوحي اليهم بالثقة . وأذكر ان اناساً مجتمعين في أحد الاحياء استوقفوا سيارتي وقالوا لي : يا فخامة الرئيس، لم نعد أمينين على انفسنا ونرجو باسم الجمهور ان تزوّدنا بالسلاح . فطيّبتُ خواطرهم .

في ذلك الجو الملبّد بالقلق والجأش عقد المجلس النيابي جلسة في ٢٢ من نوار وقد تدفق على الرئاسة سَيْل من برقيات الاحتجاج على مطالب الفرنسيين، من مختلف انحاء الجمهورية ومن جميع منظمات البلاد ومن الجمعيات النسائية الخ ... فأحيلت الى مرجعها . وتلا وزير الخارجية

بياناً مسهباً بسط فيه الاعمال الاستفزازية التي جرت والمطالب الفرنسية التي بُلِّغت إلينا والى الحكومة السورية بشأن المركز الممتاز والتي رأت حكومة باريس ان تدعمها بإرسال المدرعة جان دارك وعليها ١٢٠٠ جندي سنغالي، وهذا كله مما يوطّد عزمنا على رفض كل مفاوضة تحت الضغط .

وانهى الوزير بيانه بهذه الكلمات :

« وثقوا يا حضرة ممثلي الامة ان موقفنا جليّ لا يعتريه أي ابهام أو غموض . ان لبنان بلد مستقل ذو سيادة، واننا سنحافظ على استقلال لبنان وسيادته . ولا نقبل أبداً ان تنتقص هذه السيادة ويُمَس هذا الاستقلال . »

وقوبلت تلك الكلمات بتصفيق قوي متواصل، وانبرى الخطباء يؤيّدون الحكومة ويشكرونها على موقفها . فتكلم رياض الصلح وحبيب ابو شهلا وسعدي المنلا ومحمد الفضل ومحمد المصطفى وأديب الفرزلي وعادل عسيران واميل لحود وصائب سلام وكمال جنبلاط ورفعت قزعون، ولولا ضيق الوقت لتكلم النواب جميعهم، وقد بلغت الحماسة اشدّها .

فشكر رئيس الوزارة الامة جمعاء على هذا التأييد المنقطع النظير، ووافق على عرض موازنة الدفاع الوطني على الاقتراع، فوقف الجميع نواباً وحكومة وحضوراً، ينشدون النشيد الوطني .

« ... حبيب ابو شهلا : يحي رئيسنا المفدى فخامة الشيخ بشاره الخوري !

النواب والحضور : يحي ! يحي !!

الرئيس : الباب الثالث عشر، وزارة الدفاع الوطني، فصل وحيد، البند الثاني : نفقات الجيش ٥ ملايين ليرة . يصار الى التصويت عليه وقوفاً، من يقبل فليقف . اجماع .

الرئيس : قُبِل بالاجماع » (محضر الجلسة)

حوادث دمشق :

والتهبت دمشق دفعة واحدة وجرت فيها الحوادث الدامية التي ذكرتها الصحف بكل إسهاب فلم يقف لبنان بعيداً عن الشقيقة سوريا .

وكانت جلسة ٢٩ من نوار اعظم شاهد على تضامننا الاخوي، فقد افتتحها رئيس الوزارة باسطاً موقف لبنان من محنة سوريا، وذكر الاحتجاجات التي بعث بها الى الدول الحليفة يناشدها التدخل لوقف هرق الدماء، ولتأمين استقلال البلد الشقيق .

وفي اليوم الثاني وصل الى بيروت سعد الله الجابري وطلب مقابلتي فاستقبلته حالاً، وعرضنا طوال ساعتين حوادث دمشق والحالة السيّئة التي وصلت اليها . وقد أحسنتُ وفادة سعد الله ودعوته الى النزول في القصر الجمهوري فاعتذر بلطف . وروى لي انه تمكن من مغادرة العاصمة السورية بزيّ غير زِيّه وبسيارة غير سيارته، وإلاّ لما قدر على السفر . وكان مضطراً اليه بسبب اجتماع مجلس الجامعة في القاهرة ليحمل اليها الخبر اليقين عن سوريا، وليستعينها على الحالة الشاذة التي استفحلت فيها .

بقي سعد الله طوال اقامته عندنا موضوع رعاية خاصة مني ومن الحكومة اللبنانية، وقد أنزلناه بيننا منزلة واحد منا فتأثر جداً بهذه العاطفة الاخوية .

وفي ٣١ من نوار طلب اليّ وزير بريطانيا مقابلة يصحبه فيها الجنرال باجيت القائد الاعلى للقوات الانكليزية في الشرق ومعهما اميرال البحر المتوسط، فعيّنت لهم المقابلة في السراية . وكان موضوع البحث ابلاغ مذكرة من دولته تتعلق بأحداث سوريا واستقلال البلدين فدعوتُ سعد الله الجابري الى هذه المقابلة مع رئيس وزارتنا ووزير خارجيتنا .

وهذا ملخّص البلاغ : «تُسحب القوات الفرنسية من المدن السورية الى معسكرات اخرى . يتسلم الجيش البريطاني القيادة العسكرية (كانت بيد الجيش الفرنسي في هذه البقعة) وتدعى حكومتا لبنان وسوريا لمفاوضات رباعية مع فرنسا وانكلترا في لندن .»

سمعنا هذا البلاغ فهدأت منا الخواطر . وتبادلنا احاديث الساعة وعرفنا ان الجنرال باجيت ذاهب في اليوم نفسه الى دمشق ليدخلها في الساعة الواحدة بعد الظهر على رأس قواته العسكرية الموجودة في سوريا. فرغب اليه سعد الله الجابري بأن يرجع معه الى دمشق فاستصحبه الجنرال ودخلت الجيوش الانكليزية عاصمة سوريا ثم عاد سعد الله حالاً الى بيروت .

انتشرت تلك الاخبار انتشار البرق في طول البلاد وعرضها، فقامت التظاهرات الصاخبة الحماسية تهتف للاستقلال، وفي ٢ من حزيران تدفقت الجماهير الى ساحة الشهداء هاتفة مهلّلة كأن مسّاً قد اعتراها، فاضطررتُ لان أُطلّ عليها من الشرفة ومعي الوزراء وسعد الله الجابري، وكانت هي المرة الاولى التي أُقابل فيها الجماهير بعد رجوعي من فلسطين، فعلا الهتاف وكلّت الايدي من التصفيق، وانهمرت الدموع من عيني وخاطبتُ الشعب اللبناني باللهجة الصادقة التي تعوّدها مني، فقلتُ كلمتين مختصرتين معناهما : اننا لا نقبل بأيّ انتقاص من استقلالنا وسيادتنا، واننا مستعدّون لاهراق دمائنا في سبيلها .

وانصرفت الجماهير بكل هدوء . واستودعني سعد الله متأثراً جداً من استقبالنا له وإشراكه بالمفاوضات والمباحثات والتظاهرات ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يهزّ يدي منحنياً بذلك التهذيب الرفيع الذي رافقه حتى آخر دقيقة من حياته القصيرة، رحمه الله !

احداث مهمة مشرفة ، وازمة داخلية :

انتهت الدورة العادية وابتدأت الطمأنينة تعود الى النفوس بعد استتباب

الأمن في دمشق ، وبعد ان أظهر لبنان حكومة وشعباً عطفه على محنة الشعب الشقيق وأرسل اليه الاعانات المادية والبعثات الطبية .

وكان وفدنا قد سافر الى سان فرنسيسكو واستقبلته الجاليات اللبنانية بكل حفاوة ، وباشر الجلوس مع ممثلي الامم الحرة والاشتراك معهم في المباحثات ، وواصل إرسال التقارير عن نشاطه ، واهمها خبر الموافقة على البند الخاص بوضعنا الاستقلالي وهو يُبعد عن بلدنا شبح الانتداب .

وبدأت علاقتنا بالفرنسيين تتحسن تدريجياً بعد اجتماع الجامعة العربية في ٤ من حزيران، ووقوف الدول العربية موقف الاخ المؤيّد . وعدنا الى المطالبة بتسلّم جيشنا منهم فصعبت المفاوضة في بدء الامر، ثم تقدمت خطوة بعد خطوة حتى رضوا بمبدأ التسليم، وبقي علينا ان نتفق واياهم على الصيغة وعلى الطرق .

اما الصيغة فوجدنا من المناسب ان تكون بوثيقة رسمية تصدر من الجانب الفرنسي وحده تنفيذاً للوعود السابقة، وأما الطرق فبتعيين لجان خاصة تقوم بدور التسليم والتسلّم . وقد عُيّنت هذه اللجان فوراً وباشرت اعمالها فلمسنا عندئذٍ حسن النية .

واستقبلت البلاد هذه الانباء بكثير من الاهتمام والبهجة .

وانصرف مجلس الوزراء في شهري حزيران وتموز لتنظيم قوى الامن بعد تسلّم الجيش . وكانت الحكومة يوم قررت موازنة الدفاع الوطني قد فكرت بدعوة اللبنانيين الى التطوع في خدمة العَلَم ، وعيّنت لجنة اخصائية للتدريب العسكري ، فرأينا انه لم يبق من حاجة الى هذه الشؤون كلها . وقد نظّم مجلس الوزراء قيادتَي الجيش والدرك في آن واحد ، وأُسندت قيادة الجيش للزعيم فؤاد شهاب .

تلك الاحداث كلها لم تشفع ببقاء الوزارة في الحكم ، مع انها ربحت كثيراً من مواقفها السابقة ، ونالت ثقة اجماعية من المجلس وتأييداً من الخاص والعام ، وخرجت من المصاعب الداخلية ومن المنازعات مع الفرنسيين بصورة مشرفة . ولكن ذلك كله لم يكن ليحسن بوضعها النيابي ، فقد نفر كثير من اعضاء المجلس بسبب قلة مرونة رئيسها ، والحملة التي أُثيرت عليه بأنه مستسلم لسياسة هنري فرعون، ومتفاهم معه على زج لبنان في سياسة البحر المتوسط . وكل هذا افتراء محض . وعبثاً حاول رئيس الوزارة تكذيب تلك المزاعم التي لم يلبث الواقع ان كذّبها بدوره، فما ان ختمت الدورة حتى وفد عليّ عدد من النواب يشكون لي امرهم . وكان عبد الحميد قد قابلني غير مرة متبرماً ، هو ايضاً ، ومستقيلاً، وأدلى بالتصريح تلو التصريح غامزاً من قناة النواب . فرحت استمهل الجميع لانني عارف بالظروف المحيطة بوضعنا الداخلي وواثق من اخلاص عبد الحميد للسياسة الخارجية التي قررناها منذ تأسيس العهد .

ولكن نصائحي ضاعت وضاع جهدي، ووقّع اثنان وعشرون نائباً على طلب دورة استثنائية لنزع الثقة من الوزارة . وصحيح ان عدد التواقيع لم يبلغ النصاب القانوني ولكن الطلب كان له اثره في الرأي العام ووقعه السيء على رئيس الوزارة ، فأقبل عبد الحميد يقدّم اليّ استقالته ولم اقبلها بل طلبتُ منه ان يتريّث ويجالد لنرى ما يكون، وطويت المذكرة بين اوراقي .

وسكنت الحالة نوعاً حتى أواخر تموز . واستمر رئيس الوزارة يكثر من التصريحات التي تزيد في الوضع توتراً ، فقابلني وفد من النواب يمثلون فئات المجلس وطلبوا اليّ فتح دورة استثنائية ، فأعلمت رئيس الوزارة بالامر وأجابني ان هذا جلّ ما يطلب، فاخذتُ علماً باتفاق الرغبتين ووقّعت على مرسوم بفتح الدورة ابتداء من اول آب، على ان لا تعيّن الجلسة الا في اواسط الشهر ، لعلّنا نصل الى حل يرضي المتنافسين .

جلسة جميلة :

سعيتُ قبل الجلسة ان تنال الوزارة الثقة بالاجماع ليتسنى لرئيسها التخلي عن الحكم بمجالي الكرامة مع علمي بقلة إنصافه ، وقد تعدّت تصاريحه الاخيرة انتقاد النواب الى انتقاد الوضع الدستوري والشكوى من تشابك الصلاحيات ومن التبرم بالدستور ومن طغيان رئاسة الجمهورية على رئاسة الوزارة (كذا !..) وكان كثيراً ما ينقاد برنة الالفاظ فيؤثرها سامحه الله على جوهر المعاني ، فاعاتبه من حين الى آخر بكثير من اللطف واللين وأُظهر له قلة انطباق اقواله على الواقع الدستوري والسياسي، فيجيبني : «يشهد الله ، انني ما قصدتُ ذلك ، ولكنني تعبت من الحكم، وما لي ولهؤلاء، لا افهمهم ولا يفهمونني ...»

لم أُوفق الى ضمان الاجماع للوزارة بالاقتراع على الثقة ، ولكني ضمنت لها اكثرية لا بأس بها . وكان عبد الحميد قد وعد بالاستقالة وعداً قاطعاً فور الاقتراع . ومرّت جلسة ١٤ من آب جلسة نيابية جميلة ولكنها لم تنفع الحكومة ولم تثبت قدميها في الحكم اي تثبيت .

ابتدأت الجلسة باعلان خمس دقائق للصمت حداداً على ارواح الشهداء .

ثم ألقى وزير الخارجية بياناً مفصلاً عن الاحداث الجسام التي مرّت بالبلاد، استهله بنبأ انتهاء الحرب مع اليابان، ووضع حدٍّ للمجزرة البشرية التي هزّت العالم، وتطرق الى الخطوات التي خطاها لبنان لممارسة سيادته في ظل الاستقلال والكرامة ... « وَثبات جبارة لكنها طبعت بطابع الحكمة والرصانة . . . وأُجاهر والفخر مالىء منا النفوس اننا لم يسبق في تاريخنا ان وقفنا مثل هذا الموقف النهائي المشرّف : رجال احرار بين رجال احرار، متساوون على الصعيدين الانساني والسياسي مع اعظم شعوب الارض . »

ثم عرض الوزير حوادث سوريا المؤلمة وأشاد بفوائد التعاون العربي، واهتمام المحافل الدولية في عواصم العالم بوضع دولتَي المشرق اي سوريا ولبنان، وبالصداقات التي لقيها العرب في مؤتمر سان فرنسيسكو .

وشكر الخطيب وفدنا لدى المؤتمر الدولي وأعلن إدخال النص الجازم على ميثاق الدول المتحدة، ذلك النص الذي يجعل حدّاً لكل غموض فيما يتعلق بوضعنا السياسي الدولي ، ألا وهو البند الـ ٧٨ من الميثاق الذي يقضي صراحة بأن :

« لن يطبق نظام الوصاية على الدول التي اصبحت اعضاء في الامم المتحدة اذ يجب ان تقوم العلائق بينها على احترام مبدأ المساواة المطلقة . »

خمسون دولة وافقت على ان يصبح المبدأ الحق شريعةً ملزمة .

وانتقل الوزير الى الحقل الداخلي فأعلن تسلّم لبنان وسوريا الجيش كاملاً بعَدده وعُدده، وتنظيم اللجان اللازمة للقيام بهذا الغرض .

ثم ألقى وديع نعيم وزير الداخلية بياناً مفصلاً عن اعمال الوفد الذي رأسه في سان فرنسيسكو، وعن تنظيم هيئة الامم وقواعد الجمعية العمومية ومجلس الامن الدولي ، وتطرق الى عطف الدول على قضية لبنان، والى الحفاوة التي لقيها الوفد عند جاليتنا في الولايات المتحدة ، وطلب الموافقة على ميثاق هيأة الامم ليصبح لبنان عضواً عاملاً في الهيأة العالمية .

وألقى رئيس الوزارة بياناً رصيناً عما عملته وزارته في السياسة الخارجية والداخلية ، ولم يتضمن أثراً لتوتّر الاعصاب ، وختمه بطلب الثقة قائلاً :
« ان المناصب الوزارية عَرَض زائل لا يدوم واما العهد الوطني الذي يربطنا بكم لهو جوهر خالد لا يزول ، واما منح الثقة من قِبَلكم فأمر يعود الى حضراتكم وثقوا انه لا يؤثر مطلقاً على اخلاصنا الاكيد وها اني اطرحها امامكم ، ألهمكم الله الى ما به الخير لامتكم وبلادكم والسلام . »

وبعد ان انتقد عدد من النواب سياسة الحكومة الداخلية طُرحت الثقة على الاقتراع فنالت الوزارة ٣٥ صوتاً من ٤٥ مقترعاً ، وهي اكثرية لا بأس بها (وكان المتغيبون عشرة) .

استقالة عبد الحميد ــ وزارة سامي الصلح :

خَفَّ عبد الحميد لمقابلتي بعد انتهاء الجلسة يرافقه الوزراء وقدّم لي استقالته شفوياً ، فقررنا ان نلتقي في اليوم الثاني (١٦ من آب) في السراية ليقدّم لي استقالة خطية . وحوالي الساعة العاشرة من اليوم الثاني جاءني الى مكتبي وقدّم لي كتاباً تلوته ورأيت فيه تعريضاً بمجلس النواب بتجاوز حد العرف، فطلبت منه ان « يخفّف اللهجة » فلم يقتنع اولاً، وأعدتُ الكرّة عليه حتى اتفقنا على « صيغة وسطى » لم تكن كل ما ارغب فيه ولم تكن كل ما اصرّ هو عليه ، فتسلمتها منه وكلفته تشكيل الوزارة ثانية باعتبار ان المجلس لم يخذله بل اعطاه الثقة ، فاعتذر وأصدرنا بياناً بذلك لاني كنت متوخياً المحافظة على كرامته الى آخر حدّ، فودّعته بحرارة وشكرته على ما قام به من خدمات، خصوصاً اثناء مرضي وغيابي، وشعرت وهو يودّعني انه ممتعض حيث لا سبيل الى الامتعاض، وطالما اظهر لي رغبته في ترك الحكم . والحق يقال ان وطنية عبد الحميد لا غبار عليها ولكنه عصبي المزاج سريع التأثر . وخرج من الحكم فجعل من تشابك الصلاحيات ومن تعديل الدستور برنامجاً له حزبياً !

قمت باستشارات واسعة بين النواب فرشّح كثيرون منهم سامي الصلح لتشكيل الوزارة الجديدة فدعوته وكلفته، وطال امره في التشكيل، ولم يوقّع على مراسيم الوزراء الذين ألّفوا الوزارة الرابعة إلاّ في ٢٢ من آب .

وابتدأ سامي الصلح العمل بنشاط ملموس وهمّه، الظاهر، الانشاء والعمران . واستخرج من ادراجه المشاريع القديمة التي أُعِدّت له يوم

كان رئيساً للوزارة في عهد الفرنسيين في الحرب، وبعضها ممكن التحقيق والبعض الآخر اقرب للخيال منه الى الواقع . اما الامر الذي اتفقنا عليه فاستكمال تسلّم المصالح الباقية في يد الفرنسيين .

ويمكن تلخيص رد الفعل السياسي لتشكيل هذه الوزارة بما يأتي :

١ – عتبٌ لا مبرّر له من عبد الحميد كرامي الذي راعيتُ خاطره الى آخر دقيقة ، فراح يشنّ الهجوم في اثر الهجوم على ما اسماه بـ « صلاحيات الرئاسة »، ويتحدث عن تشابك الصلاحيات، على غير حق، ولا سيما انه قد مارس صلاحياته الدستورية على اكملها ، وكنت وإياه على تمام الاتفاق في ما قام به من اعمال .

٢ – غضبٌ ظاهر من هنري فرعون، لا لسبب إلاّ لان بعض الدستوريين لم يولوه الثقة على رغم من تأكيده لهم انه مستقيل .

٣ – امتعاض ضمني مهذب من رياض الصلح لعدم تشكيله الوزارة، ولتصريحات جامحة من هنري فرعون كان رياض يتألم منها ويصارحني بما في نفسه في جلسات كثيرة في عاليه . ومن نكد الدنيا ان يعتب عليّ رياض بسبب فرعون حالة ان فرعون عاتب عليّ !

الثقة — الموافقة على ميثاق هيئة الامم — التحفظ بشأن استقلال فلسطين :

مع تلك العوامل التي ذكرتُها تقدمت الوزارة الى المجلس في ٣ من ايلول . وترأسَ الجلسة جورج زوين رئيس السن لانحراف في صحة صبري حماده اضطره للتغيب . وألقى رئيس الحكومة بياناً شكر فيه الحكومات السابقة على ما قامت به من اعمال واكّد للنواب ان سياسته الخارجية لا تختلف عن سياسة تلك الوزارات، وانه في الحقل الداخلي سوف يتسلّم المصالح الباقية في يد الفرنسيين، وانه ينوي اتباع سياسة الانشاء والتعمير .

وعلى الاثر نهض حميد فرنجيه وزير الخارجية وعرض قضية جلاء القوات الاجنبية المسلحة عن البلاد قائلاً : على الفرنسيين ان يجلوا عن لبنان يوم تجلو عنه القوات البريطانية .

وظهر من مباحثات تلك الجلسة ان قضية الجلاء اصبحت شغل البلاد الشاغل لان الله آتى الحلفاء النصر على اعدائهم ، فلم يعد من مبرر لوجود عساكرهم في اراضينا ، سواءً اكانوا كالفرنسيين بحكم الانتداب الذي زال، او كالبريطانيين الذين جاؤوا سنة ١٩٤١ بسبب حربهم مع جنود حكومة ڤيشي .

نالت الوزارة ثقة اجماعية جعلتنا نستبشر خيراً للوصول الى اهدافنا الوطنية واستكمال اسباب الاستقلال العملية .

واتفق ان ميثاق هيئة الامم عُرض على المجلس بغية الموافقة عليه وكان من المناسب ان تتمّ الموافقة باقرب وقت ، وصادف وصول بعثة من اعضاء الكونغرس الاميركي مستقصين احوال السياسة في دول الشرق العربي ، فتعينت الجلسة في ٤ من ايلول وحضرتها البعثة المذكورة ورحّب بها رئيس المجلس وتلا مقرر اللجنة الخارجية بياناً شاملاً عن الميثاق ومميزاته ، وعن ضرورة الموافقة عليه لما فيه من اعتراف نهائي جازم بزوال كل وصاية عن لبنان، وقد قوبل تقريره بالاستحسان . واشترك في البحث عدد من النواب بينهم وديع نعيم وعبدالله اليافي عضوا وفدنا الى سان فرنسيسكو .

وأثار رياض الصلح قضية فلسطين بالشكل الآتي : ان الوصاية قد زالت عن الدول التي دعيت الى المؤتمر بموجب البند الـ ٧٨ من الميثاق ، ولما كانت فلسطين لم تدعَ اليه بسبب الانتداب القائم عليها فالوصاية اذاً لم تزل قائمة عليها . وقد خشي رياض ان يُفسَّر اقرار الميثاق من قِبَل لبنان بأنه تنزُّلٌ ضمنيّ عن المطالبة باستقلال فلسطين فأظهر هذا التخوف بكلمة وجيزة ، وشاركه في ذلك بعض النواب ، وأقر المجلس بالاجماع

وفي بندٍ واحد ميثاق الامم المتحدة الموقّع عليه في سان فرنسيسكو في ١٦ من حزيران سنة ١٩٤٥، وفور هذا الاقرار وافق المجلس على اقتراح يتعلق بفلسطين وشرقي الاردن هذا نصه :

« ان المجلس النيابي اللبناني يعتبر ان مصادقته على ميثاق الامم المتحدة لا ينطوي من قِبَله على اي اعتراف بالوضع الشاذ الموقت القائم في فلسطين وشرقي الاردن اللذين يعتبرهما بلدين عربيين مستقلين، وفقاً لمقررات الجامعة العربية ، ويعلن استعداده لمواصلة العمل في سبيل ممارستها هذا الاستقلال، بالتعاون مع البلدان العربية وجميع الامم المحبة للعدل والسلام في العالم . »

انتهت الجلسة على احسن ما يرام . وسُرّ بها اعضاء الكونغرس وذهبوا بعدها تواً الى عاليه مع الهيئات الرسمية اللبنانية لتناول الغداء على مائدتي . وقد وصلوا وعلى صدورهم شارات الحزب الذي ينتمون اليه ، ولا تسل عن الجو المرح الذي ساد تلك الحفلة اذ ارتدت طابعاً عائلياً .

ووقفت اعمال المجلس الى تشرين الاول وباشرت الحكومة اعمالها .

العفو عن لبنانيين هاربين :

أوفد سلطان باشا الاطرش رسولاً من عائلته الى بيروت يحمل اليّ رسالة بشأن الدروز المحكوم عليهم في لبنان واللاجئين الى جبل الدروز، لعله يوضع حد للملاحقات الجزائية بحقهم على ان يدفعوا التعويضات الشخصية المتوجبة عليهم . وكان الكتاب غاية في اللطف والتهذيب العالي اللذين امتاز بهما الدروز عامة وزعيم الجبل الدرزي خاصة .

وكانت ظروفنا الداخلية في الاشهر السابقة قد حالت دون العناية بهذا الامر، خصوصاً وان جميع الاحكام المذكورة غيابية لا يجوز ان يصدر عفو

عن اصحابها ما لم تكتسب صيغتها القطعية ، فكان يقتضي والحالة هذه الاعتراض عليها اولاً ، والاعتراض يستوجب الحضور الشخصي والتوقيف في السجن، وهذا ما رغب الينا سلطان باشا ان نتحاشاه . فقلنا للرسول ان يتريث ليتسنى للمدعي العام يوسف شربل درس وسيلة مثلى الى الغاية المنشودة . ثم رأينا ان اعدلَ حل هو إعداد ملفات تلك الدعاوي مسبقاً فتجري المحاكمات تباعاً، وتنتهي الجلسات يوم تسليم المحكوم عليهم فاذا بُرّئوا خرجوا من السجن حالاً ، واذا عُوقبوا صدر العفو عنهم حالاً ايضاً بمرسوم جمهوري، فلا تكون مدة التوقيف قد تجاوزت بضع ساعات . وكان من مصلحة الجميع ان تصفّى تلك الشؤون القديمة خصوصاً وان الحوادث الجنائية التي فرّ بسببها اللاجئون الى الجبل لم تكن كلها طائفية، بل منها حوادث عدة بين الدروز انفسهم ، وحوادث اخرى لها الطابع السياسي .

ولما وصلنا الى هذا الحل عقدنا اجتماعاً في سراية البرج رأسته بنفسي ودعوت اليه رسول سلطان باشا اكراماً مني للزعيم الذي أرسله . وحضر الاجتماع رئيس الوزارة ووزير العدل والامير مجيد ارسلان والمدعي العام الاستئنافي وموظفون كبار آخرون من وزارة الداخلية ، وبسطت عليهم الامر وقلت بالحل المتفق عليه، فسأل الرسول : وما هو الضمان لذلك ؟ فآلمني منه ذلك الحذر المريب وقلت ببعض العنف : « لا لزوم لضمان كلمة رئيس جمهورية لبنان ! » ورفعت الجلسة ، فاتجه الامير مجيد نحو الرسول وانهال عليه بالتعنيف تعنيفاً شديداً على مسمع من الحاضرين ، فتقدم الرجل معتذراً مني . ولم استأنف الجلسة بل طلبت من رئيس الوزارة ووزير العدل ان ينفّذا الخطة المرسومة . وهكذا انتهى معظم الدعاوي الجزائية التي من هذا النوع .

اعضاء المجلس النيابي في ضيافتي - ذكرى ٢١ ايلول :

رأيت ان ادعو رئيس المجلس النيابي واعضاءَه وعقيلاتهم الى تناول

العشاء في عاليه اذ لم يتسنّ لي ذلك من قبل، فقد اقتصرت الحفلات في الرئاسة قبل انتقالنا الى الجبل على دعــوة رجال السلك السياسي والقنصلي، وعلى استقبال رسمي وتناول الشاي . ورأيت من الضروري ان اجتمع الى اعضاء الهيئة التشريعية فلبّوا الدعوة جميعاً بما فيهم نواب المعارضة، وساد الجوّ انشراح تام وأنس كبير . وفيما انا الى مائدة على الشرفة الشرقية من البيت سمعتُ اصواتاً ترتفع من الشرفـــة الشمالية فأسرعتُ واذا جدل عنيف بين عبد الحميد كرامي وحبيب ابو شهلا على شؤون سياسية سابقة، وسمعت حبيباً يقول: « لم اطلب منك شيئاً يا دولة الرئيس» فأجابه عبد الحميد بحدة: « بلى، تدخلتَ معي بقضية كذا ! » وكاد الجدل يسمّم الجو فطلبتُ من الاثنين ان يخفّفا من حدتها ففعلا، غير ان عبد الحميد ودّعني حالاً وانصرف، وبقي حبيب وهو واجم متأثر لا يفوه بكلمة، وسأله كثيرون عما جرى فاعتصم بالصمت . ثم اعتذر مني لحادث جرى على غير رغبة منه، ومضى . وأيّاً يكن البادىء في الجدل فالساعة لم تكن موآتية لاثارة موضوعه في الحفلة .

طلبتُ من رئيس الوزارة ان لا تقام حفلات رسمية لذكرى ٢١ من ايلول، واكتفيت باستقبال من زارني مهنئاً في مقرّ الرئاسة بعاليه . وصادف ان عبد الرحمن عزام باشا الامين العام لجامعة الدول العربية وصل الى لبنان في يوم الذكرى فاستقبلته صباحاً بحضور وزير خارجيتنا وابديت له بعض ملاحظات تتعلق بشؤون الجامعة، ودعوته الى العشاء على مائدة عائلية .

توافد الرجال الرسميون والاصدقاء مهنئين، وطلبتُ من الكثيرين ان يظلّوا معنـــا لتناول عشاء بارد على سطيحة البيت، ومُدّت مائدة كبيرة جلس حولها المدعوون، وجلس بجانبي امين سر الجامعة ورئيس الوزراء ورياض الصلح وحبيب ابو شهلا وسواهم كثيرون . وجاء بعض « القوّاله » يغنّون اغاني بلدية، وخطب الخطباء ومنهم امين الجامعة فقال:

« تأكد لي اليوم ان رئيس لبنان هو ابو اللبنانيين جميعاً، فأغبطـهُ على هذه الثقة وادعو بتوفيق لبنان وعزه» . واجبت شاكراً جميع الخطباء .

وظهرت الزينات جميلة جداً على جوانب الطرقات في عاليه، وفي القرى المقابلة كبيت مري وبرمانا وضهور الشوير الخ ... فشكرت الله على هذا النهار الذي تجلّت فيه روح طيبة جداً واحاط بي فيه اكثر اركان البلاد من الذين يعتمد عليهم في المشاكل، وشعرتُ حقاً بمحبة ابوية نحو جميع اللبنانيين على اختلاف الملل والنِحل والمشارب .

حفلة في قصر الامير :

كان ترميم قصر بيت الدين جارياً على قدم وساق، ووصلت الاشغال الاساسية الى حد النهاية، فرأيت ان احتفل بافتتاح القصر والحدائق وبعثتُ ادعو الشخصيات الرسمية اللبنانية ورؤساء البعثات الاجنبية وبعض الوجهاء وعقيلاتهم وبعض الصحفيين، فاجتمع في بيتنا بعاليه قسم من المدعوين حضروا معنا القداس وسرنا بموكب طويل في طريق الحازمية الدامور، وجلستْ والدتي الى جانبي، وهي لم تطأ قدماها بيت الدين منذ عهد المتصرفية (آخر صيف سنة ١٩١٤)، فسُرّت سروراً عظيماً بتلك المناظر الخلابة من وادي الدامور حتى القصر، ودخلَتْ مرفوعة الرأس فخورة اذ رأت دار الامير في اجلى ابهتها وعظمتها، وشكَرت الباري ان وقعت عيناها على اعمال الترميم في تلك البقاع التي كادت تقفر بعد عهد المتصرفين .

امـــا الحفلة فكانت ممتعة حضرها ايضاً اعضاء الكونغرس الاميركي (بعد عودتهم من سوريا) ومُدّت الموائد في الحدائق الغنّاء، وصدحت موسيقى الدرك بالالحان القديمة، وتناول الطعام مئتا مدعو . وبعد الغداء والاستراحة استأذن الاجانب بالانصراف، وبقي اللبنانيون لاستماع حفلة بلدية تبارى فيها « القوّالون » واجادوا الاجادة كلها .

ولم نفارق الربوع الجميلة الا في المغيب والشمس تغطس في البحر خلال غمامة في عرس من الالوان الفتانة ، والوالدة الى جانبي تدمع عيناها فرحاً ، وذكرنا الوالد الذي قضى اكثر من ثلث قرن بين سراية بعبدا وسراية بيت الدين موظفاً كبيراً معزّزاً مكرماً ، قَـلِقاً على مركزه، اميناً لحكام لبنان ، عطوفاً على مواطنيه ، وبَرّاً بهم ، فيرون فيه الخير ولا يخشون منه شراً ، رحمات الله عليه !

الرّحلاتُ الثلاث

دورة استثنائية :

كنتُ أجمع مجلس الوزراء مرتين في الاسبوع، وأُوجّه اكثر نشاطه الى الشؤون العمرانية التي وَزّعناها على مختلف الانحاء، ومن اول القرارات التي اتخذناها جرّ مياه الباروك الى عاليه .

ورأينا ان تُفتح دورة استثنائية في اول تشرين الاول لاقرار بعض الاعتمادات الاضافية وبعض مشاريع القوانين ، ومنهـــا قانون المحكمة العسكرية[١]، وقانون رفع الاعلام الاجنبية ، وبعض قوانين تتعلق بتسهيل الاعاشة ، والعَودة الى النَمَط الطبيعي في سير السيارات جميعها (المفردة الارقام والمزدوجتها) فأقرّت هذه القوانين كلها في الثاني من تشرين الاول في جلسة استهلها رئيس الوزارة ببيان مسهب عن المصالح التي تسلمناها من الفرنسيين والمصالح التي سنتسلمها .

زيارة الشمال :

بعد طول الاستجمام شعرتُ ان نشاطاً جديداً قد دبَّ فيّ فصرفته الى

(١) – صار انشاؤها وتعيين صلاحياتها بالنسبة الى المحاكم الاخرى ضرورياً بعد أن بدأنا نتسلم طلائع الجيش .

شؤون عامة، وفي رأسها زيارة المناطق اللبنانية مبتدئاً بالشمال، وقصدي غايتان : التعرّف الى الشعب العزيز وجهاً لوجه، والوقوف مباشرة على حاجاته دون وسيط، وإبلاغه رسالة العهد الجديد وهي رسالة لمّا يتفهمها بعض المواطنين لتزاحم الحوادث على لبنان في فترة قصيرة من الزمن .

رُتّب برنامج الزيارة الاولى في مجلس الوزراء وبالاتفاق مع ممثلي المنطقة، ودُعي اليها جميع النواب والصحافيين الذين يرغبون بمرافقة الرئيس، وأُعِدّت السيارات لمن لا يملكون سيارات .

وتحرّك الموكب في ٥ من تشرين الاول وبدت لنا الزينات على جانبَي الطريق . وجعلوا أُولى المحطات سراية البترون فاجتمع الموظفون المحليون ووجهاء القضاء والاهالي، يتقدمهم النواب الذين خفّوا لاستقبالنا عند جسر المدفون ومعهم هيأة بلديتَي طرابلس والميناء . وتبادلنا الاحاديث والانخاب في قاعة السراية .

ثم مشى الموكب الى طرابلس وما ان أطلّ عليها حتى شاهدنا الزينات والاعلام واقواس النصر تملأ الشوارع والساحات، وأُلوف الناس متراصة على الارصفة والشرفات والسطوح، فاضطررتُ الى الوقوف في السيارة ومعي رئيس الوزراء لأردّ على الجماهير تحيتها، وهي تصفق بحرارة وتهتف من اعماق افئدتها . ووقف الموكب امام السراية حيث اجتمعت وفود المدينة ووفود المحافظة، وصدحت الموسيقى بالنشيد الوطني، فاستقبلت الجماهير ختام النشيد بالهتاف المتواصل والتصفيق . وعرضتُ فِرَق الجيش والمدافع تُطلق تحيةً فكان العرض جميلاً جداً، وبلغ مني التأثر مبلغاً زائداً وكادت دموع الفرح تنهمر من عيني فتمالكت عنه، غير اني عند مروري امام العلَم الذي أُحني لتحيتي تقدمتُ منه وجمعتُ اطرافه المقصّبة وطبعتُ عليه قبلة كانت تجلّي سعادتي في تلك الدقيقة، فتكاثر الهتاف والتصفيق ولاحظتُ عيوناً كثيرة قد اغرورقت بالدموع .

انتهى العرض المؤثر فاستقبلتُ الهيئات الرسمية والسلطات الروحية

والموظفين ووفود المدينة والمحافظة ، استقبلتهم جميعاً في قاعة السراية بحضور النواب واركان قوى الامن ، مُرسِلاً الى كلٍّ بمفرده عبارة شكر لطيفة ، وانا اعرف اكثرهم معرفةً شخصيّة لان بين الشمال وبيني صلاتٍ تعود الى عهد الصبا .

اما الاستقبال الشعبي فجرى منقطع النظير ، وهيهات وصف الحماسة التي استولت على طرابلس بجميع فئاتها الشعبية . وقد ازدادت حماسةً لما مشيتُ على الاقدام بين الجماهير الزاخرة من السراية الى فندق حكيم حيث مدت موائد الغداء . ولم ينقطع الهتاف دقيقة واحدة في الفترة التي انقضت قبل الغداء ، ولا في وقت الغداء ، الا عندما وقفتُ لاخطب ، فاستلهمت ذلك الجو وتدفـّقتْ كلماتي من قلبي الى لساني ونزلت منسجمة على المستمعين نزول الندى ، وكنت اقرأ على وجوه الجالسين حول المائدة انعكاس ما يجول في خواطرهم من فرح وابتهاج وتأثر وحماسة .

بدأت الخطاب شكراً وعرفان جميل لله تعالى ولشعب لبنان ولاهل الفيحاء ، ثم اوجزت ما مضى من الاحداث منذ الاستقلال ، وما كان من التفاهم وجمع كلمة اللبنانيين ، ومما قلته وجاء عفواً دون تكلّف :

« ... ولما سرنا على هذه السياسة الاستقلالية الجريئة ودفعنا عن انفسنا تهمة العزلة والانعزال ، وتلفـّتنا الى العرب الذين تجمعنا واياهم رابطة اللغة والعادات والاخلاق الشرقية والمصلحة والاماني ، لم يعد في لبنان سلبيون ولا ايجابيون ، لا مسلمون ولا نصارى ، بل صار الجميع شخصاً واحداً ، لبنانياً ، استقلالياً ، قومياً ، عربياً ، بكامله . واكبر شاهد على ذلك ما رأيناه في هذه البلدة التي لم تكن تهتف وتصفق لرئيس غير هذا الرئيس الذي ترى فيه رمزاً لجمهورية لبنانية استقلالية عربية ديمقراطية . »

وتطرقتُ الى معجزة العهد وليست بالوحيدة من نوعها : « اذ اصبح

الرئيس المسيحي اكثر اسلامية من رئيس وزارته السني واصبح رئيس الوزارة السني اكثر مسيحية من الرئيس الماروني . »

ولمـّحتُ الى مرضَي البلاد : الحزبية والطائفية المتأصلتين فيها من زمن بعيد ، واوضحتُ موقف الرئاسة من الاحزاب وقد صادف قبولاً حسناً :

« ... فان رئيس الجمهورية يترفع عن الحزبية ويكون للجميع على السواء ، واطلب منه تعالى ان يغلّ نفسي وعقلي ويدي عن النعرات والعنعنات الصغيرة لابقى كذلك . وأعاهدكم على السير في هذه السياسة التي ترفع الرئيس عن الحزبية لان الدستور ارتقى به الى مستوى يقيه المساومة والاستجداء والطلب المذلّ . واتمنى على الله ان أوفـّق بما بقي من واجب مهمتي فاذهب بعدها واستريح من عناء اضناني وكاد يودي بحياتي . »

وختمتُ كلمتي المرتجلة بان قطعتُ عليّ عهد الله بالمحافظة على استقلال لبنان « واننا جعلناه هدفنا ونحن في صيانته ماضون[1] . »

زرت بعد الغداء عبد الحميد كرامي في داره فاستقبلت استقبالاً حافلاً جداً . ودعاني لانام في داره الصيفية في بقاعصفرين مع رئيس الوزارة ويقضي رفقاؤنا ليلتهم في فندق سِير الضنـّية فقبلت شاكراً .

اتجه موكبنا نحو سِير الضنـّية وأبناء القرى يرحبون بنا على جانبَي الطريق العام ، فوقفنا في كل قرية ليتمكن أهلوها من السلام علينا وتقديم مطالبهم ، وكنا نشعر بسرورهم ونعرف في كل قرية بعضاً من ذويها فنسألهم عن احتياجاتهم ، واغلبها الماء والكهرباء والطريق . ولم يبلغ ركبنا سِير إلا والليل قد ارخى سدوله ، فدخلنا الفندق المبني على كتف الوادي وامامه الشلـّيل ينساب لُجيناً . وتوافد الحاضرون للسلام علينا فلاطفناهم جميعاً وتناولنا العَشاء ، وانتقلنا مع رئيس الوزارة الى بقاعصفرين حيث بتنا في بيت عبد الحميد كرامي ، وتناولنا طعام الافطار

(١) – مجموعة خطب : ص ٢٤ – ٢٩

على مائدته ونحن نتمتع بالمناظر الخلابة من اعلى نقطة في الضنيّة (١) .

وغادرنا سِير قبل الظهر وتناولنا الغداء في اميون حيث استُقبلنا استقبالاً رائعاً ، وتابعنا الى الديمان بطريق حدث الجبة ووصلنا عند المغرب ، وما أطلّ الموكب على المقام البطريركي حتى أُطلقت المدافع وراح صداها يدوّي في وادي قاديشا ، ووقف البطريرك ينتظرنا في الميدان والجنود مصطفة على جانبيه . فترجلت وعانقت شيخ الصرح عناقاً حاراً ورأيت علامات البشر بادية على محياه . وعزفت الموسيقى النشيد الوطني فطلبت من البطريرك ان يعرض الجنود معي ومررنا امام صفوف متراصة والتأثر بالغ أشُدّه في الجميع ، وفي الجنود ايضاً . ولما انتهى العرض صافح غبطته جميع مرافقيّ وصافحتُ الحاشية البطريركية والاساقفة والكهنة والاعيان الذين حضروا خاصة للاشتراك في استقبالنا .

وانتقلنا الى البهو الكبير فرحّب بنا مضيفنا اجمل ترحيب وكان رياض الصلح قد وافانا الى الديمان وانضمّ الينا في البهو، وتقدم من البطريرك وأهداه عباءة ثمينة قد اهداه اياها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . وبعد استراحة قليلة خرجنا الى الشرفتين الغربية والشرقية لنشاهد الزينات، وقد ارتدى غبطته العباءة السوداء فوق ثوبه الارجواني فلاقت هذه الظاهرة اجمل الاستحسان، واستقبلتنا الجماهير بالتصفيق والهتاف . وكانت الجبال المحيطة بكرسي الديمان واعالي الارز واعماق الاودية مزدانةً بأبهى الانوار، فتمثّلتْ مشهداً من اروع ما يقع عليه النظر . وبدت المنطقة كلها شعلة واحدة اتصلت من اعلى القمم حتى

(١) — كنت قد عرفت بقاعصفرين في الماضي وتناولت الغداء على مائدة مضيفنا الحالي بعد ان تبرأ من دعوى قتل عبد المجيد المقدم وكنت محامياً عنه، وقد بسطت ذلك في الجزء الاول (ص ١٩٣)، وزرت يومها ايضاً خصومه آل المقدم في قرية علما ومعي وكيلهم حبيب ابو شهلا لتقريب القلوب، فصدق في الوكيلين قول زهير بن ابي سلمى :

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما   تمادوا ودقوا بينهم عطر منشم !

البحر، والكرسي البطريركي يتلألأ بالانوار الكهربائية، وقيل لي ان البطريرك اعتنى بترتيب القناديل شخصياً وأمر بتجربتها في الليلة التي سبقت وصولنا ليتثبت من حسن تنسيقها وإنارتها . وكانت زوجتي ترافقني ودموع التأثر في عينيها . وفي العشاء ألقى البطريرك خطبة جميلة وأجبته من وحي الساعة بما كان له التقدير الكبير وقد ختمتُ كلامي بهذه العبارات :

« ... ولذلك اطلب منه تعالى ان يُمدّ بايامكم حتى تروا هذا الاستقلال ناجزاً تجاه دول الغرب وجميع دول الغرب، وناجزاً ايضاً تجاه دول الشرق وجميع دول الشرق، وانا شخصياً اعاهدكم على أنني ما دمتُ في سُدّة الحكم لن ارضى وحكوماتي ان نُهمل شبراً واحداً من اراضي لبنان، ولا نقبل بأي انتقاص من سيادته واستقلاله . » (١)

وأخذت الدموع تنحدر من عيني مضيفنا الكبير .

وبتنا في الديمان وسمعنا قداس البطريرك يوم الاحد صباحاً وقد ختمه بالدعاء للبنان ولرئيسه، وبالغ باكرامنا .

وقبل ان أودّعه اهديته خاتَماً، لائقاً بمقامه، وكان الوداع مؤثراً جداً .

ثم زرنا حصرون وبزعون وبشراي . وبالغت مدينة المقدمين على اختلاف مشاربها واحزابها بالاحتفاء بنا، وتناولنا الطعام بضيافة بلديتها في دير الكرمليين . وأُتيح لي ان ألقي خطاباً في البلدة المارونية لاطمّئن الخائفين على مصير لبنان، ومن جملة ما ذكرته وجوب الجلاء، فقلت :

« ان الجلاء يجب ان يتم وشيكاً، ومن جميع انحاء لبنان . واذا طلبنا الجلاء فلأن وجود جندي اجنبي واحد عندنا يناقض استقلالنا، فضلاً عن كونه يهدد اخواننا في الدجلة والنيل . » (٢)

واتجهنا نحو اهدن ماريّن بكفرصغاب حيث استقبلنا الشيخان يوسف

(١) — مجموعة خطب : ص ٣٠ — ٣٢   (٢) — مجموعة خطب : ص ٣٣ — ٣٥

وسايد اسطفان استقبالاً حافلاً جداً . وكان استقبال اهدن في الميدان غاية في الترتيب والابهـــة، واشتركت فيه جميع الاحزاب . وأحاط الجنود اللبنانيون بالميدان وطلقات المدافع تدوي في الفضاء . وتناولنا الشاي عند النائب يوسف كرم والعشاء على مائدة وزير خارجيتنا حميد فرنجيه في الفندق الكبير وكانت الجبال تتلألأ بالانوار .

تكلم حميد فرنجيه في مأدبة العشاء وأجبته مرتجلاً، وقبل ان اختم خطابي مَرَّ في بالي شبح فلسطين، وتخيّلتُ البلد الماروني البحت الذي انا فيه، وقلت في نفسي : هذه فرصة سانحة لاستفتي لبنان المسيحي في قضية فلسطين وسياستنا فيها، وما هي لحظة حتى عرضتُ المسألة امام الحاضرين فقلت :

« اذا رجعتم الى قلوبكم والى ضمائركم ، امكنكم ان تشعروا بمدى الاهتمام الواجب بهذه القضية ، اذ ليس من العدل ان يُؤتى مــن مشارق الارض ومغاربها باناس لا يربطهم بنا اي نسب ليكونوا اكثرية مصطنعة . فاليهودية شيء والصهيونية شيء آخر ، اليهودية دين تسلسلت عنه المسيحية واعترف به الاسلام فابناؤها من هذه الناحية لهم ما لنا وعليهم ما علينا من الحقوق والواجبات ، انما الصهيونية فكرة تَحَكُّم واستثمار وسيطرة سياسية لا علاقة لها بالدين قط ... واني وانا في منطقة مسيحية صرفة ، بل مارونية صرفة ، اعلن ان هذه الفكرة هي فكرتها ، وهي تؤيدها ! » (١)

وما ان القيت هذه العبارة حتى شَقّ التصفيق والهتاف عنان الجو، واطلقت السهام النارية في الجو استحساناً وحماسة ، ولم يكن لذلك ادنى استعداد او تهيئة .

وهذا كان اول صوت رسمي لرئيس دولة عربية ارتفع للذود عن فلسطين وفــرّق بين اليهودية والصهيونية ، وهو صوت رئيس جمهورية لبنان، في بلد ماروني ماية بالماية ، فاستقبله البلد الباسل بتلك العاطفة الفياضة .

(١) ـــ مجموعة خطب : ص ٣٦ - ٣٨

ثم شاهدنا رقص الدبكة، وهي اجمل دبكة رأيتها في حياتي . وقد اشترك فيها مع فتيات اهدن الحسان رئيس السن للمجلس جورج زوين واحمد الاسعد والامير مجيد ارسلان، فقلتُ مبتهجاً : ألم يرقص داود امام تابوت العهد ؟ فهؤلاء يرقصون للعهد الجديد ! وعلا التصفيق .

انصرفنا الى كفرصغاب وبتنا في بيت المشايخ اسطفان وكانت زوجتي بانتظاري هناك وهي مسرورة جـــداً وتعِبة جداً . وفي اليوم الثاني ودعتني وعادت الى بيروت .

ومضينا الى عكار فاستقبلنا في كرم سدّة النائب بطرس الخوري ثم المطران انطون عبد رئيس اساقفة طرابلس الماروني، وقد ألقى سيادته خطاباً ملء حواشيه المناداة بالاستقلال والكرامة الوطنية، وأجبته بأن من الافتراء ان يُعزى الى الاساقفة المارونيين التنكّر للاستقلال ولهم ماضيهم المجيد في الحفاظ عليه، وانه حان الوقت لقطع السبيل على الدساسين .

وقُدمت لنا المرطبات، وأكملنا طريقنا الى عكار تحت جو جميل جداً وعند وصولنا الى سهل حلبا اختلف الخيالة على الاستقبال وكادت الامور تؤدّي الى ما لا تحمد عُقباه، فهدّدتُ بالرجوع وأمرتُ السائق بأن «يدوّر»، فاتفق الجميع وانطلقت الخيل في السهل تنهب الارض نهباً فتَمثّل المنظر مُدهشاً . وما توقفنا بحلبا الا للمراسيم الرسمية وصَعّدنا في الاعالي حتى بينو . وفي كل قرية مررنا بها استُقبلنا استقبالاً رائعاً . وقد أُعجبنا بجمال مناظر بينو وبكثرة المياه فيها وبرقيّ أبنائها .

وعدنا لتناول الغداء في حلبا وتبادلنا الخُطَب ومندوب الاهالي . ثم مضينا الى القبيات وقد زحفت الجهات المجاورة كلها للاستقبال، والفرح بادٍ على الوجوه، وأكّد لي كبار المستقبلين انه لم يسبق لهذه المناطق ان زارها الحكام . وتركنا القبيات عند الغروب الى بيروت .

وبمرورنا بطرابلس لقينا الاهالي بانتظارنا في ساحة التل فهتفوا طويلاً،

ولم نتوقف . وكذلك ما توقفنا في المحلات التي أُقيمت الزينات فيها على طول الطريق وكأنها شعلة من نار .

وصلنا الى عاليه والتعب قد اخذ منا كل مأخذ بعد تلك الايام الاربعة المليئة بالاسفار والخطب والاستقبالات الشعبية المتواصلة، ولكن النفس كانت مسرورة والقلب مشروحاً والضمير مرتاحاً .

وتناول المجلس النيابي الرحلة بكثير من العناية والتقدير لان الرئيس اصاب الاهداف التي قصدها في سياحته ، وقد استمع المجلس لبيان الحكومة ولكلمة من الامير مجيد الذي شاهد مراحلها كلها . وقدّم جورج زوين اقتراحاً يشكر الرئاسة ولكنه غاب عن الجلسة بسبب مرض انتابه على اثر الرحلة فتبنى احد زملائه الاقتراح وهذا نصه :

« ان مجلس النواب الذي كان لعدد كبير من اعضائه شرف مرافقة فخامة الرئيس في رحلته الظافرة الى الشمال، وشرف استقباله، يرفع لفخامة الرئيس تهانئه على تعلق اللبنانيين بشخصيته الجليلة والتفافهم حول الرئيس الذي يمثل كرامة لبنان وعزته وعهده الاستقلالي المجيد، ويرجون الله ان يحفظه سياجاً لحرية لبنان ودستوره وسيادته واستقلاله » .

ووافق المجلس على الاقتراح « بالاجماع وقوفاً، احتراماً لمكانة الرئيس » (محضر الجلسة) .

ولا تسل عن تأثير تلك الرحلة في الاذهان فانها مشت بدعم الاستقلال شوطاً بعيداً ورسّخت العهد الجديد في منطقة الشمال الحساسة وفي جميع انحاء لبنان .

المسألة الفلسطينية في مجلس النواب :

مما لا شك فيه ان خطب الشمال بعثت حياة جديدة في ممثلي الامة لمعالجة قضية فلسطين، واصبحت الحكومة اللبنانية محور الدعاية لها .

وما انتهى المجلس من الموافقة على الاقتراح الآنف الذكر حتى اثار بعض النواب مسألة الدفاع عن القطر الشقيق والدعاوة له، فأعلن وزير خارجيتنا ان وزيرنا المفوض في واشنطن دعا اليه وزراء الدول العربية المفوضين واتفقوا جميعاً على طلبه مقابلة وزير خارجية الولايات المتحدة لبسط الرأي العربي في الموضوع، فاستقبلهم وكيل الوزارة بسبب غياب الاصيل وادلوا اليه بوجهة نظرهم على ان يقابلوا الوزير الاصيل بعد عودته من لوندرة .

تجديد انتخاب صبري حماده :

لم نكن لنشير الى هذا الانتخاب، وهو عمل عادي من اعمال المجلس، لو لم ينافس الرئيس صبري في هذه المرة زميل شيعي هو عادل عسيران نائب الجنوب، ولكنه لم ينل الا ١٤ صوتاً، وتجلّت في الانتخاب روح رياضية لا بأس بها فقد وقف عادل وهنأ الرئيس الذي جُدّد انتخابه « لانه من الرجال الذين جاهدوا وضحّوا في سبيل هذا العهد الاستقلالي . ان كرسي الرئاسة وسيلة وليست غاية، فاتمنى ان يكون عهد رئاسة صبري بك وسيلة لتوطيد استقلال لبنان ورفاهية ابنائه . »

وردّ صبري التحية باحسن منها، مما دلّ على ان المنافسات الشخصية لم تكن لتقوى على الروح الاستقلالية الوطنية في ندوتنا النيابية .

رسالتي الى المغتربين :

طُلب اليّ ان أبعث برسالة الى المغتربين فوافقتُ وعاهدتُ نفسي على ان اخرج عن المعتاد في مثل هذا الظرف من كلمات لا تمتّ الى الحقيقة . ولكن اسباباً حالت دون كتابة الرسالة في فترة التأسيس والمصاعب .

وما ان فتح الله علينا حتى كان خطاب طرابلس وخُطب رحلة الشمال

وقد قوبلت بالارتياح ، فجالت في المخيلة لمحات من الاسلوب الذي كنت ارغب فيه ، وصارت اللمحات افكاراً ثم جملاً متقطعة ، وما عتّمت ان انتهت نطقاً خطابياً . وكانت ليلة أرقتُ فيها أرقاً لذيذاً غير متعبٍ ولا مُضنٍ ، تدفـّقت عليّ فيها بنات الفكر فحسبت نفسي اخاطب أولئك الالوف من المغتربين بلغة يفهمونها ، فنهضت في الساعة الرابعة صباحاً أحسّ بقوة تدفعني الى الكتابة ، وجلست الى المنضدة ثلاث ساعات متواصلة اسجل ما يمليه عليّ الفكر . وما طنّت الساعة السابعة الا والرسالة قد ختمت . فتركتها يومين وعدتُ الى نحتها وتجميلها حتى وصلت الى حدها النهائي، فتلوتها على بعض الاصدقاء واستحسنوها واخذتُ بعين الاعتبار ملاحظاتهم، وأطلعتُ مجلس الوزراء عليها فاستحسنها ايضاً وفي اليوم العشرين من تشرين الاول سنة ١٩٤٥ تلوتها بواسطة مكبر الصوت على الجماهير المحتشدة في ساحة الشهداء ثم سُجّلت وطُبعت على اسطوانات وارسلت الى المهجر فَمَسَّت وتراً حسّاساً في اخواننا المغتربين وايقظت فيهم كوامن الحنان، واصبحت وثيقة وطنية نقلت صوت لبنان الجديد الى قلوبهم ، وصارت دستوراً لشطرَي لبنان ، وطالما استشهد بها الخطباء لانها تمتاز بالمخاطبة المباشرة دون لف ولا دوران (١) .

زيارة الجنوب :

بدأت في ٢٥ من تشرين الاول . وتحرك الموكب على غرار موكب الشمال . فوصلنا الى صيدا حوالي الساعة العاشرة بعد ان مررنا بقرى الساحل الجنوبي وكلها مزدانة بالاعلام . وغصّت شوارع صيدا والشرفات والسطوح بالمستقبلين، وعُلـّقت « اليافطات » في كل مكان وعليها عبارات مختارة من خطبة طرابلس وخُطب رحلة الشمال . وكان الموكب يُستقبل

(١) — مجموعة خطب : ص ٤٤ — ٥٧

بالتصفيق والهتاف . وأُعدّ مكان للاستقبال على السطوح المجاورة للسراية . وقد رحب بنا المحافظ باسم منطقة الجنوب ثم انبرى رياض الصلح خطيباً فأجاد كل الاجادة بالترحيب والتعبير عن عواطف اللبنانيين نحو الاستقلال ونحو الرئيس، وتخللت خطابه ابيات من الشعر المتين، وكان يفيض حماسة في تأييد العهد والميثاق الوطني .

ومن جملة ما قال : « ... ماذا أذكر لكَ من المفاخر ؟ أأذهب بالذكريات الى راشيّا ، يوم تمكنتُ من مقابلتك خلسةً فقلت لك : كنتَ دائماً رئيساً في لبنان ، أما اليوم فقد اصبحتَ زعيم لبنان . أم أذكر وقفتك في مقدمة الصفوف عندما وَفدوا عليك يقولون لك : لا يمكن تعديل الدستور لانه لكم ولنا . فأجبتَهم : إن الدستور لنا وحدنا وسنعدّله ... وقد عُدِّل الدستور وأصبح من افضل الدساتير التي اخذتها الامم المناضلة في سبيل حرياتها . ام أذكر عندما قيل لك في راشيا عن فكرةٍ يُراد بها نقلنا الى الجزائر ، فأجبتهم :

مشيناها خُطىً كُتبت علينا ومن كُتبتْ عليه خُطىً مشاها

« سأكتفي هنا بعبارة واحدة ، وهي : لو تألـّب لبنان كله وأراد أن يفعل شيئاً ولم تكن راضياً لَما جرى ما جرى ... فلك وحدَك الفضل ، أولاً وآخراً » .

وما ان انتهى حتى وقفتُ وارتجلتُ خطاباً (وهل الارتجال سوى ثمرة تكوين بعيد وتفكير عميق) خرج منسجماً في معناه ومبناه .

فبعد ان حييت ضحايا ١١ من تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ وأكـّدتُ ان دم الشهداء زَرْعٌ ورَيّ، وانهم غائبون وحاضرون في آن واحد، قلت : « إنني اشتهيتُ شهوة ان أزور الصغار قبل الكبار، والفقراء قبل الاغنياء، والضعفاء قبل الاقوياء، والمحتاجين قبل الموسِرين ... »

وانتقلت الى الكلام عن فلسطين « في بلد يُعتبر جبهة اولية في خط الدفاع ضد الصهيونية » . وشكرتُ صيدا وتطرقت الى مطالبها وأولها العِلْم، وزدت ان العلم وحده لا يكفي بل يجب ان يرتكز على الدين، والدين السماوي الالهي يقوم على دعائم ثلاث : ايمان واخلاق وعبادة .

وختمت خطابي بدعوة الى الاتحاد بين الزعماء ، وكانوا مختلفين جداً، وقلت : انهم سيوف مسنونة في يد الاستقلال .

وزرت مدافن الشهداء ووضعت عليها اكاليل الزهر وعدنا الى السراية نستقبل الوفود وفي مقدمتها النواب ورؤساء الدين .

وحفلت مأدبة الغداء في مدرسة المقاصد الخيرية ، امام البحر الجميل، بكرام المنطقة ، وامتلأ الجو حماسة وتأييداً للرئيس والعهد .

ومضينا الى النبطية في طريقنا الى مرجعيون فاستوقفتنا الجماهير في الميدان واخذنا المرطبات في بيت النائب محمد الفضل . وذكرت في تلك الوقفة مروري بهذه البلدة في ٣٠ من كانون الثاني سنة ١٩٤٥ وقد اقفلتْ متاجرها احتجاجاً على عدم تسليم الجيش .

ثم توقفنا في الخيام لزيارة النائب علي العبدالله .

اما استقبال مرجعيون فبلغ روعة عظيمة اذ وصلنا اليها عند المغيب، والمدافع تقصف واهازيج الرجال وزغردة النساء وتصفيق المتظاهرين تنقلك الى عالم آخر . وانبرى الخطباء للكلام وفي طليعتهم المطران ثيودوسيوس ابو رجيلي (غبطة البطريرك الحالي) فتدفق خطابه وطنية وشعوراً لبنانياً . وقد نزلنا في كرسيه وتناولنا العشاء على مائدته ، والقيتُ خطاباً تكلمت فيه عن الضيافة اللبنانية وعن مبادىء العهد الاستقلالي والمطالبة بجلاء جميع الجيوش الاجنبية ، ونبذتُ فكرة سوريا

الكبرى التي كانت تتردد على الالسن في ذاك الحين ، وذكرتُ زيارتي مرجعيون عام ١٩٢٦ برفقة المرحوم شارل دباس بعد الثورة ، فوفيتُ ذلك الرئيس حقه بعد وفاته ، وختمت قائلاً : « ... واخيراً ايها السادة لقد كان في منهاج رحلتنا ان ننام في شتورا لنجنّبكم مشقّة حفاوتكم الكريمة البالغة ، إلا ان سيادة المطران ثيودوسيوس ألحّ علينا بالبقاء عندكم ، وقد قبلنا غانمين وقلنا ما نعرف وتعرفون : اكراماً لعين تكرم مرجعيون . »

وما ان لفظت هذا المثَل العامي حتى دوّت القاعة بتصفيق قلما سمعت له مثيلاً، فالجملة دخلت قلب الجمهور .

وفي آخر السهرة انتقلتُ منهوك القوى الى غرفة فخمة في دار المطرانية، وجالدتُ نفسي واستقبلت بضعة اشخاص لهم أهل وأقارب في المهجر ودار حديثنا عن المغتربين .

وأفقت من نومي عند الفجر وخرجتُ من غرفتي والتقيت المطران مرتدياً مِعْطفاً جلدياً مبطناً بالفرو قُدِّم له اثناء زيارته لموسكو فتحدثنا قليلاً وجلستُ في الدار استمع قداس السيد ثيودوسيوس الذي قام به سيادته . ثم تناولنا طعام الافطار .

وزرنا مطران الكاثوليك وتابعنا نحو حاصبيا . وبلغت الاستقبالات على الطريق وحتى البلدة حد الكمال في الحفاوة والعواطف الفياضة، واستوقفنا بعض المزارعين في سيرنا وبينهم رجل حامل ابريقاً من صنع البلدة فوقفنا، وطلب الرجل مني انجاز الطريق الى قريته الصغيرة فقلت له : « اعطني الابريق أعطِك الطريق . »

واندفع الدروز في حاصبيا يخفّون لاستقبالنا، وجاراهم مشايخ خلوات البيّاضة وهم لاول مرة يشتركون في استقبال . وقد جادت القريحة

بخطاب ذي طابع محلي أشرنا به الى العمائم البيض بقولنا : « فخلوات البيّاضة ، كما اسموها ، بيضاء العمل بيضاء الشمائل التي نرتكز عليها كمقام لتدريس القومية في توجيه الشعب الدرزي الى الخير العام . »

وبعد ان شاهدنا رقصة الدبكة يرقصها الشباب والجنود في الساحة الداخلية للقصر الشهابي مشينا الى الطيّبة، وهي معقـــل بيت الاسعد فاستقبلتنا الفرسان على مسافة بعيدة من القرية وكانت الجموع تعد بالآلاف والهتافات متعالية بحماسة، والتظاهرات الولائية قائمة من كل جانب وما ان جلسنا الى منصة عالية وحولنا الرجال الرسميون حتى انبرى الخطباء للقول في جو عابق بالوطنية والاخلاص . وهزّتني نشوة من الطرب فأجبت الخطباء شاكراً حفاوة الجنوب عامة والطيّبة خاصة، وأوصيتُ بالحرص على الاستقلال كحرص البخيل على ديناره . ثم تعرضتُ لمسألة فلسطين فقلت في جملة قولي :

« . . . ولا يمكن الصهاينة ان يدّعـــوها لانها اذا كانت ارض ميعادهم في الماضي فلا يمكن ان تكون ارض ميعادهم في الحاضر ... ففيها وُلد المسيح ومات المسيح فداءً عن البشر، وفيها يقوم ثاني الحرمين الشريفين، ولا يمكن ان يحول حائط المبكى دونها . »

ولهبت كلماتي الجماهير كأن الكهرباء سرَت في القوم، وشعرتُ في تلك الدقيقة ما هي قـــوة الايمان مدعومة بقوة التعبير، ثم أوصيت الحاضرين بان لا يرتكبوا خطأ المناطق المسيحية بالقضاء على الزعامات... « احترموا زعماءكم والتفّوا حولهم لانه يصعب عليكم ان تبلغوا افراداً ما تبلغونه مجموعاً ! »

وتناولنا الغداء على مائدة احمد الاسعد السخية . وبعده ابتدأ رقص الدبكة وألعاب الفروسية فشاهدنا بعضها . وغادرنا الطيّبة حوالي العصر الى شتورا فوصلنا اليها والتعب آخذ مني كل مأخذ واسترحتُ في غرفتي قليلاً وأكلت خفيفاً ونمت ملء جفوني استعداداً ليومٍ اشدّ تعباً .

وفي الصباح الباكر نهضت من نومي ونفضت عني التعب وسرنا عائدين عن طريق ضهر البيدر الى القاسمية، ولما دخلنا صيدا وجدنا « يافطات » الاستقبال باقية على جدرانها . وسمعتْ الجماهير صوت محركات السيارات المواكبة فتجمّعت وأخذت تصفق .

كانت جماهير القاسمية غفيرة جداً ووقفتْ منظمةُ الطلائع على جانبَي الطريق تؤدي التحية، فاسترحنا قليلاً في الدار التي بناها عادل عسيران في اراضيه الواسعة هناك ونزلنا الى مائدة الطعام وانبرى الشعراء والخطباء للترحيب بنا وبرفقائنا وأجادوا، واغلبهم على السليقة والفطرة وشِعرهم يشبه الشعر الجاهلي . والتفت الشيخ فريد الخازن الى عادل وقال مازحاً : « اذا كان بلا مدارس وهَيك، كيف لو عملتلكم الحكومه مدارس ؟ »

ووقف النائب عادل عسيران واستعاد ذكريات الجهاد مشيداً بعمل الرئيس وشخصيته ومما قاله :

« . . . وإنني أؤكد وأصرّح امام الله والناس — وما اعتدتُ التزلّف — ان لبنان مديون لك يا فخامة الرئيس، وان البلاد العربية كلها مدينة لك . لقد دفعتَ بالعالم العربي الى الامام ربع قرن . وانه لو لم يكن الشيخ بشاره الخوري على رأس الكرسي الاول في الدولة لما كانت الجامعة العربية ولما تمكن العالم العربي من ان يؤلّف جسماً صحيحاً في هذا العالم الدولي . ولا أمكن للبنان ان يستقلّ استقلالاً صحيحاً كاملاً ... »

ومما قلته في جوابي :

« ... لقد اغتفرنا لهم (اي للفرنسيين) كل شيء، اللهمّ غير احتقار دستورنا المقدس ... فسلامٌ عليه يوم وُلد ويوم عُدِّل ويوم بُعث حيّاً .

« أريد ان يكون شعبنا موحّد الكلمة والهدف والعمل . لا

اطلب ذلك لاني اريدكم ان تلتفوا حولي انا الرئيس، فالرئاسة عَرَض زائل وستنتهي مدتي كرئيس، انما اطلب التحادكم محافظة على لبنان، وعلى مواثيقنا الدولية مع الدول المتحدة في سان فرنسيسكو، ومع الجامعة العربية الخ ... »

وانتقلنا الى صور فرحبت بنا البلدية ترحيباً حافلاً ولعلع الطوربيل يدوّي في شاطىء البحر . وبعد الاحتفال الرسمي في السراية تناولنا الشاي في بيت النائب كاظم الخليل، وحللنا بعد غروب الشمس ضيوفاً في بيت الوزير يوسف سالم فحييتُ والدته الشيخة ودخلت غرفتي لاخذ قسطاً يسيراً من الراحة قبل العشاء . ولم تطل الراحة الا القليل لاني اضطررت لاستقبال قواد قوى الامن بسبب حوادث حزبية مسلحة جرت بين انصار احمد الاسعد وانصار كاظم الخليل وكان احمد الاسعد متحمساً جداً لرجاله وناقماً على رجال خصمه، فذكّرته بلطف انه، الآن، وزير دفاع قبل ان يكون زعيماً جنوبياً، فسكن غضبه ووعد بأن ينهي الخلاف حالاً، وبرّ بوعده .

تناولنا العشاء وتبادلنا الخطب وقلدتُ يوسف سالم وسام الارز من درجة ضابط كبير . ومن جملة ما قاله في خطابه :

« ... ولكن رئيساً وحيداً تستقبله البلاد بقلوبها وفي اي منطقة كانت تلك القلوب ترفُّ حواليه وترعاه ، وهذا الرئيس هو انت . انت الذي طلعتْ بطلوعه شمسُ الحرية على لبنان ، وهذه الوفود قد اقبلت من كل فجٍّ عميق لترى فيك الوجه الذي تحققت عليه أغلى أمانيها ، والصدر الذي وعى اكرم اخلاقها، والفم الذي نطق باقدس حقوقها ، واليد التي تقبّلت القَيد على نفسها راضيةً لتفكَّ القيود عن وطن بكامله ... »

ونمنا ليلتنا مرتاحين . وبدت المراكب الشراعية في الليل مزدانة بالكهرباء، وعلّق اصحابها بسواريها كتابات فيها التحية للرئيس ولصحبه .

قصدنا في اليوم الثاني صباحاً الى جزين فاستوقفنا في مفرق صيدا شبان المدينة وفي مقدمتهم افراد الكتائب اللبنانية والقى احدهم خطاباً حماسياً للترحيب . وعرّجنا على بيت رشيد جنبلاط في البرامية حيث اجتمع لاستقبالنا اهالي القرى المجاورة يحيطون بالعائلة الجنبلاطية جمعاء وفي مقدمتها كمال . ووقفنا قليلاً في مزرعة صفاريّه التي يملكها احد انسبائنا كامل شهاب . وفي مفرق بكاسين – جزين استقبلتنا الجماهير براياتها ورافقتنا الى ساحة سراية جزين بالحداء والاهازيج . ولما ترجلنا اطلقت المدافــع ودوّى صداها في الاودية ، والقي خطاب باسم البلدية اولاً ثم تكلم ابرهيم عازار مرحباً وانتهى الاستقبال الرسمي فذهبت الى كنيسة مار مارون لسماع القداس ، وقد اقامه سيادة المطران بولس المعوشي (غبطة البطريرك الحالي) وبعد تلاوة الانجيل رحّب سيادته مـن على المذبح بالرئيس بعبارات طيبة جداً ورجعنا الى بيت النائب مارون كنعان حيث زوجتي بانتظارنا، فتناولنا الغداء وألقيتُ خطبة مرتجلة طويلة بسطتُ فيها ذكريات الماضي، واشرت الى ما قام به سليمان كنعان والد النائب مارون في سبيل الاستقلال اللبناني وبيّنت كيف اعتقل هو ورفقاؤه من اعضاء المجلس الاداري بسبب المضبطة الشهيرة التي تهدف للاستقلال التام واعلنتُ انني كنت وقّعتُ عليها لولا ان الاعضاء قرروا الخروج من لبنان لتحقيق مضمونها، فقوبل الخطاب باستحسان شامل [١] .

وتناولنا الشاي في بيت ابرهيم عازار وزرنا المطران المعوشي في داره ثم ذهبنا الى بكاسين مسقط رأس الوالدة وحضرنا حفلتين عائليتين، الاولى في بيت المرحوم لويس الخوري عم والدتنا واخذت لنـــا صورة تحت « التوتة الشهيرة » التي كانت مجلس أُنسه مدة سنين طويلة ، والحفلة الثانية في بيت نسيبنا جورج خوري رئيس بلدية بكاسين . وعدنا ليلاً الى بيروت فوصلنا في ساعة متأخرة والتعب قد هدّنا ، ولكن القلب كان فرحاً

(١) — راجع مأساة مجلس الادارة في الجزء الاول : ص ١٠٥

والصدر منشرحاً فزيارة الجنوب تركت اثراً جميلا في نفسي وذكرى طيبة في نفوس زعماء المنطقة الجنوبية وأهاليها باجمعهم .

وشكراً لله تعالى !

صدى الزيارة في المجلس النيابي :

أدلى سامي الصلح رئيس الوزارة في جلسة ٣٠ من تشرين الاول ببيان مسهب جداً عن رحلة الجنوب استهلّه بقوله :

« كان لي ولعدد من اعضاء الوزارة وفريق كبير من النواب المحترمين شرف مرافقة فخامة الرئيس في رحلته الموفقة الى لبنان الجنوبي، ولقد لمس الرئيس كما لمسنا جميعاً تعلق اللبنانيين على اختلاف مناطقهم واحزابهم وطوائفهم بعهد السيادة والكرامة والاستقلال الذي اصبح الرئيس رمزاً له ... وفي وسعي ايها السادة ان أؤكد لكم ان طواف الرئيس في اجزاء بلاده جاء ظَفَراً وطنياً عظيماً واستفتاءً باهراً دلّ على حقيقة شعور اللبنانيين وتمسكهم بالمبادىء السامية . . . ومكافحة كل خطر يهدد الاقطار العربية وفي طليعتها خطر الصهيونية وخطر المطامع الاجنبية . »

وبسط رئيس الوزارة مطالب الاهلين ووجوب تحقيقها بمشاريع عمرانية واعتمادات تنفق على تلك المشاريع، وختم سامي الصلح بيانه بما يأتي :

« ولا يسعني ان اختم بياني دون ان أشير الى الاثر البالغ الذي احدثته في نفوس الاهلين خُطب فخامة الرئيس الفيّاضة بالوطنية والكرامة . كان الرئيس زعيماً يلهب الشعب بكلماته، قائداً أعلى يرسم له خطة عمله، حكيماً يهديه الى سواء السبيل، وكانت كلماته عن تمسك لبنان بسياسته الاستقلالية العربية آياتٍ بيّنات، ويكفيني ايهــا السادة ان اقول لكم إن قراء العربية جميعاً يتناقلون اليوم

كلمات الرئيس وتنشرها صحافتهم . ونزولاً عند طلب المجلس ستعمد الحكومة بمعرفة لجنة مختصة الى طبع خُطب الرئيس لتكون دستوراً وطنياً جامعاً يحفظه اللبنانيون ... » — (محضر الجلسة)

حادثة مؤسفة بين الشيوعيين والقوميين :

أردتُ ان ارتاح قليلاً من التعب الذي لقيته في زيارة المنطقة الجنوبية، وان استعيد نشاطي قبل القيام بزيارة البقاع، فانتهزتُ فرصة عيد جميع القديسين وذكرى الاموات وذهبتُ مع قرينتي الى فندق « البارك » في برمانا نستريح يومين او ثلاثة، وقضينا ليلتنا الاولى مشروحَي الصدر .

ولمناسبة ذكرى وعد بلفور في ٢ من تشرين الثاني اتخذت الحكومة جميع الاحتياطات لمنع الاصطدام بين مختلف الاحزاب التي تتظاهر في ذلك اليوم اعلاناً لشعورها نحو فلسطين . وصادف ان نزلتُ بعد الظهر لازور المدافن بمناسبة ذكرى الاموات ، ولدى خروجي من جبّانــة الموارنة علمت بحادث مؤسف وقــع بين الشيوعيين والقوميين الاجتماعيين قرب ساحة الشهداء وسقط فيه قتلى وجرحى من الحزبين، فذهبتُ توّاً الى القصر الجمهوري في بيروت وجمعت مجلس الوزراء على الفور واقترحت حل الحزبين، ولكن سامي الصلح رئيس الوزراء لم يوافق على الاقتراح . ولم اطرح المسألة على الاقتراع ولم أتشبّث بالحل .

وبعد الغروب عدت مع زوجتي الى برمانا ، وفي وصولنا الى مواجهة دير مار روكز توقف فجأة احد رجال الحرس الراكب موتوسكلا امامنا وأطلق النار، فوقف الموكب واستطلعنا الخبر فقال الجندي انه رأى رجلين مسلحين في الجانب الايسر من الطريق واشتبه بهما واطلق النار ارهاباً وقد تواريا في الوادي . فتوكلنا على الله وتركنا في محل الحادث جنديين من المواكبين واكملنا سيرنا ، وما ان وصلنا الى برمانا حتى انتشر الخبر وتوالت علينــا الزيارات والتلفونات . وفي اليوم الثاني تكاثرت زيارات

الشخصيات الرسمية والاصدقاء فآثرنا الرجوع الى بيروت تخفيفاً عن الناس . ولم يسفر التحقيق عن شيء . فقد تكون محاولة اغتيال او مصادفة، ولا يزال الامر طي الغيب حتى اليوم . وكثيراً ما كنت امازح عقيلتي وتمازحني بسبب تلك الراحة التي قصدناها فانقلبت علينا تعباً، كانه كتب لنا ان لا نستريح . ومع ذلك فنحن شاكرون عناية الله بنا .

غرش الفقير — تدشين مستشفى بعبدا :

غرش الفقير ضريبة وُضعت عام ١٩٤٢ على كل كيلو من القمح او الدقيق مما تتولى توزيعه ادارة الاعاشة الحكومية، وقد صار مبلغاً لا يستهان به توزعه الحكومات على المؤسسات الخيرية وعلى رؤساء الدين لاجل اعمال البر . وجرى عهد الاستقلال على الشكل المعروف سابقاً في توزيعه، بموجب قرارات تتخذها لجنة من المديرين في الحالات العادية، وبموجب قرارات من مجلس الوزراء عندما تكون المبالغ جسيمة . وكان التوزيع يراعي النسبة الطائفية وتقسيم المناطق . ولكن بعض النواب رغبوا في ان يُكَفَّ عن التوزيع الفردي في مناطقهم وان يُخصَّص مجموع ما يعود عليها لعمل واحد واسع النطاق عميم الفائدة . ولا اذكر جميع المشاريع التي قامت باموال تلك التوزيعات ولكن يخطر ببالي الآن المستشفى الاسلامي في طرابلس، والميتم الماروني فيها ايضاً، ومؤسسة الاب قرطباوي في بيروت اولاً ثم في الحازمية، والملعب البلدي والحمام العمومي في صيدا، ومستشفى معلقة زحلة، ومستشفى بعبدا، الخ الخ ...

وحدثت ضجة بسبب توزيع غرش الفقير، فقلتُ للحكومة بان تنظم جدولاً عاماً بالمبالغ الموزعة تضعه تحت نظر النواب وجميع الذين يرغبون بالاطلاع عليه، فاسرعت الحكومة الى ذلك بطيبة خاطر، ولم يكن في ما حدث ما يدعو الى الشك والريبة، ولكن الذين كلفوا انفسهم الاطلاع على هذا الجدول قليلون ! وهكذا كان نصيب جداول توزيع الكوتا والنقد

النادر، وقد أُرسِلتْ كاملة الى مكتب المجلس النيابي لتكون في متناول الجميع . الا ان نشرها لم يدفع الانتقاد عن الحكومات المتعاقبة ولا اسكت التعريض بها، والانكى ان بين المنتقدين وزراء سابقين انتقدتهم النـاس بهذا السبب يوم كانوا يتولون الاحكام ...

ما لنا ولهذا الآن، ولنصل الى وضع الحجر الاساسي لمستشفى بعبدا، وقد شُيّد بهيكله الجديد من غرش الفقير بطلب من نواب جبل لبنان .

دُعيتُ لحفلة التدشين فوجدتها سانحة أعيّنها بين زيارة الجنوب وزيارة البقاع، فتكون مناسبة سارة لزيارة قاعدة المحافظة التي لم اخصص لتفقدها وقتاً متصلاً بسبب قربها من العاصمة وكثرة تنزّهي في انحائها . فآثرتُ ان ازور ارجاءَها على التتابع حسب الظروف .

وأُتيحت مناسبة لان يجتمع في ساحات بعبدا وطرقها وميدان سرايتها الفسيح وباحة المستشفى جمعٌ غفير من ابناء المحافظة، وخصوصاً من الساحل، للترحيب بالرئيس الذي قضى حياة الطفولة وقسماً من الشباب في بعبدا وجوارها وبقي إبناً باراً بها كما ظل ابناً باراً ببيت الدين وجوارها .

وفي ٣١ من تشرين الاول المخصص لوضع الحجر الاساسي بدا النهار من اجمل ايام الخريف، مثله مثل ايام الطواف في أنحاء الشمال والجنوب، كأن السماء شاءت ان تشارك لبنان افراحه في تأييد العهد الاستقلالي المجيد .

وكان يوم بعبدا يوماً مشهوداً، وخطابي في الحفلة صفحة حية سجّلتُ فيها اطيب الذكريات عن عهد المتصرفية وعن ايام الطفولة والشباب ومدرسة الضيعة، وعن البيت الذي ربَيتُ فيه، وعن الشاعر الفذ تامر الملاط، ثم تطرقتُ الى العمل الانشائي في تشييد المستشفى الذي سيخفف عن اللبنانيين بعض الآلام .

واعتذرتُ عن جموح الذكريات بي امام ذلك الحفل الذي كادت الدموع تنهمر من أعينه، وبلغ مني التأثر مبلغاً عظيماً . وبعد ان استقبلتُ المهنئين في قاعة السراية ذهبتُ الى سبنيه وزرت بيتنا القديم غرفةً غرفةً، ذلك البيت « الذي بناه فيها، وهي المارونية الصرف، المسلمُ السني الحموي الاصل اللبناني القلب والجنسية الحاج احمد الحموي، على رابية جميلة تُطل على البحر الابيض الأُجَاج (على حـــد تعبير الصكوك القديمة)، وتشرف على صحراء الشويفات ذات اشجار الزيتون النبيلة التي لا يحصيها العدد، وعلى الجبل من عيناب حتى بحمدون . » (١)

وبعد ذلك الطواف بل ذلك الحج الى القرية العزيزة والبيت العزيز رجعتُ الى بيروت في الموكب الرسمي وقلبي يطفح سروراً وحبوراً، ولو امكنني لتركت السيارة والموكب والمواكبين ومشيتُ على قدَميَّ من سبنيه الى جسر الوَرْوار في الحَدَت، ماراًّ ببقعة الزيتون التي كنا نَتَصَلَّى فيها الدِبق لالتقاط العصافير العابرة .

زيارة البقاع :

ابتدأت هذه الرحلة في ٨ من تشرين الثاني ١٩٤٥ صباحاً، والطقس جميل جداً وقصدنا جارة الوادي، عروس البقاع .

وما ان اطلّ الموكب على السهل حتى استوقفتنا الوفود يتقدمها محافظ المنطقة وهيئة بلدية زحلة وكثيرون من الوجهاء الافاضل يطفحون بشراً وإيناساً فرحّبوا بنا ولاطفناهم . وتابعنا السير، وطائرة شركة آل سلام المؤسسة حديثاً تحلّق فوقنـــا وتمطر قصاصاتٍ كُتبت عليها عبارات الترحيب . وتوقفنا قليلاً في فندق مسابكي في شتورا فتناولتُ والمرافقين بعض المرطبات . ووصلنا الى زحلة حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً ودخلناها من البولفار الجديد، ووقف الموكب على بعد مئتي متر من فندق قادري . ولما ترجلتُ صدحت موسيقى الجيش بالسلام الرسمي

(١) — مجموعة خطب : ص ٨٤ — ٨٨ .

والنشيد الوطني، وأُطلقت المدافع، فعرضتُ فرق الدرك والجيش وانتقلتُ الى قاعة الفندق الكبير حيث قابلت الهيئات الرسمية والهيئات البلدية والسلطات الروحية والوجهاء وقد جاؤوا للسلام علينا والترحيب بنا، وتُليت امامنا الخطب البليغة الجيّاشة بالعواطف الولائية وهي تثبت تفهُّم القوم لرسالة العهد الجديد .

وأعددتُ خطابي في بيروت حتى لا استسلم للارتجال في بلدة كزحلة، حزبيتها شديدة . وكان انتساب الكثيرين فيها الى بعض الخصوم صريحاً . وفي ساعة متأخرة من النهار انتقلنا الى مائدة الطعام وألقيتُ خطابي على الحاضرين، وحمله الميكروفون الى الجموع المحتشدة على سطيحة الفندق وفي الباحات الخارجية وأحدث أثراً بعيداً .

لم نسترح دقيقة واحدة بعد الغداء، بل ذهبنا الى قب الياس وزرنا آل قزعون .

وعند الغروب وصلنا الى بيت النائب اديب الفرزلي في جب جنين .

وعرجنا على نبع الخريزات حيث استقبلنا انسباؤنا آل كرم بمباخر تفوح بشذى البخور .

ولم نبلغ مشغرة الا في الليل البهيم .

وكانت الزينات النارية في جميع الانحاء . وحَدِّثْ ولا حرج عـــن حفاوة تلك القصبات بنا وهي التي لم يزرها حاكم قبل عهدنا، فالقيتُ خطبتين الاولى في جب جنين والثانية في مشغرة .

وكان العشاء على مائدة النائب يوسف الهراوي على ضفة « البيسين » التي يملكها في رياق، فوصلنا اليها في ساعة متأخرة من الليل ووجدنا الموائد الشخصية ممدودة تحت الانوار الباهرة واختلفنا اليها تَعِبين مسرورين،

ورحّب بنا الخطباء وفي مقدمتهم الاستاذ جوزيف ابو خاطر ترحيباً حماسياً فأجبتهم بخطبة مرتجلة صادفت قبولاً . وقد فنّدتُ فيها بعض المزاعم الكاذبة التي آلمتني كثيراً في حينها، فقلت :

« ... واستعيد هنا ذكرى أليمة تعود الى عام ١٩٤٢ فأقول : عندما كنا في مصر في ذلك العام راح بعضهم يخلق الشوائع بان لبنان سيكون عضواً في وحـدة او اتحاد، ذلك لمجرد كوننا جعلنا من اهدافنا سياسة استقلالية بحتة، يصبح بها لبنان سيد شؤونه ومقدراته، ولقد كان جميل مردم بك في مصر حينذاك وكان يصرّح امام النحاس باشا وسواه بانه لو كان جميع الناس في لبنان يفكرون كما يفكر بشاره الخوري لعدلنا عن المطالبة بشبر واحد من لبنان، ولاعطيناه من اراضينا ما يريد ...

« والذي يهمنا جميعاً هو الاحتفاظ باستقلالنا المقدس . ان هذا الاستقلال الذي نفديه بالارواح والمهَج، نغنمه بحول الله وبقوة عقيدة رجاله، هؤلاء **الرجال الذين اذا تكلموا صدقوا واذا عاهدوا وفوا** . »[1]

فعلا التصفيق والهتاف حتى شقّا عنان السماء قبل ان تشقها السهامُ النارية التي أُطلقت في آخر السهرة . وعدنا بعد منتصف الليل الى فندق قادري واخذنا راحتنا التامة ونمنا ملء جفوننا، بعد ان شكرنا الله على نجاح رسالتنا في ذلك الوسط الصعب الذي له اهمية لا تخفى على احد .

وقمتُ من النـــوم باكراً فزرت معهد كساره للآباء اليسوعيين بينما الرفقاء يرتدون ملابسهم . وفي المعهد المذكور تقوم لحساب الحكومة اللبنانية محطة جوية بادارة احد الآباء العلماء، وقد شرح لي الاعمال التي يعملها .

ورجعتُ الى الفندق، ثم قصدنا الى بعلبك فرأينا أهالي القرى

(١) — مجموعة خطب : ص ٩٨ — ٩٩

يتقدمون لملاقاتنا في مفارق الطرق العامة . ووقفنا في الفرزل حيث رحّب بنا اهلوها يتقدمهم كهنتها . وقرب بعلبك خرج لملاقاتنا ومواكبتنا نسيبنا موسى فريج صاحب « حوش السنيد »، ومعه عشرات من الخيالة . وفي بعلبك استقبلنا اهلوها في مدخل المدينة بين خيالة ومترجّلين وفي طليعتهم توفيق هولو حيدر، وكاد يقع اصطدام بين اهالي بعلبك والقادمين اليها من الخارج لولا ان تدارك الامر نسيبنا موسى فريج فاتجه بمن معه ناحية راس العين على طريق خاص . واستقبل اهالي بعلبك الموكب في بلدتهم على الطريق العام بكل حفاوة وواكبونا حتى فندق خوّام في راس العين، فتناولنا الغداء على مائدة البلدية وفُتح ميدان الخُطب كما هو المعتاد . وأحببتُ ان أردّ عـــلى مزاعم رمت الى تصوير لبنان ناكثاً في عهوده وعابثاً بصداقاته التقليدية، وانه يبغي ان يبدل بانتداب فرنسا انتداباً بريطانياً فقلت :

« نحن في اشد الحاجة الى التضامن والمحافظة على الامن الداخلي، وعلى مصالح المدنيين الاجانب عندنا . لقد قارب الجلاء فعلينا الآن ما دمنا قد أجزنا بقاءَهم ان نحافظ عليهم محافظتنا على انفسنا . أقول هذا بكل صراحة، وليسمعه القاصي والداني : إن الحكومة اللبنانية اذ تضطلع بالمسؤوليات تقوم بتعهداتها كما تفعل اكبر الدول، فمقياس رقيّ الامم المحافظة على التعهدات . ويجب ان نكون نحن اول المحافظين عليها لنضمن استقلالنا من عوادي الدهر وعوادي الغير . لا نقول هذا لمصلحة احد، لاننا لا نفضّل واحداً على آخر، ولا دولةً على دولة، وما جَهَدنا وضحّينا لنستبدل بانتداب قديم انتداباً جديداً، بل فعلنا ذلك لمصلحة انفسنا ومصلحة البلاد العربية التي نحن متعاونون واياها على صيانة حقوقنا واستقلالنا، مع المحافظة على تعهداتنا »[1] .

وبعد الاكل استرحنا في جناح أُعدّ لنا في الحديقة . ثم تنزهنـا في

(١) — مجموعة خطب : ص ١٠٠ — ١٠٢

ضواحي البلدة وتناولنا العشاء عند النائب ابرهيم حيدر الذي استقبلنا بلياقة ولباقة ، واحتفى بنا وبصبري حماده رئيس المجلس النيابي على ما بينهما من خصام مستحكم .

عريضة القضاة تلحق بي الى بعلبك :

لم يحصل القضاة على ضمانات وترقيات كالتي نالوهـــا لسنة خلت يوم اعدنا النظر في التنظيم القضائي[1] فارتفع ملاك القاضي الى درجة لم يكن ليحلم بها احدهم مما اثار حفيظة المديرين العامين الاداريين ، غير ان « النفسَ راغبةٌ اذا رغّبتَها » ، ورغبتْ نفسُ القضاة في الاستزادة فلعبت بعقولهم دسائس الدساسين واستفادوا من غيابنا ومن مرافقة النائب العام الاستئنافي لنا ووقّعوا على عريضة مغرضة شُوّهت فيها الحقائق ، وطلبوا زيادة الضمانات المعطاة لهم وزيادة مرتباتهم ، ناسبين للحكومة تُهماً لم تُبْنَ على الواقع . وقد وصلت هذه العريضة اليّ وانا في بعلبك استريح في غرفتي قليلاً بعد الغداء ، فلم اتمالك من الغيظ ودعوت رئيس الوزارة والنائب العام ودفعت العريضة اليهما وقلت : ان هذا الموقف المريب يُبعدني عن اجابة طلبات غير محقّة ، فشاركاني رأيي .

وبقيت مدة طويلة أُرجىء مقابلة القضاة بخصوص تلك المطالب .

القلم مكان البندقية :

استيقظتُ باكراً كعادتي وجلست في البهو الكبير انتظر الاستعداد للمسير نحو الهرمل .

ومشى الموكب في الساعة التاسعة من صباح ١٠ من تشرين الثاني فزحفت اهالي القرى التي تجاور الطريق العام الى مفارق الطرق ، ووقفنا في مقنه حيث استقبلنا الحاج عوض المقداد ومعه وفود كبيرة لا تحصى . وأعدّ

(١) — راجع : ص ١٠٤

لنا آل حيدر بقيادة نائبهم ابرهيم حيدر استقبالاً رائعاً في قريتهم اللبوة على الماء النابع بغزارة واحتفوا بنا كثيراً .

ووقفنا في « العين » حيث كانت تنتظرنا وفود العشائر الحمادية وفي طليعتها الدنادشة ، وحانت مني التفاتة الى صبيّ بينهم لا يتجاوز الاثنتي عشرة سنة يحمل بندقيته الحربية فدعوته اليّ ، فسلّم البندقية الى رئيس العشيرة قبل ان يقرب مني ، واخذت من جيبي قلم حبر ذهباً وقلت له : « خذْ هذا القلم بدلاً من البندقية » ، فأخذه مدهوشاً ، وقلت له : ستدخل مدرسة الحكمة مع اثنين من رفقائك لتدرسوا بنفقة الحكومة وتصيروا رجالاً معلمين بدلاً من ان تبقوا اميّين .

وبدت علامات الفرح على وجهه . وأراد رئيس العشيرة ان يُرجع له بندقيته فقال له الصغير : « دعْها معك فانني استعيض عنها بقلم الرئيس ! »

وعرجنا على رأس بعلبك واستُقبلنا بالهتاف ، وقد امتطت النساء الهوادج باللباس العربي وهن ينشدن اناشيد الترحيب ، والرجال يقومون بألعاب الفروسية امامنا .

ودهمنا الوقت فلم نطل المقام ، واكملنا سيرنا الى الهرمل فوجدنا على ضفة نهر العاصي فرساناً جاؤوا يستقبلوننا ويواكبوننا وعلى اكتافهم البنادق الحربية ، ولكنهم لم يطلقوا منها طلقاً واحداً امتثالاً لرغبتنا .

ولم يكن استقبال الهرمل باقل حفاوة من استقبال بعلبك فواكبتنا الخيالة من العاصي الى بيت سعدالله حماده ابن خال صبري ، وابن محمد سعيد باشا زعيم الهرمل .

ثم قصدنا بيت صبري وتناولنا الغداء . وألقى رئيس المجلس كلمة ترحيب موفّقة وأجبته عليها ارتجالاً واسهبت في ذكريات الماضي والاعتقال . وتبسطتُ في الكلام لانني صممت ان لا اتكلم غداً في قلعة راشيا اعتباراً

مني بان ذكرى ١١ من تشرين الثاني جليلة جداً والصمت فيها افصح من الكلام .

وبعد ان سردت المراحل التي مررنا بها في ازمة تعديل الدستور حتى اعتقالنا في راشيا ختمت خطابي قائلا :

« اذا قيل انه لولا رئيس الجمهورية لما تمّ التعديل ، قلتُ ان رئيس الجمهورية حقّق بالاتفاق مع رئيس المجلس ورئيس الوزارة رغبة الشعب . ولولا التكاتف لما تمّ شيء . ولولا اتفاقكم من وراء رؤسائكم لما فعلوا شيئاً ، فالتعديل هو ثمرة تضامنكم » . (١)

وهكذا كنت اتمنع تمنعاً باتاً عن قبول القول بان الفضل يعود إليّ وحدي في تحقيق الاستقلال ، وكنت في كل ظرف سانح اشيد بفضل النخبة التي عاونتني على نيله، وافاخر بوطنية الشعب اللبناني الأبي .

وغادرنا الهرمل عند المغيب وعرجنا على بر الياس ليلا ولكن الظلمة لم تحل دون حفاوة الاستقبال . وانتهى طوافنا بوصولنا الى فندق مسابكي حيث قضينا ليلتنا .

قلعة راشيا :

قررنا ان تقع زيارة راشيا في اليوم الحادي عشر من تشرين الثاني ، اي سنتين بعد الاعتقال ، وكان ذلك اليوم احداً فطلبت ان احضر القداس في الفندق قبل مغادرتي شتورا، وقدّمتُ الذبيحة الالهية على نية اتحاد جميع اللبنانيين حول راية الاستقلال ، ثم اخـذنا طريقنا حوالي الساعة التاسعة صباحاً الى راشيا يواكبنا مَن بات ليلته معنا في شتورا ، وانضم اليهم وفود من بيروت والمناطق الاخرى . واردتُ ان يُحيط بي جميع الذين اعتقلوا معي فلبّوا الطلب ما عدا كميل شمعون فقد كان في لوندرة، وقام فيليب تقلا مقام اخيه سليم ، ولبّى الدعوة ايضاً المطران

(١) — مجموعة خطب : ص ١٠٣ ـ ١٠٨

مبارك وهو الذي رفع الصوت في بيروت اثناء الاعتقال . اما حكومة بشامون فلم يغب منها الا رئيسها حبيب ابو شهلا الموجود آنئذٍ في القاهرة . وكانت الهيئات النسائية في مقدمة المدعوين .

استوقفنا الاهلون في الطريق ، في مفارق قراهم ، مرحبين هاتفين . وفي مجدل عنجر احتفل بنا اشياع الياس طعمه السكاف وفي مقدمتهم نجله جوزيف، ومكثت بعض الوقت اتحدث الى المستقبلين . وكان مرادنا ان نصل الى القلعة اولاً غير ان اعيان راشيا انتظرونا امام السراية ، فاضطررنا الى زيارتهم في المركز الرسمي ووجّهتُ اليهم عبارات الشكر على ما لقيناه منهم اثناء الاعتقال .

وامام القلعة جاشت في القلب جميع الذكريات الاليمة والحلوة في آن واحد . وقد اصطفّت فرق الجيش اللبناني وفرق الدرك ، فما ترجلتُ حتى صدحت الموسيقى بالسلام العسكري والنشيد الوطني وأُطلقت المدافع، وسُمعت للنشيد رنّة خاصة ، فالعازفون والسامعون خلعوا عليه كل ما يوحيه المكان التاريخي من نشوة واعتزاز .

ودخلنا القلعة واحاط بي قرينتي ورياض الصلح وعبد الحميد كرامي وسامي الصلح والوزراء والنواب والمطران مبارك والمدعوون الآخرون والسلطات العسكرية والمدنية واعيان المنطقة، وبدأتُ بان رفعت العَلم على القلعة والموسيقى تعزف « الى العَلم » والدمع ينهمر من عينيّ ومن اعين الحاضرين . ثم عزفت الموسيقى العسكرية نشيد الاموات تكريماً لذكرى الشهداء ، وعقب ذلك صمت خمس دقائق . ثم صافحت الجميع فرداً فرداً واتجهتُ الى الغرفة التي اعتقلت فيها ، فالغرفة التي اعتقل فيها رياض ، فالغرفة التي اعتقل فيهـا عبد الحميد كرامي وسليم تقلا وكميل شمعون وعادل عسيران، ورفعتُ الستار عن بلاطاتٍ وُضعتْ على مدخل كل منها وحُفرت عليها اسماء المعتقلين وتاريخ الاعتقال والافراج . ثم دخلتُ الغرف المذكورة وصدى الماضي يرافقني والحاضرون خاشعون .

وسرت مع كبار المدعوين الى شرفة القلعة وأُطلقت رصاصات من الرشاش على وادي راشيا ايذاناً بانتهاء الحفلة الصامتة . فيا له من يوم عظيم وذكرى مجيدة، ويا له من اتحاد وطني باهر ، في هذا المعتقل الذي سُخّر مهداً للاستقلال .

تركنا القلعة والعين تلتفت والقلب يتطلع الى ما وراء المنظور ، ومضينا الى رياق ، وحوش حالا ، آخر مراحل هذه الزيارة البقاعية ، فاستقبلنا الاهلون باجمل ما يكون الاستقبال وتبارى الخطباء في الترحيب فشكرتهم بخطاب وجيز ختمته بابيات شوقي عن فاتح القدس والفاتحين عندنا ، وقد انتهى عهد الفتح في لبنان منذ يوم راشيا :

يا فاتحَ القدس خلِّ السيف ناحيةً   ليس الصليب حديدا كان بل خشبا
إذا رأيتَ الى اين انتهتْ يدُهُ   وكيف جاوز في سلطانهِ القطبا
علمتَ ان وراء الضعف مقدرةً   وأن للحق لا للقوة الغَلَبا

ومن رياق رجعنا الى شتورا فتناولنا الغداء وعدنا الى بيروت مساءً والبشر يطفح من الوجوه والقلوب .

صدى الزيارة في المجلس النيابي :

انتهت رحلة البقاع في ١١ من تشرين الثاني وكانت قد تعينت جلسة للمجلس النيابي في الثالث عشر منه ، فانتهز سامي الصلح رئيس الوزارة الفرصة السانحة ليلقي بياناً على غرار بياناته السابقة قال فيه :

« وكانت الذكرى الثانية لحوادث تشرين ووقوعها اثناء هذه الزيارة ، فرصة اغتنمها الرئيس وحكومته وشاركهم فيها الشعب اللبناني اجمع للوقوف خاشعين صامتين خمس دقائق حداداً على ارواح الشهداء الابرار الذين سقطوا في تلك الحوادث صرعى ورووا بدمائهم الطاهرة تربة لبنان . فقد دلّت هذه الرحلة الموفقة على تلاشي روح

الانقسام الطائفي في لبنان ، وظهرت جميع عناصر الشعب بمظهر تضامن واخوّة واتحاد يثلج الصدور . لم يبق في لبنان طوائف منقسم بعضها على بعض . لم يبق في لبنان مسلمون ومسيحيون . لم يبق الا لبنانيون يعمَلون تحت راية واحدة هي راية لبنان، وفي سبيل هدف واحد هو توطيد استقلال لبنان والدفاع عن حريته وسيادته » .

وابتهج المجلس لنتائج الرحلة ابتهاجه لنتائج الرحلتين السابقتين وصدّق بالاجماع على اقتراح شكر وتقدير لرئيس الجمهورية قدّمه فيليب تقلا .

مدالية الجهاد :

اقترحت الحكومة مشروع قانون باحداث مدالية الجهاد تمنح للاشخاص الذين جاهدوا في سبيل لبنان اثناء حوادث ١١ — ٢١ من تشرين الثاني ١٩٤٣ ، وللذين قضوا فيها تكريماً لهم بعد الوفاة ، فأقرّ المشروع في ٢٠ من تشرين الثاني ١٩٤٥ .

وعلى الاثر اجتمع مجلس الوزراء وعرضت عليه اسماء الاشخاص الذين يمنحون هذه المدالية فوافق على منحهم اياها . وكان رئيس الجمهورية في مقدمتهم . وقبل البحث في سائر الاسماء المعروضة استوقفه الوزراء وقال رئيسهم سامي الصلح : « اقترح باسم جميع زملائي ان تمنح هذه المدالية لعقيلة الرئيس لانها كانت على رأس المجاهدين في ايام الاعتقال » . وكان لهذا الاقتراح اكبر الاثر في نفسي . ومُنحت زوجتي المدالية وانا فخور بانها جديرة بحملها على صدرها بعد الذي احتملته في سبيل الاستقلال والذي قاسته ايام الاعتقال ، وهي شهادة على اعمالها الوطنية وعلى شحذها العزائم في اليوم العصيب ، وقد حملت المشعل ولم تقنط ، في حين ان الالم يحزّ في نفسها والقلق يساورها ليلاً ونهاراً على حياة زوجها وعلى رفقائه .

ذكرى الاستقلال :

اردناها حافلة جداً بعد زيارة قلعة راشيا ، فجرى عرض عسكري

في ساحة الشهداء بحضور الهيئات الرسمية ورجـال السلك السياسي والرؤساء الروحيين . وقبل العرض تليت اسماء الحائزين على مدالية الاستقلال وعلقتُها بيدي على صدورهم . وجرى العرض جميلاً جداً . واشترك الشعب المجتمع في الساحة وعلى الشرفات والسطوح بهـذه الذكرى ثم اقمنا حفلة استقبال في السراية والبشر يطفح على الوجوه جميعها .

اشاعات وتصريحات عن سوريا الكبرى :

ما ان فرغنا من الاحتفال بذكرى الاستقلال حتى سرت شائعات عن إمكان تحقيق سوريا الكبرى، وقَوَّتها تصريحات ادلى بها وزير خارجية شرقي الاردن فقامت الحكومة بالاحتجاج اللازم واستحصلت من الامير عبدالله ابن الحسين ان اوصى وزير خارجيته بالتقيد بنصوص ميثاق الجامعة العربية .

واثيرت القضية في المجلس النيابي[1] فاجمع النواب على استنكار كل فكرة تزعزع استقلال لبنان ، وهو استقلال قائم بمعزل عن دول الشرق والغرب معاً ، وكان اول المستنكرين رياض الصلح فقال :

« ... فنحن ايها السادة عندما اخذنا عهداً على انفسنا بان نكون مع اخواننا للبنان بحدوده الحاضرة ، لم نكن تحت تأثير اي قوة ، هذه كلمتي قلتها في المحافظة على لبنان وحدوده . وقد صرح بذلك مراراً زميلي دولة عبد الحميد كرامي ولن نرجع عنها . وأُكرر قولي : انـه لا توجد قوة في العالم تحملنا على تغيير رأينا او الرجوع عما قلناه بشأن لبنان واستقلال لبنان ، وهو ان لبنان عربي مستقل بحدوده الحاضرة . وكيف يمكن ان نقول الان بغير مـا قلناه اولاً وقد وصل لبنان الى هذه الذروة من مجده ، وكيف يمكن ان

(١) — في جلسة ٢٦ من تشرين الثاني

نتنكر لعهد قدسناه ، وان نتنكر لشهدائنا الابرار الذين اخذوا منذ حين مداليات الجهاد وليس فيهم واحد يقول بالانتداب على لبنان ؟ **بعد ان لففنا الشهداء بهذا العلم المقدس ايمكن ان نتنكر لهذا الوطن العزيز ، وللرجل الكريم الذي عاهدناه على السير للنهاية في سبيل الدفاع عن لبنان بحدوده الحاضرة، اعني به فخامة رئيس الجمهورية .**

أحينَ غدت ركائبكُم بنجدٍ   تنكـرتـم لمن قادَ الهجينا ؟ »

وجاء ذكر الجامعة العربية في سياق المباحثات، فتكلم رياض الصلح مرة ثانية وقال :

« ... والذي اقصده ليس ان تقول الجامعة كلمتها بهذه القضية ، وقد قالت في هذا الموقف ما قالت ، **انما اقصد ان قضية لبنان حُلّت في لبنان ولا يمكن ان تحل الا فيه .** » (محضر الجلسة)

مصافي البترول في لبنان :

كانت الحكومة قد عقدت في ٢٤ من ايلول ١٩٤٥ اتفاقاً يجيز لشركة « المديترنيان » الاميركية انشاء مصفاة بترول (او اكثر) في لبنان الشمالي دون ان يكون لها امتياز بحصر التكرير بها دون سواها . وكان هذا الاتفاق يوافق المصلحة اللبنانية ولا يقيد لبنان بامتياز . فلما عرض على المجلس لاقراره ارجأ النواب النظر فيه ثم تعينت جلسة في ٢٦ من تشرين الثاني لبحثه مجدداً فانقسم النواب الى محبذ ومستنكر .

وقد شرح وزير المال ان البلاد تجاه شروط مماثلة معطاة بالحرف الواحد لشركتين اخريين غـير الشركة الاميركية ، وهما شركة النفط العراقية وشركة النفط الفرنسية، ولا يمكن ان نطلب من الشركة الجديدة غير ما طلب من اللتين سبقتاها الى نيل الاجازة ، و« المديترنيان » قابلة بكل تعديل او زيادة يطرآن على الاتفاقين الاولين .

فأقرّ المشروع باكثرية الاصوات ولكن المصفاة لم تُنشأ حتى الآن ، وليس في لبنان الا مصفاة الشركة العراقية التي أُنشئت في ايام الحرب ، وهي لا تفي بحاجات سورية ولبنان على الرغم مما ادخل عليها من تحسينات عديدة .

تنظيم المحاماة :

ربطت الحكومة تنظيم المحاماة بمشروع قانون بعد ان فرغت من التنظيم القضائي الذي اقره المجلس في تشرين الاول ١٩٤٤، ووافقت لجنة الادارة والعدلية على المشروع بتنظيم المحاماة فأقرّه المجلس النيابي باكثرية ساحقة [١] .

سبيلنا ان الحكومات الاستقلالية لم تحصر عنايتها بتحقيق الاستقلال وحده بل شملت تلك العناية جميع ما يلزم تنظيمه من شؤون الدولة ، فقدمت للمجلس النيابي مشاريع كثيرة في فترة السنتين اللتين انقضتا على تعديل الدستور وقد اقرّ بعضها ، ومنها ما تأخر اقراره وهي قوانين تنظيم محاسبة الدولة وانشاء ديوان المحاسبة والملاكات الادارية ومشروع تنظيم الصحافة . ولا مجال لذكر اسباب التأخير ، والمسؤولية فيها مشتركة بين المجلس والحكومة .

انتخاب المختارين والبلديات :

وضعت الحكومة مشروع قانون يقضي بانتخاب جميع مختاري الجمهورية اللبنانية وجميع البلديات فيها ، ما عدا بلديتي بيروت وطرابلس (الى ان يوضع قانون خاص لانتخاب كل منهما) ، وأحيل هذا المشروع الى المجلس النيابي في ٢٥ من ايلول، وقد جرت مباحثة حادة بشأنه (٣ كانون الاول) فانقسم النواب، وطلب بعضهم تعديل الدستور لالغاء الطائفية اولاً ومن ثم

(١) – في ٢٦ من تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ .

تجري الانتخابات المقترحة على اساس غير طائفي ، وطلب آخرون ارجاء المشروع ريثما يُعدَّل تنظيم البلديات المربوط بقرار المفوض السامي الصادر سنة ١٩٢٢، وهو الذي اكل الدهر عليه وشرب وتغيرت الاحوال بعد ان مضى على وضعه ربع قرن ، وقال نواب آخرون بالانتخاب في الوضع الراهن لان السوس قد نخر البلديات لعدم تجديد انتخابها . ومثل البلديات المختارون .

وامام تلك التيارات المتناقضة تركت الوزارة للمجلس امر البت دون ان تتخذ موقفاً جازماً ، فاقرت الاكثرية اعادة المشروع الى الحكومة ، ودفن موقتاً بجانب المشاريع الاخرى التي ذكرتها ، وكان ذلك مدعاة للاسف .

مشروع موازنة سنة ١٩٤٦

تقدمت الحكومة بمشروع الموازنة عن عام ١٩٤٦ فاحيل الى اللجنة المالية وأعدّ مقررها فيليب تقلا تقريراً مفصلاً تلاه في ١١ من كانون الاول . وظهرت في الموازنة المساوىء التي أُخذت على الدولة منذ عام ١٩٢٦ ، اي تضخم الارقام بسبب تضخم الموظفين . وكان تقرير النائب تقلا صريحاً جداً مما جعل رئيس الوزارة يردّ على الانتقاد قبل ان تعطى الكلمة لوزير المال ، وتشعّب الموضوع فلم تتم المناقشة العامة فيه وأرجئت الى موعد اخر .

ويجب ان يقال ان تضخم موازنة ١٩٤٦ لم يكن من زيادة الموظفين فحسب ، بل من اتخاذ الخزينة اللبنانية على عاتقها اعباء الجيش والمصالح التى تسلّمناها من الفرنسيين ، ويقابل تلك الاعباء زيادة في واردات الجمارك التي تحولت الى الخزانة الوطنية .

طلائع الجلاء

الاتفاق البريطاني الفرنسي في ١٣ من كانون الاول :

أجمع اللبنانيون على طلب جلاء الجنود الاجنبية عن وطنهم . وكلمة الجلاء تنطبق على الجنود الفرنسيين لوجودهم في اراضينا بسبب قيام الانتداب سابقاً، وتنطبق على الجنود البريطانيين بسبب دخولهم بلادنا في حزيران سنة ١٩٤١ . ومنذ ان انتهت المرحلة الاولى من الاستقلال بتعديل الدستور ، وانتهت المرحلة الثانية بتسلّم المصالح المشتركة كافة ، باشرنا نطالب بجلاء جميع الجيوش الاجنبية عن اراضينا، وهبَّ الشعب يؤيّدنا بحماسة وايمان، فاصطدمنا بعقبات كثيرة اشرنا اليها في ما تقدم، وكادت الحوادث المؤلمة تفقدنا الصبر : منها عندما وصل السنغاليون الى بيروت، وعندما احتفل الفرنسيون بعيد النصر احتفالاً استفزازياً، وعندما وقعت حوادث سوريا وضربت دمشق بالقنابل . ولكننا لم نقنط وبقينا مصرّين على المطالبة بحقنا، ونطالب من يمثّل الدولتين عندنا بالجلاء .

وقد تجلت ارادة الشعب اللبناني في طلب الجلاء، وفي تأييده للحكومة فيه، اثناء الزيارات التي قمت بها لمختلف المناطق وانتهت بزيارة راشيا .

وفي ٣١ من نوار ١٩٤٥ زارنا القائد الاعلى للجيش البريطاني في السراية وأشار في حديثه الى انعقاد مؤتمر قريب في لوندرة يضم ممثلي

الدول الاربع لوضع حل نهائي لقضية احتلال الجنود الاجنبية سوريا ولبنان .

وفي الثالث عشر من كانون الاول طلب وزير انكلترا المفوض مقابلتي على عجل، بينما كان السيد استروروغ المندوب الفرنسي بالوكالة يطلب مقابلة وزير الخارجية فتعيّن لهما ميعاد في الساعة عينها، وقدّم لي الوزير المفوض النص الانكليزي (ومعه ترجمته) لوثائق اتفاق تمّ بين فرنسا وانكلترا بخصوص الجـلاء، وفي ذلك الوقت بالضبط قدّم المندوب استروروغ نصها بالفرنسية لحميد فرنجيه .

طالعتُ تلك الوثائق واستوقفني غموض يكتنفها ، فابديتُ التحفظات اللازمة للوزير المفوض ، ودوّنتُها بمذكرة خاصة لديّ ودعوتُ رئيس الوزارة وسلمته اياها، مكرّراً امامه تحفظاتي التي أبديتها للوزير المفوض . غير اني شعرت شعوراً نفسانياً قوياً بان الجلاء واقع حتماً ، وإنْ ورد بعض «الالغاز» في نص الوثائق، وحسبتُ ان اللغة الدبلوماسية قد استُعملت فيها مراعاة لشعور الفرنسيين . وقـد اتفقتُ مع الحكومة على ان يلقي رئيس الوزارة بياناً اولياً في جلسة ذلك النهار في المجلس النيابي ويتـلو مضمون الوثائق ، وقلت له : « انني متفائل جداً، ولهذا فاني سأحضر الجلسة عند إلقاء البيان » . فسُرّ بالفكرة .

ابتدأ المجلس مناقشاته العامـة في الموازنة وانتهى آخر خطيب من بيانه بهـذا الصدد ، ودخلتُ مقصورتي في المجلس فوقف الاعضاء وقال الرئيس :

« ارحب باسمي واسم اعضاء المجلس اجمل الترحيب بفخامـة رئيس البلاد الشيخ بشاره الخوري » (تصفيق)

وتلا رئيس الوزارة بيانه ، ثم تلا نص البلاغ المشترك الذي ستصدره حكومتا فرنسا وبريطانيا في النهار عينه . وما ان انتهى حتى وقف

النواب وقفة الرجل الواحد وأنشدوا النشيد الوطني (تصفيق) .

« رئيس المجلس : إسمحْ لي يا فخامة الرئيس ان اوجه اليكم باسم مجلس الامة الشكر الجزيل ، اعترافاً بجميلكم وإقراراً بفضلكم . واني لسعيد جداً في هذا اليوم السعيد بان اهنئكم وأهتف عالياً : فليحي لبنان حراً مستقلاً ، وليحي فخامة الرئيس الشيخ بشاره الخوري !

« ... رياض الصلح : انني اشارك رئيس المجلس بشكر فخامة الرئيس على هذه النتيجة التي وصلنا اليها . انما اخشى ان نسجّل هذا البيان (بلاغ الحكومتين) دون ان نقول كلمة في الموضوع ، فقد ورد في البلاغ » الخ ...

وهنا ابدى رياض بعض تحفظات ذات قيمة : اولها عما ورد في البلاغ البريطاني الفرنسي من ان استقلال لبنان اعلن من جانب دولة واحدة (فرنسا) مع انه كان نتيجة لمشيئة اللبنانيين . ثانياً ان شكر الدولتين بتسهيل الجلاء لا يمنع من انه امر طبيعي طلبناه وسنصل اليه ، « واقول انني لم اكن ورفاقي في يوم من الايام نشك في الوصول الى هذه النتيجة من اية جهة اتت ، وفي ان هذا العهد موفـّق بكل شيء ، ومن جميع الجهات ، برئيسه ومجلسه وبالشعب اللبناني . دام الشعب وعاش رئيسه.»

وتكلم حبيب ابو شهلا مهنئاً ومتحفظاً، وطلب من حميد فرنجيه وزير الخارجية ان يسهر على تنفيذ النقاط التي اثيرت .

« وزير الخارجية : ليس لي الا كلمة واحدة اقولها : ان الحكومة تتبع هذه القضية باهتمام بالغ منذ اليوم الذي وردت فيه اخبار قيام المحادثات . ولم نكن يوماً، ولن نكون، قابلين بان نكون خارج المحادثات . حتى انني ابلغت، محدثيَّ من الطرفين ان لبنان لا يتقيّد الا بالمواثيق التي يوافق عليها » . (تصفيق)

ثم تعاقب على الكلام النائبان اديب الفرزلي وجورج عقل، ومما قاله عقل :

« ان لبنان استقلالي، واستقلاله لم يأتهِ منـّةً من احد . وانا أرحب بمفاجأة تشريف فخامة رئيس الجمهورية . ان برلماننا هو اول برلمان عربي عرضت فيه قضية الجلاء التي نأمل ان تنتهي لخير لبنان ولخير شقيقتنا سوريا ولخير البلاد العربية جمعاء » .

وتحفـّظ مجيد ارسلان بخصوص التفسيرات المغلوط فيها، والتي اعطيت او سوف تعطى لهذا البيان .

وتكلم رياض الصلح مرة ثانية : « ... والذي اردت ان نتحفـّظ حوله تجاه الرأي العام الاوربي هو ان نقول بملء فينا : اننا اصبحنا مستقلين لا لان زيداً او عمراً اعلن هذا الاستقلال، بل لان جهودنا ومشيئتنا وحقنا ارادت هذا الاستقلال فاستقللنا . اما الامر الثاني الذي يهمني فهو ان نأخذ علماً بهذا البيان كأنه صورة عملية لما سوف يتمشى عليه البريطانيون والفرنسيون في تطبيق الجلاء، اما ان في البلاغ تطميناً فليس بالجديد، لاننا كنا واثقين من حصول الجلاء ثقة تامة . وهذه النتيجة على كل حال خطوة عظيمة . ولو لم يكن فخامة الرئيس يقدّر اهميتها لـَمّا شرّف هذه الجلسة . »

حبيب ابو شهلا : « ... على انني اريد ان نفهم جميعاً ان الجلاء يعني الجلاء التام، فلا مطارات ولا موانىء ولا استحكامات ولا بعثات عسكرية، مهما كانت ضئيلة في شبر واحد من ارضنا، هذا ما اردت التشديد عليه كي اعبّر عن رغبة الشعب باسره . »

كمال جنبلاط : « لا يمكننا ان نفسّر الآن هذا البيان لانه يحتاج الى الدرس، ولكن أودّ ان استخلص من هذا نقطتين :

الاولى : شكر فخامة الرئيس والحكومات المتعاقبة على الحكم، لجهوده وجهودها التي تكللت بالنجاح .

والثانية : هي ان لنا عظة من التاريخ فالتوازن الدولي بالشرق وحده

يمكن ان يحقق للدول الصغيرة ما تصبو اليه من سيادة واستقلال . فآمل من الحكومة ان تتبع في المستقبل بكل دقــة مراحل هذه السياسة، فتكون مركز التوازن بين تيارات السياسة الخارجية، اكانت شمالية او غربية . »

« وزير الخارجية : ... اما ما جاء بخطاب الاستاذ ابو شهلا فلا يمكن إلاّ ان يكون برنامجاً لكل حكومة لبنانية تقــوم باعباء الحكم، وهو برنامج هذه الحكومة والحكومة السابقة واللاحقة (تصفيق)... (متابعاً) : اما ما جاء في كلمة الاستاذ جنبلاط عن التوازن الدولي، فنحن لا يمكننا على الاطــلاق ان نعترف باي توازن دولي . فهناك توازن واحد هو المساواة بين جميع الدول الاجنبية . فالجميع في نظرنا متساوون . ونحن نطلب جلاء الجيوش وكل الجيوش . ولا نعطي امتيازات لاحد . واذا فتحنا الباب فبوجه الجميع، واذا اغلقناه فبوجه الجميع، ايضاً . »

صائب سلام : « ... وكما انني لم أرد ان انتقص من امر الجلاء كذلك أحبّ ان اذكر لزملائي انني لم اكن احب ان انتقص من امر تشريف فخامة الرئيس مجلسنا بحضوره، انما اعتقد ان الزملاء الكرام الذين اظهروا تحفظاتهم نحو البيان قد ادخلوا السرور كاملاً على قلب فخامة الرئيس . »

كمال جنبلاط : « احب ان اوضح كلمتي فقد اردت ان اقول انه من الواجب علينا ان يكون لنا علاقات طيبة مع الشرق ومع الغرب ، مع روسيا كما مع بريطانيا وفرنسا ، فعندما تتصادم هذه النزعات تؤمن سلامة البلاد ... »

رُفعت الجلسة ونزلتُ مــن المقصورة واجتمعت الى رئيس المجلس والاعضاء في غرفة الرئيس، وأحاط بي جميع النواب مهنئين، فقلت لهم : « انني متفائل جداً من البلاغ المشترك، وان اللغة الدبلوماسية المستعملة فيه تفيد معاني كثيرة ، وفيها الكثير من « اللباقة » لحفظ كرامة الفرنسيين

وجيشهم ، وان الدولتين تستعملان في الجلاء سياسة المراحل . »

ورسخت عقيدةٌ في ذهني ان الجلاء امر واقع حتماً، ولكن الفرنسيين لن يجلوا إلا بعد مفاوضة مباشرة بيننا ، وقد يكون مكانها باريس على الارجح .

الحمد لله ثم الحمد لله !

ذيول الاتفاق البريطاني الفرنسي :

ولكن التفاؤل بحصول الجـلاء نهائياً لم يحجب عن ناظري الغموض الذي جاء في البلاغ المشترك المذكور ، ولا الغموض الذي كان يكتنف خطة الجلاء والاتفاق التابع له .

وبعد جلسة المجلس النيابي عكفنا مــع وزير الخارجية على درس النصوص ، وظهر لنا فرق بين النصين الفرنسي والانكليزي، فعقدنا النية على استجلاء تلك الالغاز . ولما كانت المسألة تتعلق بسوريا وبنا في آن واحد فقد اتصلت هاتفياً بالرئيس شكري القوتلي لعقد اجتماع يضمّ اركان الدولتين للتشاور ، ووقع اختيار المكان على عاليه ، فلم اجد انسب من بيتنا فيها للاجتماع . وأُعدّت تدابير التدفئة فيه وتم الاجتماع يوم السبت في ١٥ من كانون الاول .

حضر رئيس الجمهورية السورية ورئيس وزارتها ووزير خارجيتها وكان معي رئيس الوزارة ووزير الخارجية . وما ان اخذنا مقاعدنا حتى استأذن السيد يونغ القائم باعمال المفوضية البريطانية بالدخول ، وطلب ان يتلو علينا برقية من حكومته تؤكد ان جيوشها لن تنسحب من سوريا ولبنان قبل انسحاب الجيوش الفرنسية . فأخذنا علماً بذلك وشكرناه . وكان لهذا التصريح اثره الطيب من حيث المستقبل . وعقدنا اجتماعين، احدهما قبل الظهر والآخر بعده ، واتفقنا على ان لا نكتب مذكرة خطية الى

الدولتين بل ان نكتفي باستيضاحهما عن الغموض في الوثائق . واصدرنا بلاغاً مشتركاً يعرب عن اتفاق تام في وجهة النظر بين الحكومة السورية والحكومة اللبنانية .

وعلى اثر الاجتماع دعـــا حميد فرنجيه وزير خارجيتنا ممثلَـي فرنسا وبريطانيا واستوضحهما اموراً عديدة كتبها في سؤالات صريحة ، فاجابا على بعضها حالاً واستمهلا للاجابة على بعضها الآخر .

وصار القلق يساور النفوس، والاشاعات المغرضة تملأ الجو، و « اولاد الحلال » يذيعون ما لا يرتاح اليه الشعب اللبناني ، فتحركت المؤسسات الوطنية للتظاهر ضد الاتفاق ، وقرر وزير الخارجية ان يغتنم اول فرصة لالقاء بيان يوضح فيه الموقف .

وفيما المجلس يتابع البحث في الموازنة العامة في جلسات متلاحقة اعلن وزير الخارجية انه سيلقي في جلسة ٢٤ من كانون الاول بياناً يتعلق بالجلاء ، فتوافد النواب وعدد كبير من الناس لاستماعه . وكان البيان بليغاً وآيةً في الصراحة ، فحدّد الاستقلال الذي ناله اللبنانيون بفضل جهادهم، ثم ذكر اجتماع عاليه والاستيضاح من ممثلي فرنسا وبريطانيا عن الغموض في بعض عبارات الوثائق، وبسط الوزير ما هو واضح تماماً وما هو أقل وضوحاً ، وختم كلامه بأن الاتفاق لا يقيّد لبنان لانه لم يكن جانباً فيه ، وان الحكومة لا ترتبط بشيء ما لم تعد به الى المجلس . وقال : « ... واسمحوا لي اخيراً ايها السادة بان اقول : ان الحكومة لن تقوم بأي عمل يمكن ان يقيد البلاد بشيء، لان البلاد والمجلس يأبيان ذلك، فانتم الحَكَم النهائي . وقد تعودتم ألاّ تصدروا كلمتكم الا بما يوجبه الضمير ومصلحة لبنان ، ولن يكون عملنا الا مطابقاً لهذه القاعدة التي نستمدها منكم، فمصلحة لبنان اولاً واخيراً . »

أحدث بيان حميد فرنجيه اثره العميق في نفوس الحاضرين جميعاً ، وتعاقب على المنبر نواب عديدون نسجوا على منواله وحلّلوا البلاغ

المشترك والاتفاق الفرنسي البريطاني بكثير من المنطق، وأدلوا بحجج لا تقبل الرد، مستندين كما استند وزير الخارجية الى نصوص ميثاق الامم المتحدة والجامعة العربية . وكان الجو وطنياً رائعاً حتى عُدّت الجلسة من ايام المجلس التاريخية . وكم كان عدد تلك الجلسات كبيراً في العهد الاستقلالي السعيد !

وخصص يوم « وقفة » عيد الميلاد لبحث قضية الجلاء وكانت الجلسة ممتازة ، اما يوم « وقفة » رأس السنة (٣١ من كانون الاول) فتناول البحث فيه اموراً مختلفة .

متابعة درس الموازنة (العدلية) :

عندما عرضت موازنة وزارة العدل طلب النائبان فريد الخازن ومارون كنعان إرجاء البحث فيها ريثما ينظر المجلس في اقتراحهما اعادة محاكم البداية فوافقهما النواب على ذلك . ولما ابتدأ البحث أصر النائبان وفريق مـــن زملائهما على اعادة تلك المحاكم للوجود فلم توافق الحكومة على الطلب ووعدت بوضع نظام الحاكم المنفرد الذي يمارس صلاحية المحاكم البدائية . وتقدم اقتراح بانشاء المحاكم الفردية واحيل الى اللجنة لدرسه قبل عرضه على المجلس .

عريضة القضاة :

انتهز وزير العدل فرصة بحث الموازنة فأظهر ما ناله القضاء اللبناني من الضمانات في العهد الاستقلالي، فخالفه النائبان جورج عقل وكاظم الخليل قائلين : ان هذه الضمانات غير كافية . فانبرى لهما النائب حبيب ابو شهلا وزير العدل السابق[1] وأسف لصدور العريضة التي قُدّمت في ١٠ من تشرين الثاني يوم كنت في بعلبك، وقد خالف كاتبوها حقائق

(١) — هو الذي وضع مشروع قانون التنظيم القضائي، راجع: ص ١٠٤

ملموسة، خصوصاً وان بين الموقعين عليها ثلاثة من القضاة، كانوا في اللجنة التي وضعت نظام القضاء الحالي . وبعد ان فنّد الوزير السابق ما ورد في تلك العريضة تفنيداً قاطعاً ختم كلامه بقوله : « ... فاستغرب اليوم ان يسلكوا (القضاة) في سبيل تعديل رواتبهم هذه الطريقة التي لا تتفق مع مصلحتهم ولا مع الحقيقة، فهل هي الطريقة المثلى الى تعديل رواتبهم ؟ انني اشجب علناً وبكل صراحة هذه الطريقة التي سُلكت لانها هدّامة لهذا الاستقلال، وآمل من الحكومة ان يكون همها وجوابها هو اثبات لهيبة الحكم في هذا البلد . »

وأُقرّت موازنة وزارة العدل كما قدمتها الحكومة .

وصول جنود فرنسيين :

بينما المجلس يتابع درس تلك الامور وقف النائب خليل ابو جوده واعلن وصول باخرة فرنسية تقلّ جنوداً فرنسيين . ولم يكن رئيس الوزارة ولا وزير الخارجية يعلمان بالامر، فاستمهلا للاستعلام عنه وبعد فترة وجيزة قال رئيس الوزراء انه بلغ الحكومة وصول مائتين وعشرة جنود على باخرة فرنسية، وانهم لم ينزلوا الى الارض لان الامن العام اللبناني منعهم من النزول، وان الحكومة أصدرت اوامرها لمنعهم مهما كلف الامر، وان وزارة الخارجية باشرت المفاوضة مع الجانب الفرنسي بهذا الشأن .

وقد أكد الفرنسيون ان الجنود الذين وصلوا على الباخرة « ساجيتار » وحدات غير مسلحة لا تنتمي الى فرقة منظمة، وانه سيسافر على الباخرة عينها الف جندي سنغالي بجميع عُدَدهم ، وهكذا كان .

ولكننا كررنا احتجاجنا على عدم مراعاة مبدأ الاستئذان قبل وصول الجنود .

تصفية بعض امور معلقة بالمصالح المشتركة :

ابلغ اميل لحود وزير المـــال المجلس النيابي في الجلسة الاخيرة من السنة ان رئيسَي وزارتي سوريا ولبنان قد اجتمعا مع بعض الوزراء في شتورا في ٢٨ – ٢٩ من كانون الاول واتفقوا على عدة امور، منها تأليف لجنة سورية لبنانية لمراقبة مكتب القطع الذي يتولى توزيع النقد النادر (بدلاً من اللجنة الفرنسية اللبنانية السورية)، ومنها تدبير موقت لاقتطاع البضائع واستيفاء رسم مـــن التجار ريثما تطلق حرية التجارة ، ومنها تخفيض رسوم مصفاة طرابلس التي كان يستوفيها الفرنسيون، على ان يجبيها كل من حكومتي سوريا ولبنان على حدة ، واخيراً توزيع عائدات الجمارك على نسبة ٤٤ للبنان و ٥٦ لسوريا عن سني ١٩٤٤ و ٤٥ و ٤٦ ، امـــا في سنة ١٩٤٧ فاتفق الفريقان على تعيين خبير اقتصادي يقوم بالدراسات الواسعة لتعيين نسبة جديدة تكون في الارجح لمصلحة لبنان لانه يستهلك كماليات كثيرة . على ان يعرض هذا الاتفاق ، الذي يتمّ فيما بعد ، على المجلس النيابي لاقراره .

ويظهر مما تَقدّم ان السنة التي ودّعها المجلس حَفلت بالاحداث المهمة . وقد دخلت تاريخ لبنان بصفحة مشرقة .

208

١٩٤٦

مفاوضات الجلاء :

لندع المجلس يتابع اعماله في درس الموازنة ، ولنعد الى قضية الجلاء ، وهي القضية الحيوية ، فنسرد مراحلها دفعة واحدة .

وفدنا الى هيئة الامم المتحدة المنعقدة في لوندرة :

كان علينا ان نعيّن هذا الوفد بمرسوم، واتجهت نيتنا الى حميد فرنجيه وزير خارجيتنا ليرئسه، وصممت على ان يكون العضو الثاني رياض الصلح نفسه، وفاتحته بالامر فتردد اولاً، فقلت : أنتظر من وطنيتك ان تقوم بهذه التضحية لان الجلاء مرحلة حاسمة في حياتنا ، وجدير بك ان تكون رئيساً للوفد غير ان رئيسه سيكون صديقك حميد فرنجيه وزير الخارجية وأرى ان يكون معكما وزير الداخلية يوسف سالم وهو صديق اخر لك . ففكـّر رياض قليلاً وقال : سأمتثل ، وسنبذل جهدنا للوصول الى الجلاء في القريب العاجل .

وما ان تسرّبَ خبر اختياري رياض الصلح حتى اعترض عليه حزب الاستقلال، وكثرت المراجعات لديّ فأعرتها اذناً غير واعية « ورُبَّ مستمعٍ والقلب في صمم »، ووقـّعتُ على المرسوم بتعيين الوفد على ما ذكرت

وضممتُ اليهم كميل شمعون وزيرنا المفوض في لوندرة . فقابـــل الرأي الوطني الواعي اختيارنا الوفد بالارتياح .

وما ان فتحت دورة المجلس الاستثنائية في ٨ من كانون الثاني حتى تلي مرسوم بتوكيل رئيس الوزارة بوزارة الخارجية وتوكيل وزير المال بوزارة الداخلية في غياب الوزيرين المسافرين ، وتابع المجلس اعماله .

وصل الوفد الى لوندرة في ٦ من كانون الثاني وكان وزيرنا المفوض هناك قد اتصل مراراً بوزارة الخارجية البريطانية ليستجلي غوامض اتفاق ١٣ من كانون الاول . واخذتُ على عاتقي الاهتمام شخصياً بكل ما يمتّ بصلة بعيدة او قريبة الى هذه القضية الحيوية . وصارت جميع البرقيات التي ترِد على وزارة الخارجية من مفوضيتَي لبنان في لوندرة وباريس، قبل سفر الوفد وبعده، تُعرض عليّ، كما تُعرض عليّ ايضاً جميع برقيات وزارتنا الخارجية، سواءً أتضمنت استيضاحاً ام تعليمات، واعتبرتُ ان مشاغل الدولة في هذه الفترة انما هي ثنوية بالنسبة للمفاوضات المتعلقة بالجلاء في هيئة الامم وخارجها . وكانت المهمة سهلة من جهة ثقة الوزراء بي وصعبةً من جهة اخرى، سببها ان وفدنا اصطدم منذ وصوله الى لوندرة بآراء خاصة بدرت من وزيرنا المفوض هناك، ونشبت بينهما حرب باردة سعيت لان اقف فيها موقف الحكَم المحايد . ولم اتردد لحظة عن حمل المسؤولية كاملة في تلك الظروف الدقيقة، ولا سيما ان ايماني بالجلاء الواقع كان راسخاً رسوخ الصخرة .

ودثورث في لوندرة :

أوفدت الحكومة الاميركية المستر ودثورث وزيرها المفوض في لبنان الى لوندرة بوصفه ملحقاً بوفدها هناك، فسرّنا ذلك لمعرفة ودثورث باحوالنا الخاصة وموآزرته لنا في ظروف عصيبة سابقة، فلا بدعَ إنِ اتصل به وفدنا بصورة دائمة، كما اتصل به من قبل شارل مالك وزيرنا المفوض في واشنطن .

ويجدر القول ان الحكومة الاميركية لم تكن متفائلة جداً بالاتفاق الانكليزي الفرنسي الذي شبّهته اوساطها السياسية باتفاق الدولتين عام ١٩٠٤ من حيث قسمة الشرق الادنى الى منطقتَي نفوذ، أضف الى ذلك ما ورد فيه من ابهام يتعلق بانسحاب الجيوش الفرنسية من لبنان، وقد رُبط بتنظيم الدفاع عن منطقة المشرق .

استقبل وزير خارجيتنا المستر ودثورث في لوندرة وابدى له وجهة نظر الحكومة اللبنانية في ذلك الاتفاق وطلب منه ان تؤيدنا حكومته . فأجاب مستر ودثورث ان شعوره قوي بعطف اميركا على قضيتنا « دون ان يكون مفوضاً باعطاء جواب رسمي في هذا الصدد »، واضاف ان حكومته تُعدّ مذكرة رسمية لتقدمها لفرنسا وانكلترا في آن واحد، وانه سيقدّم لنا صورة عنها . ثم نصح لوفدنا بان يثابر على مفاوضة الجانبين الفرنسي والانكليزي قبل طرح القضية على الامم المتحدة عن طريق مجلس الامن[١] .

الجنرال باجيت في بيروت :

في ١٤ من كانون الثاني طلب وزير انكلترا المفوض مقابلتي ومعه الجنرال باجيت القائد العام للقوى البريطانية في الشرق فاستقبلتهما . واردت ان أتبسّط في الحديث معهما لعلّي افوز من القائد العام بتصريح رسمي يطمئن الى قرب الجلاء . وهذا ملخص الحديث :

« رئيس الجمهورية : مسألتان تثيران القلق في النفوس، الاولى : ان صك الانتداب الذي فُرض علينا كان المبرر لوجود جيش فرنسي في لبنان، وعلى الرغم من زوال الانتداب فالدعاوة الفرنسية بدأت تنشر اقوالاً تزعم فيها ان فرنسا متفقة مع بريطانيا على ابقاء قواعد لجيشها في اراضينا بعد

(١) — برقية وفدنا في ١١ من كانون الثاني

الجلاء . المسألة الثانية : الغموض الذي يكتنف نصوص اتفاق ١٣ من كانون الاول، وهي :

ا) النص المتعلق بتجمع القوى الفرنسية في لبنان بعد انسحابها من سوريا .

ب) النص الرامي الى بقاء هذه القوى عندنا ريثما يتم جهاز دفاع مشترك للمشرق . وهذا مخالف لميثاق الامم المتحدة فضلاً عن انه ينحصر بسوريا ولبنان ولا يتعدى سواهما من الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية .

ج) النص المتعلق بالمصالح والمسؤوليات المشتركة بين الدولتين فرنسا وبريطانيا ، واني لأفهم ان يكون لبريطانيا مسؤوليات في فلسطين اما كلمة « المشتركة » الواردة في النص الفرنسي فلا يمكن ان تعني سوى مسؤوليات فرنسا في لبنان، وهذا مناقض ايضاً لوضعنا الجديد ولمبدأ حكومتنا القائل بزوال الانتداب عنا مذ دخل لبنان هيئة الامم المتحدة وصار عضواً فيها .

د) ان الاتفاق البريطاني — الفرنسي يظهر كأنه يقسم الشرق الادنى مناطق نفوذ ويعيد الى الاذهان اتفاق ١٩٠٤ بعد حوادث أغادير ، ويُذكّر باتفاق سيكس — پيكو في الحرب العالمية الاولى ، وامثال تلك الاتفاقات صارت اليوم بالية ...

وصحيح اننا في مباحثاتنا السابقة قد اخذنا بعض الاطمئنان ولكن هذا لا يكفي ، وارى ان توضيح الغوامض هو في مصلحة الجميع .

القائد : هل ان لاجتماع هيئة الامم الحالي علاقة بالامور التي اثرتموها ؟

الرئيس : انها غير مسجلة في جدول الاعمال ، ولمّا يوفّقْ وفدنا باثارتها لان الوقت لم يحنْ لها .

القائد العام : لي امل بحصول الجلاء ، وافكر ان اتفاقاً بشأنه سيعقد في مستقبل قريب .

الرئيس : هل باستطاعتي ان اعطي مجلس الوزراء اطمئناناً جازماً بهذا الشأن فيرتاح الرأي العام من حالة قلق شديد .

وزير بريطانيا المفوض : نسعى جهدنا لتحقيق الجلاء ، والخطط تُعدّ من الآن في وزارة خارجيتنا بشكل يرضي اللبنانيين .

القائد العام : ان مثل هذه المفاوضات يتطلب وقتاً طويلاً ، ويُخشى إنِ استُعجِلت الامور قبل اوانها ان تكون ردّة الفعل غير ملائمة . ان مشاكل العالم كثيرة ومعقّدة فالافضل ان يسار على مهل لتحاشي الاخطاء التي وقعت بعد حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ . » اه

اتضح لي من هذه المحادثة ان الجلاء واقع حتماً ، وان في اقوال القائد العام البريطاني ووزير بريطانيا المفوض بعض التهرب ، فطمأنتُ مجلس الوزراء دون ان استرسل في التفاؤل وقد قيل : ان سوء الظن من حسن الفِطَن .

نشاط وفدنا في لوندرة :

بدأ وفدنا عمله في لوندرة بالاتصال بالوفود العربية واتفق معها على انتخاب ممثلين عنها للمقاعد الشاغرة في المنظمة الدولية ، والتفاهم مع وفود دول اميركا اللاتينية لهذا الغرض ولسواه من مباحثات ، وبذل وزيرنا المفوض في لندن ومستشار المفوضية جهوداً مشكورة لتأمين فوز لبنان في عضوية اللجنة الاقتصادية ، وتكللت مساعيهما بالنجاح على رغم من ان وفد الولايات المتحدة الاميركية وزّع يوم الانتخاب على جميع الوفود لائحة بأسماء الذين يرشّحهم الى مقاعد تلك اللجنة ولم يكن اسم مرشح لبنان فيها ، فقد انتخب لبنان باربعة واربعين صوتاً ضد فرنسا وكولومبيا

اللتين نالت كل منهما ٤٣ صوتاً ، ففاز لبنان بمقعد في اللجنة التي تحتل المقام الثاني من لجان هيئة الامم [١] .

تقديم الشكوى الى مجلس الامن :

اتصل وفدنا مراراً بوفدَي فرنسا وبريطانيا لعله يحدّد موعداً للجلاء التام فلم يوفق ، على الرغم من المذكرة الاحتجاجية التي بعثت بها الحكومة اللبنانية في ٩ من كانون الثاني الى الدول الكبرى والدول العربية كافة ، وقد أُرسلت صورة عنها الى وفدنا في لوندرة وبقيت القضية معلقة . وكان وفدنا يتصل بنا كما كان وفد سوريا يتصل بحكومته ، ولم نشأ ان ندخل مع فرنسا وانكلترا في مفاوضات قد تسفر عن لا شيء ، فتشاورت حكومتا دمشق وبيروت وابرقتا الى وفديهما بتقديم الشكوى الى مجلس الامن . وقد تقدمت الشكوى فعلاً بعد ظهر ٤ من شباط الى المسيو تريغفلي الامين العام لمنظمة الامم المتحدة ، وورد فيها ، بعد المقدمة :

« ... فان الوفدين اللبناني والسوري ، بناء على امر حكومتيهما يطلبان من مجلس الامن ان يتخذ قراراً يوصي فيه بجلاء جميع الجيوش الاجنبية عن الاراضي اللبنانية والسورية جلاء تاماً وفي وقت واحد الخ ... »

قرار مجلس الامن :

ان مباحثات مجلس الامن معروفة ومشهورة وقد اذاعتها محطات الاذاعة في حينه ، واستمع اليها كثيرون من اللبنانيين وتابعوا بلهفة تلك المساجلات التي اظهر فيها وزير خارجيتنا كل حنكة ودراية . وكان

(١) — تقرير وزير خارجيتنا في ١٥ من كانون الثاني

الوفد الفرنسي قد اتصل بوفدنا قبل افتتاح الجلسة على امل ان يتفق الشاكيان (سوريا ولبنان) والمشتكى عليهما (فرنسا وانكلترا) على نص الخطب المتبادلة كي لا يقع تجريح فيها، فجرى اختلاف على بعض العبارات ولم يتمكنوا من الاتفاق على نص نهائي فأخذ كل حريته في الكلام .

واستاء المستر بيفن رئيس وفد انكلترا من قول فارس الخوري رئيس وفد سوريا « ان وجود الجنود الاجنبية يعتبر خطراً على الاستقلال وتهديداً للسلام العالمي » . فسأل الوزير الانكليزي عما اذا كان فارس بك يعني الجيش الانكليزي ، فحار فارس بك في الجواب لان موقف ذلك الجيش في حوادث دمشق الاخيرة كان موقفاً كريماً ، فتدخَّلَ حميد فرنجيه وخفّف من حدّةِ المفاجأة التي لم يكن احد لينتظرها .

والذي اثلج صدر كل سوري ولبناني ما اجمعت عليه مباحثات مجلس الامن في تحديد نقاط مهمة تؤيد الاعتراف مجدداً باستقلال البلدين وسيادتها، وبوجوب جلاء جميع الجيوش الاجنبية عنهما، ولم يظهر الخلاف إلاّ على طريقة التنفيذ .

وأخيراً ، وفي جلسة ١٧ من شباط، اقترح مندوب الولايات المتحدة الاميركية على المجلس النص التالي :

« ان مجلس الامن يأخذ علماً بالبيانات التي أدلت بها الدول الاربع ، وهو يعرب عن ثقته بسحب القوات في المهلة العملية الاكثر امكاناً . ويجب ان يشرع لهذه الغاية بمفاوضات بين تلك الدول دون ابطاء . وهو يطلب اليها ان تحيطه علماً بنتائج تلك المفاوضات » .

وطلب الوفدان السوري واللبناني تعديل هذا النص تعديلاً جوهرياً وذلك بان تنحصر المفاوضات في الجلاء فقط، مستقلاً عن غيره من الشؤون، وان تكون المفاوضات في النواحي الفنية من الجلاء ، وان يحدّد موعده بصورة قاطعة ، فلم يوفّقا في اقرار مطالبهما .

وحاز الاقتراح الاميركي اكثرية سبعة اصوات، غير ان روسيا استعملت حق النقض ، او « الفيتو » ، قائلة بأن النص الاميركي لا يفي بالمقصود بصورة صريحة ، ففقد قرار المجلس كل فاعلية كأن الاقتراح لم يكن ، وعُدنا الى ما كنا عليه .

وكانت العناية ساهرة العين على مصلحة البلدين ، فما ان ظهرت نتيجة الاقتراع حتى اعلن ممثلا انكلترا وفرنسا انهما على رغم مما آلت اليه النتيجة من رد الاقتراح فانهما يعتبران نفسيهما مقيدين بتصريحاتهما السابقة بقبول الجلاء ، كما انهما مستعدان للمفاوضة بشأنه .

وزاد المسيو بيدو وزير خارجية فرنسا على ذلك : ان دولته لا تعلق قضية الجلاء على تأمين السلامة الجماعية على الشرق الادنى . ولكنه ما لبث ان عاد فنفى ما كان قد ادلى به !

هنا الحيرة :

هل خرجنا من مجلس الامن كما دخلناه ؟ هل خرجنا منه اضعف مما دخلناه ؟ هل المفاوضة تُجدي نفعاً ؟ هل يعود وفدنا الى بيروت ويدعو الدول الثلاث لعقد مؤتمر الجلاء فيها ؟ هل يذهب الى باريس تلبيةً لدعوة حكومتها ؟ هل تقبل سوريا الاجتماع في باريس ؟ هل يذهب الانكليز الى عاصمة الفرنسيين ؟ هل يذهب الفرنسيون الى لوندرة ؟ هل نجدد الشكوى امام مجلس الامن بعد ما اصاب الشكوى الاولى ما اصابها ؟

جميع هذه النقط الاستفهامية ارتسمت فجأة امامنا وامام المجلس النيابي (جلسة ١٩ شباط) وامام وفدنا في هيئة الامم . وزاد في الارتباك ان وزيرنا المفوض في لندن كان على خلاف خطير مع اعضاء الوفد على مسائل اساسية ، وانحاز اليه صديقنا الجنرال سبيرس الذي كان يُبدي اهتماماً مشكوراً بشؤون سوريا ولبنان اثناء المفاوضات، وبلغت نقمته حدّاً غير معقول فكتب اليّ كتاباً خاصاً فيه الانتقاد اللاذع على

كل عضو من اعضاء وفد بيروت ، ويا ليته خصّني وحدي بوجهة نظره لتظل مكتومةً عن جميع الناس ، إلاّ انه كتب سامحه الله في الموضوع عينه الى احد نواب بيروت فانتشر رأي الجنرال سبيرس في البلاد وأحدث شكوكاً لا مبرّر لها لدى الكثيرين ، فعكّرت الجو وكنا بغنى عنها .

ومال وفدنا الى مفاوضة الفرنسيين في باريس ، ذلك ان الانكليز اعلنوا استعدادهم لاجلاء جيوشهم عن اراضي سوريا ولبنان بصورة قاطعة، وظلت العقدة مع الفرنسيين دون سواهم . فارسل لنا وزيرنا المفوض في لندن برقيات عديدة طالباً من الحكومة دعوة الوفد الى لبنان باقرب ما يمكن، ودعوة المؤتمر الرباعي ليعقد في بيروت او لوندرة ، معتبراً ان هذه الطريقة هي الوحيدة التي حتّمتها مناقشات مجلس الامن والتي تفيد موقفاً حاسماً من قِبلنا بعد المناقضات التي وقعت .

ومن الضروري ، وقد وصلنا الى هذه المرحلة الحاسمة من قضية الجلاء ، ان نتبع سير الامور حسب تواريخ البرقيات المتبادلة في تلك الساعات المحرجة من التاريخ اللبناني .

برقية من رئيس وفدنا :

« رُدَّ الاقتراح الاميركي بعد ان اعلن بيدو وبيفن نيتهما بالجلاء وبحصر المفاوضات بالجلاء فقط . كان المندوب الروسي يرغب باقتراح اصرح فاعتراضه موجّه ضد فرنسا وانكلترا وليس ضدنا . على اثر الاقتراح الاميركي أعلن بيفن وبيدو انهما يعتبران الاقتراع كأنه ايجابي ، ويؤكدان تصاريحهما في مجلس الامن بقبول الجلاء . البريطانيون يعتبرون ان المسألة مفروغ منها لانهم والفرنسيين متقيدون بالاقتراع . رأيي ان نبدأ المفاوضات حالاً على الجلاء فقط . اذا دعينا اليها نعلمكم حالاً والا غادرنا لندن حالاً ، اما انا فسأعرج على رومه (١)
فرنجيه »

(١) – برقية ١٩ من شباط وصلت في اليوم نفسه .

برقية وزيرنا المفوض :

« لما كان اجتماع مجلس الامن قد أُرجيء لواحد وثلاثين اذار يجب ان تبدأ المفاوضات حالاً محصورة بالجلاء وطرقه العملية . يجب ان تكون المفاوضات في لندن او بيروت دون سواهما . يظهر لي ان الحالة حسنة ما لم يطرأ ما ليس بالحسبان (١) .
شمعون »

رسالة من الجنرال بينه :

كتب الي الجنرال بينه (٢) ما نصه :

« وصلني الساعة مخابرة من باريس ألخّصها لفخامتكم : ان المستر بيفن والمسيو بيدو بعد ان بحثا الحالة الناتجة عن اقتراع مجلس الامن، متفقان على ان يباشرا مع دولتَي المشرق مفاوضةً تتعلق بمشكلة الجلاء . وكان من المسلّم به ايضاً ان تجري هذه المفاوضة في باريس وان الوزير فرنجية يُدلي بالوضع الخاص الذي يوجد فيه المندوبون السوريون ليطلب اجراء هذه المفاوضة في لوندرة ، ولما تشبث المسيو بيدو بوجهة نظره اجابه حميد بك انه ينتظر تعليمات حكومته . وقد كلفني المسيو بيدو ان ألحّ على فخامتكم بقبول دعوته مبيناً انه اعطى في لوندرة الادلة الكافية على حسن نية الحكومة الفرنسية ، مما يجعل هذه المجاملة نحوها مقبولة لديكم ويكون من نتائجها الاسراع في حل القضايا الجاري البحث فيها الخ .. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والاخلاص .
بينه »

ابلغْنا وفدَنا في لوندرة رسالة الجنرال بينه ، وقلنا له اننا سنخابر دمشق بهذا الخصوص . وقد خابرناها حالاً فأجابت برفض المفاوضة في باريس وقبلت بها في لوندرة او بيروت . وزادت انها لا تمانع بمرور

(١) – برقية ١٩ من شباط وصلت في اليوم نفسه

(٢) – في ٢٠ من شباط

الوفدين السوري واللبناني بباريس لاتصال بسيط لا لمفاوضة .

فأبلغنا هذا الجواب السوري الى وفدنا (١)

برقية وزير خارجيتنا :

تلقينا برقية من حميد فرنجيه فحواهـا : « اجتمعنا نحن وزملاؤنا السوريون بالمستر بيفن الذي صرح لنا انه اعطى الاوامر اللازمة على امل مباشرة المخابرات الفنية مع الفرنسيين بقضية الجلاء . ان الخطط التي وضعها الخبراء في بيروت سوف تعدّل للاسراع بالجلاء، بعد اتفاق الخبيرين ستعرض النتائج على لبنان وسوريا فاذا وافقا ابتدأت عمليات الجلاء حالاً . زاد المستر بيفن انه ينوي الخلاص العاجل ويعتقد ان الفرنسيين يرغبون بانهاء القضية بصورة حسنة . اقترحنا على المستر بيفن عقد مؤتمر في بيروت فرفض الفكرة خشية تجدد المشاكل بين الانكليز والفرنسيين . قابَلنا استروروغ مقترحاً عقد المؤتمر في باريس فاشرنا بابتداء المحادثات في لوندرة بسبب وجود السوريين والانكليز فيها ووعدته ان استشيركم في الموضوع . بعد وصول برقيتكم (اقتراح بينه) قابلنا اوستروروغ وماسيغلي وابلغناهما تعليماتكم بحصر المفاوضة في الاتفاقات العسكرية فظهر لنا انهما قابلان بهذا الاساس . يسافر اوستروروغ غداً الى باريس ويخابرنا هاتفياً يوم الجمعة (٢٢ شباط) لتثبيت الامر ، يظهر ان الفرنسيين يعلقون اهمية كبرى على زيارتنا لباريس ننتظر تعليماتكم في الحالتين (٢)

فرنجيه »

برقية وزيرنا المفوض :

« جواباً على برقيتكم ١٠ شباط : ان عرض الجنرال بينه شفاهي، وهو يناقض الاقتراح البريطاني بابتداء المخابرات الفنية بين الانكليز والفرنسيين في باريس التي يتبعها عقد مؤتمر في مكان يحدد فيما بعد . ورأيي ان

(١) و (٢) — برقية ٢١ من شباط

يُبنى العمل على الشكل القانوني الوحيد بتقديم مذكرة مشتركة من سوريا ولبنان لحكومتي لوندرة وباريس بطلب فتح مفاوضات بين الدول الاربع في بيروت على جلاء الجيوش وفقاً لاقتراح مجلس الامن الذي قبلته الحكومتان . كل شكل خلاف هذا يترك الامر معلّقاً لاجل لا يعرف مداه (١)

شمعون »

المرحلة الاخيرة قبل الذهاب الى باريس :

اسجل حرفياً في هذه المذكرات المفكرة التي وضعتها في ساعة متأخرة من ليل ٢٢/٢٣ شباط ، وهي :

« ورد على رئيس الجمهورية يوم الخميس الواقع في ٢١ من شباط سنة ١٩٤٦ نبأ هاتفي من لوندرة بواسطة مفوضية لبنان في مصر مآله :

« ان المفاوضات صعبة والحكومة الفرنسية تلح على اجرائها في باريس . وقد اتصل حميد بك فرنجيه بالمسيو استروروغ في لوندرة واعلمه ان الحكومتين لا تقبلان المفاوضات إلاّ على الجلاء فقط . وقد غادر المسيو استروروغ لوندرة الى باريس ليتصل بحكومته ويرد الجواب لحميد بك على هذه النقطة . ويرى حميد بك انه اذا قبلت الحكومة الفرنسية المفاوضات للجلاء فقط فلا مانع من ان يمثل الوفد اللبناني سوريا في هذه المفاوضات كما جرى في بيروت بمسألة المصالح المشتركة ، ولا يرى مانعاً عند ذلك من ان تجري المفاوضة في باريس ، انما يلزم لذلك موافقة الحكومة السورية . وهو ينتظر الجواب تلفونياً من القاهرة غداً الساعة العاشرة صباحاً .

سامي الخوري »

« وقد ابلغ الرئيس رئيسَ الوزارة والوزراء ومديرَ الخارجية هذا النبأ

« وجرى اتصال هاتفي بالحكومة السورية فقالت انها لا تقبل بمبدأ

(١) — برقية ٢١ من شباط

المفاوضة في باريس ، وعليه لا يُبحث بتوكيل الوفد اللبناني . فأجاب الرئيس وفدنا بذلك بالطريقة الهاتفية عينها يوم الجمعة في ٢٢ من شباط صباحاً .

« وعند الساعة الواحدة ورد على رئيس الجمهورية النبأ الهاتفي التالي :

« وفدنا يرتئي الذهاب الى باريس بالاجماع

اولاً : لان جواب استروروغ وماسيغلي كان بان المباحثات تدور على الجلاء فقط وتكون عسكرية بحتة .

ثانياً : الوفد السوري موافق على هذا الرأي ، وقد ابرق الى حكومته بهذا المعنى .

ثالثاً : موقف سوريا يختلف عن موقف لبنان لان الاجانب جلوا عن سوريا ولم يجلوا عن لبنان

رابعاً : لانه اذا لم نقبل الدعوة للمفاوضة يكون الموقف اللبناني فيما بعد ضعيفاً جداً لعدم قبول المفاوضة

والوفد يرفع كل مسؤولية عن نفسه فيما لو لم تقبل الحكومة اللبنانية في المفاوضة » اه .

« وفي الوقت ذاته ورد نبأ هاتفي آخر من وزيرنا المفوض في لوندرة مآله :

« يستحسن ان يسافر الوفد حالاً ، وبعد وصوله الى بيروت تُرسل دعوة من الحكومة اللبنانية الى فرنسا وبريطانيا وسوريا لاجراء المفاوضات بين الدول الاربع كما اوصى به مجلس الامن ، وان ماسيغلي اكد لوزيرنا في لندن ان المفاوضات ستكون عسكرية وانهم ينتظرون وفدنا في باريس . ويرى وزيرنا المفوض في لندن ان لا مانع من ذهاب الوفد الى باريس لياقةً ، لا للمفاوضة الرسمية التي اوصى بها مجلس الامن » .

« وعلى اثر وصول هذين النبأين طلب رئيس الجمهورية مجلس الوزراء للاجتماع حالاً في القصر الجمهوري واطلعه عليهما وبعد المذاكرة اتخذ مجلس الوزراء القرار التالي :

« مجلس الوزراء يفوض الوفد اللبناني بالذهاب الى باريس للمفاوضة في نقطة الجلاء فقط »

« وقد ابلغ الرئيس هذا القرار الى وفدنا في لوندرة الساعة الثالثة بعد الظهر بواسطة مفوضيتنا في القاهرة .

« وفي الساعة السادسة ابلغ مدير غرفة رئاسة الجمهورية العام قرار المجلس المشار اليه الى الجنرال بينه مندوب فرنسا .

« كما انه ورد على رئيس الجمهورية نبأ هاتفي من الحكومة السورية يخبره بموافقة الحكومة السورية على وجهة نظر الوفد اللبناني .

« وفي صباح يوم السبت الواقع في ٢٣ من شباط اذاعت الحكومة اللبنانية بياناً بهذا المعنى منعاً لكل تأويل . »

نتيجة ذهاب الوفد الى باريس — المذكرة الانكليزية في ٢٣ من شباط :

في ٢٣ من شباط بلّغنا وزير بريطانيا المفوض مذكرة من حكومته فحواها : « ان الحكومة البريطانية كانت قد تعهدت في ١٥ من كانون الاول ١٩٤٥ بعدم اخلاء الاراضي السورية واللبنانية من جيوشها قبل ان تخليها الجيوش الفرنسية ، ولما كانت الحكومتان السورية واللبنانية قد قدّمتا الشكوى لمجلس الامن ضد بريطانيا وفرنسا وطلبتا جلاء القوات الاجنبية باعتبار وجودها ماساً بسيادة بلاديهما ، فان حكومة صاحب الجلالة تعتبر نفسها في حل من التعهد الآنف الذكر . »

وقد تبلغت الحكومة السورية مثل هذه المذكرة في الوقت عينه

فاتصلنا بها نستطلعها رأيها فقررت إيفاد سعد الله الجابري رئيس وزارتها لمباحثتنا بالموضوع .

وابلغنا وفدنا في باريس نص المذكرة البريطانية واعلمناه بالمشاورة مع سعد الله بك بخصوصها .

وفي ١ من اذار جاءنا سعد الله الجابري الى بيروت فاستقبلته بحضور رئيس الوزارة وزير الخارجية بالوكالة ومدير الخارجية، وقرر المجتمعون اعداد جواب مشترك على المذكرة الانكليزية .

وابرقنا هذا القرار الى وفدنا في باريس ، فلم يوافق على مبـدأ الرد لاسباب عديدة جوهرية بيّنها في برقية مستعجلة هذا ملخصها :

« ان الحكومة الانكليزية لن ترجع عن قرارها . وان ردنا يعتبر مناقضاً لموقفنا في مجلس الامن . وان مثل هذا الرد من شأنه ان يعكر المفاوضة الجارية في باريس والتي تتجه اتجاهاً حسناً . »[١]

وقد وافق ممثلو الحكومتين على نظرية وفدنا . وبناء على طلبهم دعوت في ٦ من اذار المستر شون الوزير المفوض البريطاني مع معاونه الكولونيل فرلونغ وابلغتهما اننا ارجأنا الجواب على مذكرة الحكومة البريطانية (تاريخ ٢٣ شباط) ثم باحثتهما بشؤون الجلاء، فصرّحا لي بانهما متفائلان جداً من محادثات باريس .

وفي اليوم الثاني (٧ اذار) تلقينا برقية من رئيس وفدنا من باريس بان مهل الجلاء ستُختصر فيما اذا امكن الحكومة اللبنانية ان تؤكد للجانب الفرنسي اعطاء المساعدات اللازمة بهذا الشأن . فأجبناه على الفور بانه يمكنه ان يعطي المسيو بيدو هذه التأكيدات باسم حكومة لبنان .

(١) — برقية فرنجية في ٤ من اذار . وصلت في ٥

اما المهل المطلوبة فكانت اولاً على الشكل الآتي :

تغادر الجيوش البريطانية اراضي لبنان وسوريا في آخر حزيران سنة ١٩٤٦ .

تطلب الحكومة الفرنسية مهلة ثلاثة عشر شهراً لجلاء قواتها عن سوريا ولبنان فيكون تاريخ هذا الجلاء اول نيسان سنة ١٩٤٧ ما لم تعط التسهيلات اللازمة .[١]

تدخل العسكريين وتأخير المفاوضات :

ما ان اعطيت التأكيدات من الحكومة اللبنانية بتسهيل عمليات الجلاء وقبل المسيو بيدو مبدئياً بتقديم تاريخـه حتى وقفت الجهة العسكرية الفرنسية موقفاً معاكساً تزّعمه الجنرال دي لارمينا القائد الفرنسي السابق في الشرق ، والغريب انه استمال اليه المسيو استروروغ السكرتير العـام للمندوب السامي ، ودفعه تصلّبه الى الحضور الى بيروت على متن طائرة عسكرية أقلّت في اليوم عينه الجنرال بينه الى باريس لينضمّ بدوره الى فئة المعارضين الذين يعاكسون تقديم تاريخ الجلاء !

شعر وفدنا بهذا التصلب واصطدم بعقبات غير منتظرة فأظهر نيته بوقف المفاوضة وبالعودة الى بيروت على الفور . وفيما هو ينتظر جوابنا على ذلك اخذ افراده يعلمون رجال الاقتصاد والمال في فرنسا بالعراقيل التي وضعتها الجهات العسكرية في تقديم مهل الجلاء ، فاتصل يوسف سالم بالمسيو رينه بيسون المدير العام لبنك سوريا ولبنان وبلّغه تصميم الوفد على الانسحاب ، فتحمس الرجل جداً لتأييد رأينا غير انه لم يجد أذناً مصغية لدى مواطنيه من اصحاب المصالح لخوفهم من السلطة العسكرية، فاتجه شطر رئاسة الجمهورية بواسطة احد اصدقائه الخُلّص وهو موظف

(١) — تبليغ شفوي من الجنرال بينه في ٦ من اذار

كبير لديها، فأتتنا المساعدة من هذا المقام الاول . وكذلك اتصل وفدنا بالاستاذ اميل خوري في سويسرة ودعاه الى باريس ، وهو تربطه صداقة متينة بالمسيو شوڤيل الامين العام لوزارة الخارجية الفرنسية، فلبّى اميل خوري الدعوة حالاً، وأطلعه رياض الصلح على المصاعب التي تحول دون المفاوضات من جرّاء تشدّد العسكريين، فتدخّل اميل خوري بتقريب وجهات النظر ودعا شوڤيل ورياض الصلح الى الغداء معاً فتصارح الرجلان، واقتنع الامين العام لوزارة الخارجية الفرنسية بان السياسة العليا لبلاده Raison d'Etat توجب ان يقبل العسكريون بالجلاء العاجل . وكان لتدخّل اميل خوري الاثر الطيب في هذا الشأن .

واستمرّت اخبار الوفد تصل الينا يومياً ، واقتضي التشاور مع دمشق فعقد اركان الحكومتين اجتماعاً في شتورة ُتليت فيه اول ما ُتلي برقية حميد فرنجيه في ٩ من اذار وهذا نصها :

« أبلغني ممثلون عن الكي دورسي[1] والجنرال دي لارمينا المذكرة المرسلة الى بيروت . شرح لارمينا الخطة محاولاً تبرير موعد اول نيسان ١٩٤٧، اقترح اول كانون الثاني اذا اعطى لبنان قوات ٍللحراسة وتسهيلات للعمليات دون ان يحدد نوع التسهيلات . القوات المفروض انها محاربة ستجلو قبل اول ايلول سنة ١٩٤٦ ويبقى نحو من ٢٠٠٠ جندي خصوصاً في طرابلس لاستخدامهم في الاعمال الادارية . سيبقى اركان الحرب الى النهاية . اقترح لارمينا تقديم جهاز وَحدة مصفحة صغيرة مجاناً . وسأل ما اذا كانت الحكومة ترغب في الاحتفاظ ببعض العسكريين بثوبهم او بالثوب المدني لتدريب جنودنا . طلبتُ من لارمينا مذكرة خطية . بعد انصراف هذا الاخير اوضحتُ مع ممثلي الكي دورسي النقاط التالية :

« اولاً — كان من الواجب ان يبدأ العمل بين الحكومتين لتحديد المهلة (للجلاء)، ثم يصار بعدئذ الى التقدم من العسكريين لاتخاذ التدابير لتنفيذ الجلاء ضمن هذه المهلة .

(١) — مقر وزارة الخارجية الفرنسية، وصارت الكلمة تطلق تسمية للوزارة عينها

« ثانياً — بالنظر لبعد الموعد لا يستطيع لبنان ان يعتقد بحسن النية ، ويرى نفسه مضطراً لان لا يفاوض ولا يتدخل في عمليات الجلاء . لذلك اذا كان الفرنسيون يرغبون بتسوية بعض المسائل فلا ينتظر الوصول الى التفاهم .

« ثالثاً — وعدتُ باطلاع الحكومة قائلاً انني اشك في قبولها المضي بالمفاوضات الى ابعد من ذلك .

شعورنا هو ان الموعد يمكن تقريبه . وهو شعور يستند الى عوامل متعددة . وبناء على محادثة مع المسيو ڤانسان اوريول (رئيس الجمهورية الفرنسية) هذا الصباح اتوقّع مقابلة فليكس غوان (رئيس الوزارة) في الاسبوع المقبل، مفضلاً البحث معه على ان ابحث مع العسكريين او الكي دورسي . احذركم من كل محاولة تقوم بها المندوبية الفرنسية في بيروت . اوصيكم بالحزم . حميد فرنجيه »

واتفق المجتمعون في شتورة على ان يرسل رئيس وزارتنا هذه البرقية الى حميد :

« جواب برقيتكم ٩ الجاري المتضمنة قرار الخبيرين الفرنسيين والبريطانيين: نفيدكم ان المهلة غير معقولة، وهي لا تلزمنا ولا نستطيع قبولها . واصلوا المفاوضات في سبيل الجلاء المشترك معاً لان الجيوش والاعتدة البريطانية اكثر من الجيوش والاعتدة الفرنسية . الجيش اللبناني يقدّم المعونة والتسهيلات اللازمة لتجمُّع القوات ولحراستها او لنقل العتاد . ليس من صعوبة فيما يختص بالجنود الوطنيين المتطوعين لخدمة في الخارج، فالحكومة السورية مستعدة لان تسهل عودتهم الى بيوتهم فيما اذا لم يختاروا الجلاء . في حالة عدم الاتفاق انتم مأذونون بالسفر الى اميركا بمهمة متابعة المساعي لدى مجلس الامن . ستعطي الحكومة السورية التعليمات نفسها لوفدها . اما الاخبار التي اذاعها راديو الشرق عن اتفاق الخبيرين فصادرة عن الجانب الفرنسي وحده فلا ُتعيروها اهتماماً .[1] الخارجية »

(١) — برقية ١٠ من اذار

وفي انتهاء اجتماع شتورة اصدرنا بلاغاً مشتركاً باتفاق وجهات النظر بين الحكومتين السورية واللبنانية .

وفي ١٣ من اذار ابلغتنا المفوضية البريطانية ببيروت خطة جلاء الجيوش الانكليزية ، وفحواها ان الجيوش المذكورة ستغادر الاراضي اللبنانية نهائياً في ٣٠ من حزيران ١٩٤٦ وان الحكومة اللبنانية تستطيع بعد الاطلاع على تلك الخطة ان تدعو الى عقد مؤتمر رباعي ، والحكومة البريطانية مستعدة لحضوره .

فعقدنا مجلس الوزراء في اليوم عينه ودعونا اليه صائب سلام رئيس لجنة الشؤون الخارجية وحبيب ابو شهلا مقرر اللجنة وهنري فرعون بوصفه وزير خارجية سابقاً واطلعنا الجميع على التبليغ الانكليزي، وبعد التداول قررنا ان نرسل الى وفدنا في باريس برقية تتضمن :

« اولاً — متابعة المفاوضة في باريس وانهاؤها سلباً او ايجاباً في مهلة ثلاثة ايام .

ثانياً — في حالة السلب العودة الى بيروت حالاً لعقد المؤتمر الرباعي .

ثالثاً — في حالة فشل هذا المؤتمر (في بيروت) تجديد الشكوى الى مجلس الامن والسفر الى اميركا لمتابعتها هناك [١] » .

استئناف المفاوضة في باريس وانهاؤها بصورة ملائمة :

هذا الموقف من قِبل وفدنا ، وموقف الحكومتين السورية واللبنانية ، وموقف مجلس الوزراء اللبناني، وما ذكرناه عن تلطيف الجو بواسطة بيسون واميل خوري، ذلك كله أثّر التأثير الحسن فاستؤنفت المفاوضات استئنافاً اقرب الى المنطق من ذي قبل . وتلقينا برقية بذلك من رئيس وفدنا . ولم يطل الانتظار وصارت الغيوم تنقشع الواحدة بعد الاخرى . وفي

(١) — برقية ١٣ من اذار

العشرين من اذار تلقينا البرقية الاخيرة من رئيس الوفد وفيها تفصيل جميع شروط الجلاء مع التسهيلات المطلوبة منا . وقد ختم حميد فرنجيه برقيته بما يأتي :

«... يعتقد الوفد ان الفرنسيين اظهروا روح تساهل في المفاوضات، وان الاقتراحات المسجلة اعلاه بلغت الحد النهائي . كان بامكاننا ان نقبل بهذه الشروط وفقاً لتفويضكم السابق (تاريخ ١١ اذار) غير اننا فضّلنا أخذ رأيكم في تحسين الشروط عن السابق . ننصح بالقبول فوراً . وبالحقيقة ومع التسهيلات اللازمة يحصل جلاء القوى الفرنسية المحاربة قبل ٣٠ من حزيران ١٩٤٦، اي تاريخ الجلاء الانكليزي، ويحصل جلاء القوات الاخرى في ١ من كانون الثاني ١٩٤٧ ، المرجو عدم نشر شيء مما تقدم حتى يرد عليكم إشعار آخر منا فتتم اذاعة الاتفاق في وقت واحد بباريس وبيروت حسبما وعدنا وزارة الخارجية . ننتظر الجواب سريعاً [١] .

فرنجيه »

وعلى الفور اجتمع مجلس الوزراء وفوّض الوفدَ عقد الاتفاق المشار اليه فوقّع عليه في ٢٣ من اذار في الساعة الواحدة بعد الظهر في قاعة وزارة الخارجية الفرنسية .

وفي الخامس والعشرين من اذار (يوم عيد البشارة) وَزّعت وزارة الخارجية اللبنانية نص الكتابين المتبادلين بين بيدو وفرنجيه[٢] والقاضيين بالجلاء نهائياً في آخر سنة ١٩٤٦ .

هذا هو موجز مفاوضات الجلاء . وكان الجلاء التام نعمةً من اكبر نعم الله على العهد الاستقلالي ، غنية عن كل تعليق .

على الهامش :

في ٢٣ من أذار ، اي يوم التوقيع على اتفاق الجلاء ، وردت على

(١) — برقية ٢٠ من اذار . (٢) — تبودل الكتابان يوم التوقيع على الاتفاق

رئيس الوزارة وزير الخارجية بالوكالة برقيتان، الاولى من وزيرَي الخارجية والداخلية عضوَي الوفد في باريس، والثانية من وزيرنا المفوض في لوندرة .

وُظنَّ لاول وهلة انهما تحملان الى الحكومة تهنئة بالنتائج الباهرة التي وصلت اليها البلاد بعد عناء طويل، وبفوزها بامنيتها الغالية . ولكن نصّهما خيّب الآمال .

فبرقية كميل شمعون تَضمّنت عتباً على الحكومة لانها لم تجب بالايجاب على مقترحاته بخصوص عدم المفاوضة في باريس بعد قرار مجلس الامن السلبي .

وبرقية حميد فرنجيه ويوسف سالم تضمّنت تقديم استقالتهما من الوزارة اعتباراً من يوم وصولهما الى بيروت ، وذلك على الرغم من نجاح فكرة المفاوضات في باريس، مدّعيَين ان الحكومة لم تسندهما السند المعنوي الذي كانا ينتظرانه منها ، وقد عتبا عليها في حين ان الحكومة ايّدتهما ضد رأي كميل شمعون بموضوع المفاوضة في باريس !

وذكـّرني ذلك بقول المتنبي في الدهر :

ربما تُحسِنُ الصنيعَ لياليهِ ولكنْ تُكدِّرُ الإحسانا

ولما كنا في مفاوضة مع الكرسي الرسولي بغية اعترافه باستقلال لبنان والتبادل الدبلوماسي معه، فقد سافر حميد فرنجيه الى رومة . وعاد رياض الصلح ويوسف سالم الى بيروت ليلقيا النصيب الوافر من التهنئة والتقدير بانتظار رجوع حميد .

عود على بدء — الدورة الاستثنائية :

أتينا على بسط مراحل الجلاء دفعة واحدة ترسيخاً لها في الذهن ،

وتخفيفاً من قطع الحديث ، ونعود الآن الى ما كنا فيه لنعرض الحوادث الداخلية في تلك الفترة :

فتحت الدورة النيابية الاستثنائية في ٨ من كانون الثاني ١٩٤٦ وجدول الاعمال حافل بالمشاريع، ومعها اكمال درس الموازنة واقرارها .

وبدأت الابحاث عادية فتناولت نقطة الجلاء غير مرة . خصوصاً عندما القى رئيس الوزارة بياناً عن مساعي الحكومة وعن احتجاجها على نزول مائتي جندي سنغالي في مرفأ بيروت في ٣١ من كانون الاول المنصرم، وعن النتائج التي وصلت اليها الحكومة لدى القيادتين البريطانية والفرنسية كي لا يتكرر الحادث . والواقع انه لم يتكرر .

وبحث المجلس عدة قوانين، منها قانون العقوبات العسكري ، وقانون قطع حساب سنة ١٩٤٤، وقانون حماية الملكية التجارية ، وقانون الجنسية اللبنانية الخ ... فأقرها .

وأثيرت المسائل التي تتعلق بالتموين والاستيراد . وتابع النواب درس الموازنة فانتهوا منها قبل نهاية المدة التكميلية ، اي قبل ٣١ من كانون الثاني، فهنأهم رئيس الوزارة على هذه النتيجة الحسنة . واقر المجلس القسم الثاني من المشروع الانشائي (تسعة عشر مليون ليرة تقريباً) .

ثم بحث النواب قضية الجلاء من جديد حين تقديم الشكوى الى مجلس الامن وحين رُدَّ الاقتراح الاميركي بسبب النقض (الفيتو) الروسي، وهم (النواب) بين متشائم ومتفائل . واثيرت مسألة فلسطين على اثر اباحة الهجرة الصهيونية اليها وأضربت العاصمة احتجاجاً على ذلك التساهل الدولي .

الحفريات في القاسمية :

كانت الحكومة قد استعانت بآلات الجيش البريطاني لاتمام الحفر في مشروع ري القاسمية، ولم تكن هذه المعاونة مجانية . وبعد ان « رصد »

حساب النفقات وبلغ ما يقارب ثمانماية الف ليرة لبنانية طلبت الحكومة اعتماداً اضافياً لتسديده وأقرّه المجلس . ورويُّ القاسمية أحيا الاراضي الموات الشاسعة، وزاد الدخل الوطني حتى بلغ بضعة ملايين من الليرات في كل عام، ناهيك بارتفاع اسعار الاراضي ارتفاعاً لم يكن بالحسبان، واستخدام الوف من العمال أمّنوا اسباب العيش لهم ولعيالهم .

سكة حديد الناقوره — بيروت — طرابلس :

انشأت الحكومة الانكليزية خط الناقورة — طرابلس اثناء الحرب الكبرى في سنتي ١٩٤١ — ١٩٤٢ ودفعت نفقات إنشائه، ولكنها لم تدفع التعويض على الملاكين الذين مرّ الخط بأراضيهم . وقد أُقرّ الاستملاك بموجب قرارين من المندوبية الفرنسية وبقيت المسألة القانونية معلقة، وعندما تألفت وزارة رياض الصلح الثانية (تموز ١٩٤٤) طلبت منها القيادة العسكرية البريطانية بواسطة الوزير البريطاني المفوض تسجيل العقارات باسم وزارة الحرب البريطانية . فصدر مرسوم بذلك، ولكن الخط لم يُسَجَّل باسم السلطة العسكرية البريطانية لان قيمة الاستملاكات لم تُدفع لمستحقيها اللبنانيين . وصدر مرسوم آخر بإبطال مفعول المرسوم الاول . وبقيت الحالة على هـــذا المنوال الى اليوم الذي اشترت فيه حكومة لبنان الخطّ المذكور واصبح ملكاً لها ودفعت قيمة الاستملاكات بكاملها .

وبحث المجلس النيابي هذا الموضوع وادّعى بعض النواب ان مرسوم الإبطال لم ينشر، وانه قد مُنع نشره في الصحف، فأثبتت الحكومـة انه نُشر في حينه في الجريدة الرسمية وانتهى الامر عند ذلك الحد .

تسلم السراية الكبيرة :

ظل تسلّم المصالح مستمراً غير ان البطء كان يرافق اعمال الفرنسيين فيتوقفون لاسباب، اهمها شكلية، وحجتهم تنظيم ملاك الموظفين التابعين

لتلك المصالح . ووصلنا الى يوم وقف فيه التسليم، فدعوت بالاتفاق مع رئيس الوزارة المندوبَ الفرنسي العام وقلت له ان الحالة اصبحت محرجة حتى عيل صبرنا، واننا نرغب في تسلم المصالح الاخرى نهائياً، فوعـد خيراً . ومن ذلك التاريخ اي من اوائل شباط سنة ١٩٤٦ عاد التسليم على قـدم وساق، وعَيَّنَّا اول نيسان لتسلم السراية الكبيرة فاخلاها الفرنسيون في ٣١ من اذار ودخلناها في اليوم المعين في حفلة مؤثرة جداً، فقد اجتمعت الهيئات الرسمية امام المدخل واصطفت العساكر في جانبي الساحة ووقفت جماهير الاهلين وراء الجنود، ولما وصلتُ الى المدخل الرسمي يرافقني رئيس الوزارة والوزراء عزفت الموسيقى النشيد الوطني ثم مقطع «الى العَلَم»، ورفعتُ العَلَم اللبناني على الصاري وجالت في عيني دمعتان كانتا افصح من كل خطاب، ثم صعدنا الى السراية وأشرتُ بان يفتح على مصراعيه بابُ القاعة التي اتخذتها مكتباً لي، واستقبلت فيها الوزراء والنواب وكبار الموظفين ثم قلت : ليدخل مـــن يشاء ! فتدفّقت الجماهير بالمئات وصافحتُ الجميع وعلامات البشر بادية على وجوههم، وهم يهلّلون ويشيدون بالعهد الذي اوصل البلاد الى هذه النتائج الباهرة . فالسراية الكبيرة تُعَدّ رمزاً له معناه الواسع لانها تعتبر قاعدة السلطة الفعلية .

وليت اصدقاءنا الفرنسيين سلّموا قصر الصنوبر من تلقاء انفسهم ليكون مقرّ الرئاسة، ونحن لم نطالبهم به مراعاة لخاطرهم مـع انهم لم يقطنوه إلاّ لكونهم اصحاب سلطان الانتداب، والكبيرة والصغيرة في يدهم، ولولا هـذه السيطرة لما تمكنوا من استئجاره الى اجل طويل من شركة البارك، ولم تكن هذه الشركة إلاّ صاحبة امتياز من بلدية بيروت لاستثماره فحسب، لا يحق لها التأجير إلا بعد ان تجيز لها البلدية والحكومة ذلك، ولكننا غضضنا طرفاً .

تعديل في الوزارة :

استقبلت يوسف سالم وسألته عن اسباب استقالته مع حميد فرنجيه فنفى ان يكون لرياض الصلح ضلع فيها على ما زعمه سامي الصلح، وقال ان الاشاعات التي أطلقت عن الوفد في غيابه اساءت الى اعضائه . وأجبته : ان مصدر تلك الاشاعات معروف لديكم، والحكومة لم تعلق عليها اهمية، وأكبر دليل على ذلك انها أيّدت الوفد في رأيه الذهاب الى باريس للمفاوضات بالرغم من العقبات المعروفة . ولما أعيته الحجة قال لي : «ان سفينة سامي الصلح على وشك الغرق وأنا لا ارغب ان أغرق معها» . فخطّأته في رأيه وأصر عليه ، ولم يبق امامي الا الموافقة على رغبته[١] وعيّنتُ النائب فيليب تقلا وزيراً للاقتصاد الوطني والبريد والبرق ، وعهدت الى اميل لحود وزير المال بمهام وزارة الداخلية بالوكالة . وانتظرنا عودة حميد فرنجيه لنرى ما يكون من استقالته .

وانتهز رئيس الوزارة جلسة ١١ من نيسان وألقى بياناً شاملاً عن مبادلة النقد الاسترليني بنقدنا وهي المسألة التي اثارت مشكلة في حينها . ثم بسط ما عملته الحكومة واحصى جميع المصالح التي تسلمتها من الفرنسيين وتطرق الى قضية الجلاء وشكر الوفد على القيام بمهمته على احسن وجه، وزاد بقوله :

« ... ان الاتفاق المشار اليه هو نقطة تحوّلٍ، لا في تاريخ لبنان الحديث فحسب ، بل في نوع علاقاته مع العالم الخارجي ، فالجمهورية اللبنانية اليوم تمد يدها من وراء حدودها الى كل من يمد اليها يد الصداقة ، وتبادل الدول الاخرى المنافع مبادلة الند للند وتعاملها معاملة الاكفاء ، فلا امتياز ولا مركز ممتاز ولا فاضل ولا مفضول إلا بقدر ما يسدي الى لبنان من خير وما يحبو قضاياه الحقة من تقدير » .

(١) – قدم يوسف سالم استقالته في ٣ من نيسان

وعقّب رياض الصلح على بيان رئيس الوزارة بكلمة قال فيها :

« انا لا ابحث في مجمل بيان الحكومة فانه صفحة لامعة في تاريخ البلاد ... »[١]

موجة اضرابات :

تعرضت البلاد لاضرابات واسعة النطاق قام بها العمال في اوائل نيسان، وسعت الحكومة الى حلها بالحسنى فوُفّقت الى ذلك بعد تعيين لجان خاصة للنظر في مطالب المضربين، وهم من الشعب اللبناني ، وقد قبلت المطالبَ الحقة وأنصفت عمالَ الريجي وأرغمت ادارةَ سكة الحديد على إنصاف عمالها ، وتحملت خزانة الدولة التضحية في الحالتين ، لان زيادة الاجور في الشركة الاولى يُنقص ارباح الحكومة، وفي الشركة الثانية يزيد عبء تسديد العجز الذي يقع هو ايضاً على عاتق الحكومة ويزداد عاماً بعد عام . وكان المجلس النيابي يبحث في تلك الاضرابات علناً ، وفي مثل هذه المباحثات نوع من « المزايدة » لارضاء العمال ، وهي سنّة الله في خلقه ... وتضخّمت تضحية الخزينة من جراء المزايدات التي صارت تقليدية !

اعتراف الكرسي الرسولي باستقلال لبنان :

سعينا دائماً منذ فجر عهد الاستقلال لتعترف جميع الدول بهذا الاستقلال وليعترف به الكرسي الرسولي ايضاً . وجرت مخابرات غير رسمية بهذا الشأن اشترك فيها على التوالي الكردينال اغاجانيان بطريرك الارمن الكاثوليك والكردينال رونكالّي السفير البابوي في باريس[٢]، والكردينال تبّوني بطريرك السريان الكاثوليك والاب العلاّمة اكاكيوس كوسا الراهب

(١) – محضر جلسة ١١ من نيسان ١٩٤٦

(٢) – هو الذي ارتقى الى السدة البابوية والمالك سعيداً اليوم

الباسيلي الذي يتمتع بمركز مرموق في الدوائر الفاتيكانية، وساعدنا كثيراً وزير بولونيا المفوض لدى الكرسي الرسولي بواسطة زميله في بيروت . وكنا منذ مطلع كانون الاول سنة ١٩٤٥ قد طلبنا من الوزيرين المفوضين لاميركا وانكلترا ومن ممثّل فرنسا السعي لدى حكوماتهم لمساعدتنا على نيل اعتراف الفاتيكان باستقلالنا ، فأجابنا الاوّلان بالايجاب وأما استروروغ وكيل المندوب الفرنسي ، فقد استأذن مني ان يُعلم القاصد الرسولي المونسنيور ريمي ليبراتر بطلبنا قبل مراجعة وزارة الخارجية، فدلّني استئذان استروروغ على ان هذا الاسقف الفرنسي لا يرغب في ان تتحقّق أمنيّتنا !

اما السبب في مسعانا هذا فيرجع الى ضرورة اطمئنان بعض الفئات من المسيحيين الى الاستقلال اللبناني ، بعد ان فعلت الدسائس فعلها وصوّرت للعناصر النصرانية أن تقلّص الانتداب الفرنسي سيؤدّي الى ان الدول العربية الاسلامية سوف تبتلع لبنان وتقضي عليه ! ولما كان للكرسي الرسولي اوسع سلطة معنوية في الدنيا عامة وفي العالم الكاثوليكي خاصة فاعترافه بنا يرسّخ استقلالنا ويرفع كل شبهة عنه . وطالت تلك المفاوضات اكثر من ثمانية عشر شهراً ، ابتدأت قبل ذهاب وفدنا الى مجلس الامن في لوندرة ، فطلبت من حميد فرنجيه ان يعرج على رومة لاستكمال اسباب الاعتراف . ومن حسن الحظ وجميل المصادفات التي هيأتها العناية الالهية انه في اليوم الذي اتفق فيه وفدنا مع الفرنسيين على شروط الجلاء طلب مقابلتي سيادة المطران مكسيموس صائغ[١] وحمل إليّ بشرى استعداد الكرسي الرسولي للاعتراف باستقلال لبنان ، فطيّرنا الى حميد فرنجيه في باريس البرقية التالية :

« كُلف المطران صائغ من قِبل المونسنيور بارديني (وكيل وزير خارجية الفاتيكان) ان يسلمنا جواباً على كتابكم المؤرخ في ٢٣ من ايلول وفيه ان الكرسي الرسولي مستعدٌ للاعتراف دون تأخير باستقلال لبنان بمذكرة رسمية يجيب عليها لبنان بقبوله احترام الحريات الدينية التي يتمتع

(١) – غبطة البطريرك الحالي

بها الكاثوليك الخ ... والكرسي الرسولي يحتفظ بدرس طريقة تبادل التمثيل السياسي بين الدولتين . المطران صائغ مكلف ايضاً تكليفاً شبه رسمي ان يقدّم اليكم صورة عن مطالب الكرسي الرسولي فتجيبون عليها بأسلوب شبه رسمي، وعلى ان يجري تبادل الوثائق الرسمية بعدئذٍ .

الامضاء : الخارجية »[١]

سافر حميد فرنجيه الى روما واتصل بالمقامات الفاتيكانية وتمّ الاتفاق بينهما على نصوص المسائل المشار اليها ، ثم عُرضت على الحكومة اللبنانية فوافقت عليها وجرى بعدئذٍ تبادل الوثائق[٢] .

وما ان انتشر الخبر حتى عَمّت البلاد موجة اغتباط غمرت جميع الطوائف والعناصر ، لانه اثبت للملأ ان سياسة التعاون مع البلاد العربية التي جعلناها رائدنا منذ تسلمنا كرسي الرئاسة لم تكن تفريطاً بحقوق المسيحيين ، وها هي قد نالت تكريساً رسمياً من اعلى سلطة مسيحية في العالم، مما حمل كبار نواب المسلمين على ان يصرّحوا لي بان هذه الوثائق لا تقلّ عن وثائق الجلاء شأناً وخطورة .

وهكذا كانت تصدق كل يوم عبارة تعودتُ ورياض الصلح ان يقولها احدنا للآخر في الظروف الخطيرة : « الله مع العهد ! »

تلافياً للازمة :

من الطبيعي ان يقابلني وزير خارجيتنا غير مرة على اثر عودته موفقاً بالمهام الكبيرة التي قام بها في ثلاث عواصم من اعظم عواصم الدنيا . وكانت تهنئتي له حميمة ، وتبادلنا وجهات النظر فيما يتعلق باستقالته فأظهرتُ له قلة الانصاف فيما فكّر به : فكل ما قيل وأشيع بخصوص موقف وفدنا لم يتعدّ الاقاويل في المجالس الخاصة ، وقد أثارتها معلومات مخطئة ... ولما عرف حقيقة الامر وثبت له ان الحكومة لم تؤخذ

(١) – الى رئيس وفدنا في باريس في ٢٢ من اذار (٢) – في ٨ من نيسان

بالدعاوات الزائفة، وان ما كتبه الجنرال سپيرس اليّ بقي مكتوماً عندي، وأن ما تسرّب الى الخارج انما تسلّل من مصدر غير رسمي، اقتنع حميد بان يرجع عن استقالته وان ينصرف الى عمله موقتاً . وكان حميد يعاتب امامي سامي الصلح رئيس الحكومة عتاباً شديداً لاعمال قام بها بوكالته عنه أثناء غيابه، وظلّت الحالة متوترة بينهما الى ان تعسّرت على سامي الصلح امور الحكم ، ولا سيما بسبب خصومة حزب الاستقلال له ، وبدت هذه الخصومة سافرة في اوائل شهر نوار، وعندها استوحى حميد فرنجيه طيب عنصره وأبدى تعاوناً صريحاً مع رئيس وزارته شكرتُه عليه، وقدّره له المنصفون .

حزب الاستقلال وكتلة الاصلاح :

كان مفروضاً ان يرئس عبد الحميد كرامي حزبَ الاستقلال الذي اسّسه هنري فرعون تكتّلا برلمانياً لمقاومة رياض الصلح وانصاره ، ولكن المنافسة القائمة باطناً بين اقطاب الحزب واختلاف وجهة نظرهم في بعض القضايا العامة جعلا الحزب بلا رئاسة واستعيض عن الرئاسة بامانة سر . وقد برز الخلاف جلياً عند بحث تصغير المنطقة الانتخابية ، فعبد الحميد كرامي يقول بالدائرة الفردية او الانتخاب على اساس القضاء ، وهنري فرعون يتشبث باساس « المحافظة » لتأمين الوئام بين الطوائف، الى غير ذلك من تباين في وجهات النظر .

وطلب مقابلتي السادة الفرد نقاش وعبد الحميد كرامي وهنري فرعون ليعرضوا عليّ بعض المطالب الاصلاحية ولما بحثنا تصغير الدائرة الانتخابية اعلن هنري فرعون انه لا يشارك زميليه هذا الرأي .

وامام تلك الصعوبات اراد عبد الحميد كرامي ان يوسع نطاق عمله الاصلاحي على هامش المجلس اولاً ، وعلى هامش حزب الاستقلال ثانياً ، دون ان يقطع علائقه به ، فألّف كتلة مشتركة من نواب ووجهاء لهم مركزهم الاجتماعي المرموق وانضم اليه من النواب يوسف كرم ومحمد العبود

وكال جنبلاط ومن الوجهاء عمر بيهم وعمر الداعوق وحبيب طراد ونهاد ارسلان وسواهم وعرفت هذه الكتلة بكتلة الاصلاح . وقدّمت مذكرة تتضمن المطالب الاصلاحية، ولما نُشرت مذكرتها ظهر لها محبّذون ومعارضون، ومن هؤلاء المعارضين من ينتسب الى حزب الاستقلال عينه ! وجاراهم عدد لا يستهان به من نواب المجلس .

وفي جلسة ٩ من نوار، وكان جدول الاعمال عادياً جداً حتى ان رئيس المجلس لم يلفت نظري الى مشروع ذي اهمية فيه ، فوجئنا بما لم يكن في الحسبان :

ففيما انا في مكتبي بالقصر ادرس بعض الملفات بلغني ان كال جنبلاط قد أُخرج من المجلس، وانه أُلقي القبض على مرافقه المدعو نجيب بو حمزه، وان الجلسة اوقفت اعمالها ، وسبّبَ ذلك كله خطابٌ فيه قساوة بالغة ألقاه مجيد ارسلان ضد كتلة الاصلاح مما أدّى الى مشادة عنيفة بينه وبين كال جنبلاط ، والى ما لحق ذلك . وبعد دقائق قصيرة وصل رئيس المجلس وعدد وافر من اعضائه الى قصر الرئاسة وقصّوا عليّ الحادث فأمرتُ بدعوة الامير مجيد ، وكان قد اختفى بين سمع الارض وبصرها ، وأمعنوا بالبحث عنه حتى وجدوه فأسرع الى القصر وبادرني بقوله : « ستلومني فخامتك لانني لم استشرك فيما فعلت ، وقد تحاشيتُ مقابلتك عمداً، وكتبتُ كلمتي بين الساعة الواحدة والساعة الثالثة والقيتُها قنبلةً مدوية لانني سئمتُ هذه الطرق ، ولم يطّلع على نيتي سوى خليل تقي الدين (مدير موظفي المجلس النيابي آنذاك) » . فقلتُ لمجيد : سامحك الله، ومن ذا الذي يصدق انني لم اكن مطلعاً على خطابك ؟

وبالفعل كثرت لديّ المراجعات تنمّ عن عتب من عبد الحميد ورفقائه، وخصوصاً من حبيب طراد وهو معروف بصداقته لي رغم تصلبه وعناده في بعض الشؤون ، فمن يقنعهم ويقنعه بحقيقة ما وقع ؟ والناس اقرب الى قلة الانصاف وسوء الظن منهم الى وضع الامور في نصابها ...

الازمة الوزارية :

شنّ حزب الاستقلال حملةً عنيفة على وزارة سامي الصلح منذ ان انتهت مفاوضات الجلاء ، وبعد ان استقال الوزيران عضوا الوفد ببرقية من باريس كما ذكرت . وقد وقفتُ دون الحملة مدة ولكن الواقع ان سامي الصلح لا يملك طرقاً وأساليب للرد على مداورات النواب كما يملك ابن عمه رياض، ناهيك بانه يسهو في امور عديدة فلا يتابعها بينما يتابع سواها بدون ملل ...

اراد سامي الصلح ان يجابه المجلس فرحّبتُ برغبته . وقبل ايام من تعيين الجلسة اتصل به هنري فرعون ثم عبد الحميد كرامي واكّدا له ان لا مرشح لهما ولحزبهما سواه كي يرئس الوزارة المقبلة، فتشجّع واستبشر خيراً . ولكن الامور انقلبت رأساً على عقب إذ قرّر حزب الاستقلال التخلي عن سامي الصلح ، وأبلغه ممثلو الحزب في وزارته وهم احمد الاسعد وسعدي المنلا وجميل تلحوق انهم غير متضامنين معه وانهم مستقيلون من وزاراتهم ، فأصرّ الرجل على مجابهة المجلس في ١٨ من نوار وتلا بياناً مسهباً عن اعمالٍ طيبة حققتها وزارته، واشار الى انقلاب حزب الاستقلال عليه واستقالة وزرائه من الوزارة، وختمه بقوله :

« وبناء على هذه الاسباب ، ومع العلم اننا قمنا بواجبنا في كل هذه المدة بنزاهة واخلاص ، وكنا نود ان يبقى المجلس الموقر على رأيه ، ولما كان وراء الستار مناورات ومضابط فالحكومة لا يمكن ان تبقى في الحكم وهي تتركه الآن ... »

ولم يعنِ رئيس الوزارة بكلمة « وراء الستار » الا حزب الاستقلال لانه كان يعلم ان رئاسة الجمهورية قد عاكست الحزب المذكور في سياسته ضد الحكومة . ولكن ما العمل وسوء الظن منتشر كالوباء ، وللناس شغف خاص في اظهار عبقريتهم بإنكار الواقع ؟ ومهما يكن من قصد

سامي الصلح في بيانه ، فكلمته تلك لا تقاس بالخطاب الذي كتبوه له وألقاه – أيّ إلقاء ! – في جلسة ٩ من ايلول ١٩٥٢ وكله نقائض مزعومة وافتراء واضح على مقام الرئاسة .

تشكيل الوزارة الجديدة :

خرج سامي الصلح من المجلس النيابي وجاءني مع من بقي من وزرائه الى قصر الرئاسة وقدّم استقالته ، فشكرته وزملاءَه على اعمالهم وخصصتُ بالثناء حميد فرنجيه لانه بقي متعاوناً مع رئيسه الى آخر لحظة على الرغم من استقالته السابقة التي رجع عنها بتكليفي .

واجتمع حزب الاستقلال الذي اسقط الوزارة وكان مفروضاً ان يرشّح الرئيس المقبل، ولكنه أحجم وترك الاختيار لرئيس الجمهورية، لان كلاًّ من اعضائه السنيين السبعة قد قدّم نفسه ليرشحه الحزب !

وابتدأتُ استشاراتي حالاً فدعوت رئيس المجلس النيابي ثم رياض الصلح . وقلت لرياض إني ارغب في اشراكه بالوزارة الجديدة كوزير دولة فلم يمانع ولكنه شرط علي ان يدخلها معه بعض اركان السياسة . ثم دعوتُ عبد الحميد كرامي وطلبت منه ان يوضح لي نقاط برنامجه الاصلاحي ويحدّدها فقد تُسند اليه رئاسة الوزارة . فحدّدها وجعل في رأسها تعديل قانون الانتخاب على اساس القضاء لا المحافظة . واتفقنا على ان يرجع الى حزبه ويعود اليّ بتأييد الحزب لهذا البرنامج ، وقد ألفيتُ تردداً في موقفه : رغبةً في الحكم، وزهداً عنه ، وتقديراً لمصاعبه .

وبعد ساعات عاد اليّ عبد الحميد معتذراً عن عدم القبول لان اكثرية حزبه لم تقبل بالنقاط الاساسية من برنامجه .

واتجهتُ الى ترشيح واحد من حزب الاستقلال ووقع اختياري على سعدي المنلا نائب طرابلس ، على ان اضم اليه وزراء دولة او وزراء

عاملين من عيون النواب فاستنكف الواحد تلو الاخر، ولم يدخلها سوى صائب سلام فكان نصيبه وزارة الداخلية . وتمّ تأليف الوزارة الجديدة في ٢٢ من نوار وتقدّمت الى المجلس في ٢٥ ، وتلت بيانها ونالت على اساسه الثقة باكثرية محترمة . ولازمني رياض الصلح فترة التشكيل من اولها الى آخرها، واعتذر عن عدم قبول وزارة دولة ولكنه ساعدني كثيراً على انتقاء الوزراء وتوزيع الحقائب، مما أثبت سعة صدره وبُعد افقه في السياسة .

وانصرفت الوزارة الى اعمالها بصورة طبيعية .

دعوة من تركيا :

كان سامي الصلح قد مهّد لزيارة رسمية الى تركيا اقوم بها مع اركان الحكومة وهو على رأسها، فيستعيد ذكريات الشباب على ضفاف البوسفور، ويطلق لسانه في اللغة التي كان يُخيَّل اليه أنه يتقنها ويباهي بأنه يستعينها على تعبير بعض افكاره ، ناهيك بان لنا مع الدولة التركية بعض القضايا المعلقة على ما سيأتي ذكره . الا ان الوزارة استقالت قبل وصول الدعوة الرسمية من حكومة انقرة الينا، ولم تصل الا بعد بضعة ايام من تولّي سعدي المنلا فعرضتها على مجلس الوزراء وقبلها ، وقرر ان يعين لها اقرب وقت مناسب .

مؤتمر الذروة في انشاص :

وكان لدينا دعوة اخرى الى مؤتمر يعقده ملوك العرب ورؤساؤهم للمشاورة بشؤون تهم الجامعة العربية عامة وفلسطين خاصة، وقد مهّد له ملك مصر منذ خريف ١٩٤٥ وأعاد الكرة بشأنه في اوائل نوار، ١٩٤٦، وتلقينا دعوة رسمية للاجتماع في القاهرة في ٢٨ من نوار وهو اول اجتماع ذروة يعقد في البلاد العربية فقبلنا الدعوة حالاً واخذنا اهبتنا للسفر . فركبنا طائرة لبنانية خاصة واقتصرنا الحاشية على قائد الجيش ومدير الغرفة والمرافقَين العسكريَين . ووصلنا الى مطار انشاص قبل الرئيس السوري

ببضع دقائق ، وكان الملك فاروق وحاشيته ووزيرنا المفوض بانتظارنا في سرادق ضُرب في جوار المطار، وما ان هبطت الطائرة حتى تقدّم الملك ماداً يده لمساعدتنا على النزول ولاستقبالنا ، وكانت مصافحتنا قلبية ومشينا الى السرادق وصافحنا المستقبلين جميعاً وعلامة التأثر بادية على وجه اخي سامي وزيرنا المفوض في مصر ، كما ان جميل مردم بك وزير سوريا المفوض في ذاك الحين كان بانتظارنا وانتظار فخامة الرئيس السوري، وبعد قليل وصلت الطائرة العسكرية المصرية التي أقلّت الرئيس القوتلي من دمشق فتقدمنا مع الملك واستقبلنا شكري بك وعانقناه . وعرضت معه « كراغول الشرف » ، ثم ركبت واياه في السيارة الاولى وركب الملك مع ياوره الاكبر في السيارة الثانية ومضينا الى انشاص ، فاستقبلنا في مدخل الحديقة الواسعة حرس شرف آخر ، وعزفت موسيقى الجيش السلام العسكري والنشيد الوطني السوري والنشيد الوطني اللبناني. وكان في قاعة القصر الملك عبدالله ، والامير عبدالاله الوصي على عرش العراق ، والامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية ممثلاً والده الملك عبد العزيز ، وسيف الاسلام عبدالله ممثلاً إمام اليمن . فتبادلنا المجاملة وبعض الاحاديث الودية واسترحنا قليلاً في غرفنا ثم نزلنا الى القاعة استعداداً للغداء .

ان اجتماع انشاص سُطّر في كرّاس صغير جامع ، وكُتبت مقرراته بماء الذهب على رقّ دخل في المحفوظات اللبنانية في وزارة الخارجية ، وقد نُشرت تلك المقررات في اقطار العالمَين العربي والغربي . وما هذا الذي اكتبه الآن سوى مفكرات خاصة سَجّلتْ مشاهداتٍ وانطباعات شخصية على هامش ذلك الاجتماع التاريخي .

ظهر لي، ولا اخفي ذلك، ان لحظة الملك الاولى اليّ لم « تملأ عينيه ! » وقد يكون مرد ذلك الى « قيافتي الديمقراطية » ، وقبعتي السوداء على لباس ابيض ، والى البساطة في السلام والحديث . وما لبث الوضع ان تحوّل

تماماً بعد الاجتماع القصير الذي سبق الغداء ، وكأن انطلاقةً جديدة جعلت تفاهماً تاماً بينه وبيني الى حد تبادل النكات داخل الجلسات وخارجها .

كنت وشكري بك القوتلي كأننا شخص واحد : تفكيرنا واحد ، واتجاهنا واحد، والانعكاسات واحدة سواء أفي المفاوضات ام في الاجتماعات الخاصة ، يستأنس واحدنا بالاخر . ولم اكن اعرف من المجتمعين سوى سيف الاسلام عبدالله الذي بدا آية التهذيب نحونا جميعاً .

اما الملك عبدالله فله شخصية خاصة به ، وهو على جانب متناهٍ من اللطف . جاورني على المائدة وصرنا نتبادل احاديث ودية . وقد تذمّر يوماً في اثناء الغداء من معاملة سوريا له فاستمهلته قائلاً : قد يسمعنا الناس ، وبعد الغداء نتباحث في الموضوع . ولما خرجنا خلوتُ به خلوة طويلة فكرر التذمر السابق ورددتُ على مسامعه تذمر السوريين من جواره وأشرت عليه بتحسين العلاقة معهم في هذه الفرصة السانحة . وطال الحديث – وهو شجون ! – اكثر من ساعة حتى قطعه علينا دخول اسماعيل صدقي رئيس الوزارة المصرية . وظلت علاقتنا بالملك عبدالله طيبة طوال مدة الاجتماع، وصادف سفره في ساعة مبكرة من الصباح، وما ان عرفت به حتى بادرت الى وداعه وانا ما ازال بثياب النوم، فتأثّر لهذه العاطفة وعانقني عناقاً طويلاً وبقي يذكر هذا الوداع له كلما سنحت له الفرصة، سواء امام وزيرنا المفوض ام امام زوّاره من اللبنانيين .

اما الامير عبدالاله فكان اقل المجتمعين كلاماً واكثرهم إصغاء . ويوم زرنا المزرعة الملكية ركبنا كلانا سيارة واحدة ودار حديثنا فيها ودياً ، وفي هذه النزهة القصيرة دعاني الى زيارة العراق فقبلت الدعوة قبولاً مبدئياً . ولم يُطل الاقامة في انشاص لانه اضطر لان يرجع قبل نهاية المؤتمر الى بغداد على جناح السرعة بسبب ازمة داخلية شغلت باله واراد ان يعالجها بنفسه .

اما الامير سعود فلفت الانظار بقامته المديدة وشخصيته البارزة ، وقليلاً ما كان يتكلم غير انه سريع القرار جازمه . وتقابلنا مقابلة طويلة في ٢٩ من نوار صباحاً في شبه خلوة فأكد لي باسم والده عبد العزيز الصداقة المتينة التي تربطه بلبنان ورغبته بالمحافظة على استقلاله، وتطرقنا الى بحث مشروع المصب للبترول السعودي على المتوسط ففهمت منه ان اتجاهه مرجّح نحو الشاطىء المصري، فمنعتني اللياقة من متابعة الحديث وكلانا في ضيافة ملك مصر ، غير اني قلت : حسناً تفعلون، أما اذا قضت الظروف بغير ذلك فلبنان مستعد لتقديم كل مساعدة .

عُقدت الاجتماعات في ڤيلا الحمامات بقرب قصر انشاص الكبير وهي بناية صغيرة ولطيفة جداً تشرف على حوض ماء ، وكل ما فيها من رياش هو من مصنوعات مصر .

تبادلنا الآراء بملء الحرية والصراحة والاخوة . أفتتح الاجتماع الاول بكلمة ترحيب وجيزة تلاها الملك فاروق وكلمة شكر قالها شكري بك القوتلي بالنيابة عن جميع الحاضرين. ثم ابتدأت الابحاث وكان اهمها يتعلق بقضية فلسطين والطرق الآيلة للمحافظة على عروبتها بعد اعلان الانكليز زوال انتدابهم عنها . الموضوع شائك بحد ذاته ، والآراء متضاربة ، وللاردن اهداف ، وكذلك لمصر وللعراق ، وبعض الشيء لسوريا ، وظهر موقف لبنان سليماً صريحاً لا يعتوره شك . لم تخلُ المناقشات من مساجلات لغوية ونحوية اشترك فيها الملك عبدالله ومحسن البرازي وأحد اعضاء الحاشية المصرية وهو معلّم الملك فاروق اللغة العربية، وقد دَلَوْتُ فيها بدَلوي .

وتخلّلت الاجتماعات النكات : فقد خاطب الملك عبدالله مرةً الملك فاروق بالتركية ، وأجابه بها . ثم اتفق ان خاطبني شكري بك القوتلي باللغة الفرنسية فأجبته بها ، والتفت الملك عبدالله الينا قائلاً : يظهر انهم جلوا ولم تَجلُ لغتهم ! فاجبته : وكذلك الذين سبقوهم في الجلاء يا

صاحب الجلالة . فضحك الجميع وكانت ضحكة الملك فاروق مدوية مقهقهة ، وشاركنا الملك عبدالله ضحكتنا الاجماعية .

وبعد التشاور الطويل انتهينا الى كتابة نص المقررات . تلا عبد الرحمن عزام نصاً وجده الملك فاروق طويلاً فاشتركنا في اقتضابه ، وكان لي نصيب وافر في ادخال تعديلات صادفت قبولاً، فاقترح الملك فاروق مازحاً انشاء مجلة لمؤتمر انشاص على ان اتولى تحريرها !

ووصلنا الى ألقاب الموقّعين لتكتب في « ترويسة » النص، فمال الملك فاروق الى اذن جاره شكري بك القوتلي وهمس اليه ببعض كلمات همس بها شكري بك في اذني فوافقت عليها بحني الرأس ، ولم يلبث ان اقترح جاري الرئيس السوري ان يُعرَّف الملك فاروق بلقب : « ملك مصر والسودان وصاحب النوبة ودارفور وكردوفان » ، فوافق المجتمعون على ذلك .

وأجمع على النص النهائي فدُعي الخطّاط الملكي واستجلب رَقّاً لكتابة المقررات مدبَّجةً بماء الذهب ، وتركناه يعمل والساعة قد بلغت العاشرة وانصرفنا لتناول العشاء على « ذهبية الملك » . طال انتظار كتابة الوثيقة واستمرّ الاتصال بين القصر الصغير والذهبية للاستعلام عن الفقرة التي وصل اليها الخطاط في نقل المُسَوَّدة، وقد اشفقت على الرجل فقلت للملك فاروق : قد ييأس هذا الخطاط المسكين من كثرة الالحاح وقد نراه جثة في النيل ... فضحك . ودام انتظارنا حتى الساعة الرابعة صباحاً ولم يبق على « الذهبية » سواي مع الملك فاروق ، وبقي من المعيَّة عبد اللطيف طلعت كبير الامناء وعزام وكريم ثابت .

واستمرّ تبادل النكات طول الوقت ، وظرف الملك فاروق يُضفي على ذلك الليل جواً من المرح . ولم اقصّر في ميدانه واسمعته نكاتٍ لبنانية سُرَّ بها كثيراً واستعادها واستزاد . وأخيراً وصلت الوثيقة ودُعيتُ

للتوقيع عليها قبل زملائي بسبب ترتيب حروف الهجاء فامتنعت وقدَّمتُ القلم الى الفاروق فأصرّ علي فتمنعت تكراراً، ووقّع الملك عن مصر وعن المملكة السعودية (لان الامير سعوداً اشترك مستمعاً وكان الملك فاروق الوكيل الرسمي عن الملك عبد العزيز) ، ووقّعت انا عن لبنان . وقد شكر الملك فاروق الله على هذا التوفيق ولاطفني لانني سهرت معه الى تلك الساعة المتأخرة ونزلنا معاً من الذهبية الى قصر انشاص وقال لي : « لن انام قبل ان اوقظ جميع إخواننا ليوقّعوا على هذه الوثيقة الخطيرة قبل طلوع الشمس » . فودعته ودخلت غرفتي ولم ألبث ان سمعت وقع قدميه في الاروقة وضحكته العالية وهو يطوف على ضيوفه جميعاً فيوقظهم الواحد بعد الآخر ليوقّعوا على المقررات . وكانت الساعة الخامسة صباحاً عندما انقطعت كل حركة في القصر ، وما كادت عيناي تغمضان حتى دُقّ الباب ونهضت لاودّع الملك عبدالله الذي ترك انشاص باكراً .

ان الأُبَّهة التي يُحاط بها ملك مصر لا تنقص عما نقرأه في الكتب والمجلات والصحف عن العَظَمة التي ترافق كبار ملوك الارض . وقد شهدتها في اجتماع انشاص الذي كاد يكون عائلياً . فما ارتحتُ كثيراً الى مظاهرها ورحتُ افكّر متسائلاً : هل هذا يدوم لهذا الفتى الذي بدأت الالسن تتناوله بالسؤ ؟ وودِدتُ لو تسنّى له ان يفتح لي قلبه لاهمس في اذنه بما كان يكنّه فوآدي من نصح له وعظات تلقنتها من دروسي المتواصلة ومطالعاتي الطويلة ومن خبرتي في شؤون الحياة السياسية، ولكن الظرف لم يسمح بذلك، وكان أمر الله فينا ليقضي الله امراً كان مفعولاً !

ووددت ان ألتقي واسماعيل صدقي رئيس الوزارة المصرية تلاقياً طويلاً ولكنه لم يحضر اي اجتماع معنا، ولم يظهر في انشاص الا مرتين، الاولى في الحفلة الساهرة الغنائية التي أعدّها القصر على ضفة « البيسين » في انشاص ليلة وصولنا، ولم يعقبها أي اتصال بين المدعوين لضيق الوقت، والمرة الثانية كانت بعد الغداء في اليوم التالي، واقتصر مجيئه على مقابلة

الملك فاروق في جناحه الخاص، ثم دخل على الملك عبدالله لشأنٍ ما فتبادلنا التحية ولم يكن بيننا حديث .

سمعنا الملك عبدالله في تلك الاجتماعات يَدّعي اتقان لعبة الشطرنج إتقاناً لا يجارى فيه ، فدعا الملك فاروق ضابطاً بحرياً ليباري الضيف ، وصار الضابط يغلب الملك خَجِلاً معتذراً وشكري بك لا يتمالك من ابتسامة خفيفة .

شعرتُ معتزاً بلبنانيتي في ذلك الجو العابق بروح العروبة الحقة والتعاون الاخوي الصادق . إن قضية فلسطين انست الملوك تنافسهم وجمعت القلوب، وانطلقتُ على سَجيّتي في تصرفي لا اتصنع ولا اتكلف، وكنت فخوراً بان يحتل لبنان هذه المنزلة الرفيعة بين الدول العربية، وليتنا ونحن نُعدّ الوثيقة الشهيرة التي نشرت على العالم فكّرنا بتأليف جيش عربي من متطوعي جميع البلدان العربية ليدافع عن فلسطين ويتدرب في مصر للوقت العصيب ، غير انه لم يخطر على بالنا ان المواثيق الدولية ستُمزّق، ويُطرح العرب في ارضهم عزّلاً، يُقتلون ويُشرّدون ولما تنسحب الجيوش البريطانية كلها من فلسطين ! لم يعط احد منا علم الغيب . وَهَبْ أنه تألف هذا الجيش ، فهل كان بامكانه ان يتسلّح تسليحاً عصرياً او ان يقاتل فعلياً دون ان يقفوا بوجهه لتنفيذ وعد بلفور .

كنت افكّر طويلاً في القوة التي تستطيع الدول العربية ان تُعدّها لو اتحدت اهداف هذه الدول وتهادنت، ووضعت حدّاً للمخاصمات القائمة بينها ، والتي جعلتها ينقسم بعضها على بعض، فهل زال اليوم ما كان بالامس ؟ اوَ لا يجب علينا ان نفكر بجمع قوانا في هذا العالم المضطرب ؟

يطول المجال بنا جداً فيما اذا استسلمنا لهذه التأملات كلها في حالة الدول العربية ...

لنعد الى ما بعد التوقيع على الوثيقة : اردت ان أُودّع الملك فاروق

في جناحه بانشاص . ورأيت من المناسب ان اطلعه هو وشكري بك القوتلي على الدعوة التي تلقيتها من تركيا وعلى قبولي تلبيتها ، فدخلت على جلالته وهو جالس وراء مكتبه ومعه شكري بك فجلسنا نتبادل احاديث الود . واخبرتهما عن الدعوة الى تركيا وقبولي اياها فرحّبا بذلك غير انني لحظت في عيني شكري بك بارقة تعجّب ، وخطرت على بالي مسألة لواء الاسكندرونة في لمحة خاطفة ، وبعد قليل خرجت معه من مكتب الملك الذي كان وداعه لكلٍّ منا حاراً جداً قبل الوداع الرسمي في مطار انشاص .

وخلوت بالرئيس السوري وقلت له : اذا كنتم ترون من المناسب ان ازوركم في دمشق زيارة رسمية قبل زيارة تركيا فانا على استعداد لها، ومن شأن هذه الزيارة ان تُظهر للملأ اننا على اتم الاتفاق فيما اقوم به من مجاملة لتركيا اراها في مصلحة لبنان ، وقد تكون في مصلحة سوريا ايضاً ، ولنا بعض مسائل معلقة مع حكومة انقرة أرجو ان تحلّها زيارتنا . فرحّب الصديق الكبير بالفكرة واتفقنا على ان تكون زيارتي لدمشق في الاسبوع الاول من حزيران وعلى ان يُتفق على تعيين اليوم بعد عودتنا الى بلدينا .

تركنا قصر انشاص في الساعة الحادية عشرة بالمراسيم التي استُقبلنا بها وركبت السيارة الاولى مع شكري بك وركب الملك فاروق السيارة الثانية مع مرافقه ، ووراءنا رتل من سيارات الحاشية الملكية والمرافقين وانطلقنا الى المطار . وهناك عرضنا فرقة الشرف وتصافحنا والملك فاروق مصافحة ودية طويلة وشكرناه على ضيافته ، وركب كل من شكري بك وانا الطائرة الخاصة به واقترب الملك يساعد كلاًّ منا بيده على الصعود ولم يفارق المطار الا بعد ان اقلعت الطائرتان وهو يومىء بيده نحونا توديعاً ونحن نردّ على تحيته باطيب منها .

بقي ذكر انشاص في الذاكرة كواحة في صحراء السياسة القاحلة .

وقد عرفت ان انطباعات الملك فاروق والمجتمعين الآخرين كانت حسنة جداً بما يتعلق بلبنان ورئيس لبنان .

وعند وصولنا الى مطار بيروت وجدنا الهيئات الرسمية والدبلوماسية وجماهير غفيرة محتشدة لاستقبالنا ، فصافحت الجميع وجمعت مجلس الوزراء واطلعته على المحادثات ، وسلمتُ الوثيقة الى المحفوظات الرسمية .[١]

وكان لاجتماع انشاص صدى كبير لدى الشعوب العربية وفي الخارج .

زيارة دمشق الرسمية :

على اثر رجوعنا الى لبنان اعددنا العدة لزيارة دمشق في الثامن من حزيران وتبادلنا الاراء بتشريفات الاستقبال وتم الاتفاق عليها وغادرنا بيروت ساعة الظهر فاستقبلنا في الحدود سعدالله الجابري رئيس الوزارة السورية ووزير الخارجية ، ووصلنا الى ضاحية دمشق وكان رئيس الجمهورية مع الهيئات الرسمية بانتظارنا على مسافة اربعة كيلومترات من المدينة ، فترجلتُ وتعانقتُ ومضيفي بينما الجماهير تصفق بحرارة والجيش يؤدي التحية والموسيقى تعزف النشيدين الوطنيين ، وبعد الاستراحة وتقديم الرجال الرسميين السوريين واللبنانيين ركبنا السيارة في اتجاه المرجة والسراية ، واهالي دمشق على جانبي الطريق يحيون ويصفقون وعلامات البشر على وجوههم . وجرى استقبال رسمي في دار الحكومة بعد خلوة قصيرة بين الرئيس وبيني ثم ذهبنا الى القصر الجمهوري وهناك خلوت بالرئيس مرة ثانية وتبادلنا الرأي في شؤون الساعة ووجدتُنا متفقَين على سياستنا الخارجية اتفاقاً تاماً . ثم شكرته شكراً جزيلا على الاستقبال الحافل وافترقنا لنرتدي ملابس السهرة استعداداًللحفلة الكبرى في حديقة القصر .

ظهرت الحديقة باجمل حلة من المصابيح الكهربائية والرياحين . ولما وصلت مع الرئيس السوري اقبل علينا الرجال الرسميون والمدعوون

(١) — نشرت هذه الوثيقة على الملأ في آخر نوار ١٩٤٦

وبينهم وفود الدول العربية لدورة الجامعة العربية التي ستعقد في بلودان في اليوم الثاني . وتبادلنا الخطب الودية في نهاية المأدبة، وانتثر الجمع في الحديقة لمشاهدة الالعاب النارية ومشاهدة فيلم مصري ولاستماع الاغاني البلدية ، ثم تفرق الجمهور .

وقبل ان انام حمدت المولى على النتائج الباهرة التي جعلت اسم لبنان مرفوعاً في الاقطار الشقيقة، وانا على يقين من ان ما لحقني من شرف إنما يعود على بلادي بالخير السياسي العميم . ولقد كنت مخلصاً تجاه وطني وتجاه جيرانه عندما انتهجت السياسة الجديدة الضامنة لسلامتنا .

استيقظت باكراً ، وتناولت الفطور على السطيحة . وطالعت المقالات اللطيفة التى كتبتها صحافة دمشق عني وعن لبنان، حاملة تحية سوريا الى بلدنا . ثم تقابلت والرئيس السوري في القصر مقابلة طويلة وتبادلنا الحديث عن شؤون كثيرة أولها زيارة تركيا ، ولم يُخفِ الرئيس عني ان هذه الزيارة كانت قد ساءت السوريين لو لم تسبقها زيارتي لدمشق . فأجبته : انني قصدت من زيارة سوريا رسمياً اظهار ما يكنه لبنان ورئيسه للشعب الشقيق من محبة وتقدير ، قبل ان ازور تركيا . خصوصاً وانني لبَّيت دعوة الرئيس التركي ولم يكن لي عذر بعدم تلبيتها لانها زيارة مجاملة من شأنها ان تدعم الكيان اللبناني في الظروف الحاضرة ، ولا سيا عندما يُستقبَل رئيس لبنان بعد زوال الانتداب الفرنسي كرئيس دولة مستقلة تجاه تركيا التي كانت لها حتى عام ١٩١٨ شبه سيطرة علينا ولو اسمية . وكان التفاهم سائداً بيني وبين شكري بك ، ولحظت انه اكثر تفهماً لقصدنا من رئيس وزارته سعدالله الجابري الذي لم يوافق قلبياً على زيارتي لتركيا . وقد اضفت ان قضية اسكندرونة لا تنتهي الا بتحكيم دولي عندما تدق الساعة في غيب التاريخ . واقترحت ان تتبادل سوريا وتركيا التمثيل السياسي وفهمت من شكري بك ان هذه المسألة قد بُحثت قبلاً وسيتم التبادل بين البلدين في وقت ليس بالبعيد . وحسناً يفعل الجاران .

زرنا المتحف الوطني برفقة شكري بك ثم ذهبنا معاً الى الزبداني حيث أقيمت لنا مأدبة في القصر الصيفي الجمهوري دعيت اليها وفود الدول العربية فتبادلنا الاحاديث الودية طويلاً قبل الغداء وبعده ، وبها انتهت الزيارة الرسمية . وودعت الرئيس شاكراً حفاوته، ورافقني في السيارة صبري العسلي وزير الداخلية السورية الى الحدود وبقي قسم من الوزراء اللبنانيين في بلودان للاشتراك في جلسات الجامعة .

وكانت الزيارة موفقة جداً . والغيمة التي خيّمت لحظة قصيرة ما لبثت ان تبدّدت اذ اتضحت نياتنا الطيبة نحو جارتنا العزيزة .

زيارة تركيا الرسمية :

تركنا بيروت بموكب رسمي بعد ظهر ١٨ من حزيران الى رياق حيث ينتظرنا القطار الخاص برئيس الجمهورية التركية، وهو كامل التجهيزات وفيه جميع اسباب الراحة . فودعنا البقاعيون ونوابهم وداعاً حافلاً ، وبتنا ليلتين في القطار والخدمة كما يقولون «عثملّية» ، وواكبتنا السلطات السورية حتى الحدود ، فرافقنا محافظ كل منطقة مررنا بها ، ومعه حرس خاص ، الى منتهى منطقته . واراد الرئيس السوري ان نُستَقبل رسمياً في حلب على الرغم من ان القطار قد وصل اليها في الساعة الخامسة صباحاً . فوجدنا على رصيف المحطة قواتٍ من الجيش والدرك والشرطة يتقدمها الامير مصطفى الشهابي محافظ الشهباء وعدد من وجهاء القوم واعضاء الجالية اللبنانية . فتأثرت كثيراً لتلك المجاملة الكريمة وطلبت من المحافظ الذي بقي معنا حتى الحدود التركية ان يبلغ عظيم امتناني الى رئيس الجمهورية والى حكومته .

ووقف بنا القطار في النقطة الفاصلة بين سوريا وتركيا فاستقبلنا موظفو التشريفات الاتراك موفدين من الرئيس التركي لتحية الموكب

اللبناني ومرافقته حتى انقره . وقطعنا جبال طوروس ونحن نشاهد منظراً رائعاً ، والثلج يكلل قممها ويكسو اشجارها الباسقة . وقد وقف الاهلون في مفارق الطرق وفي المحطات يحيّون الموكب بتحنية الرأس وبالتصفيق في بعض الاحايين .

وصل القطار الى محطة انقرة ودخلها على مهل على طلقات المدافع . ترجّلنا ولقينا فخامة الرئيس عصمت اينونو وعقيلته ومرافقيه في انتظارنا على الرصيف الرسمي، وتصافحنا مصافحة ودية وعزفت الموسيقى العسكرية النشيدين اللبناني والتركي . وانحنيت امام صاحبة العصمة عقيلة الرئيس وصافحتها بينما الرئيس التركي ينحني امام عقيلتي ويصافحها ، وقدمت له مرافقيّ وقدم لي جميع الذين رافقوه . وكان بين المستقبلين وزير تركيا المفوض في لبنان والقائم باعمال مفوضيتنا في انقره . ثم عرضنا فرقة من الجيش وهي باجمل الملابس وعلى وجوه رجالها امارات الشدة . ولما مررت امام العَلَم التركي حناه حامله الى الارض تحيةً لرئيس لبنان، فتأثرت جداً وذكرت ايام لبنان القديم والولاية ، ولمعَتْ ببالي المسافةُ الشاسعة التي قطعتها جمهوريتنا الناشئة في طريق الاستقلال والسيادة . وقبل ركوب السيارات الرسمية دعاني الرئيس التركي الى باحة المحطة الخارجية لاحيّي الجماهير الغفيرة المحتشدة بالالوف وهي تهتف وتصفق ، فحيّيتها طويلاً بين قصف المدافع وانغام الموسيقى ، وبلغ التأثر مني مبلغه ووددت لو عاش والدي الى هذا اليوم !

وسار الموكب الرسمي يواكبه الحرس الجمهوري الى الفندق الكبير فبادلنا الرئيس احاديث المجاملة وودعنا وعقيلته وصحبه بمزيد من اللطف واللياقة .

وابرز ما كان في اليوم الاول : رد الزيارة للرئيس في مقره بشنكايا، والخلوة بينه وبيني في ذلك القصر المشرف على انقره ، وقد طال حديثنا اكثر من ساعة عرضنا فيه مسائل الشرق والغرب ، فألفيتُ فيه معرفة

تامة لجميع تطورات السياسة العالمية والاخطار المحيقة بتركيا . وورد حديث لواء الاسكندرونة فرددتُ على مسامعه شكوى اخواننا السوريين . ثم ادلى هو بالحجج التي تتذرع بها دولته ازاء هذه المشكلة ، ومع تصلبه بقضية اللواء اظهر استعداداً حسناً لتبادل التمثيل السياسي بين تركيا وسوريا لعل هذا التبادل يضع حداً لحوادث تقع دائماً على حدود البلدين . وبحثنا الشؤون المعلقة بين تركيا ولبنان (المهاجرون والاملاك) فرأيت منه تفهماً كبيراً للموضوع ، واخبرني ان رئيس الوزارة التركية ووزير خارجيتها سيطلبان إليّ مقابلة يعرضان فيها عليّ وجهة نظرهما بالامرين المذكورين . ولحظت منه انه متمسك جداً بصداقات الدول الغربية ، وخصوصاً انكلترا . وقد اكثر من براهينه لي عن فائدة الصداقة مع دول كبرى كهذه . كما انه اشاد بمركز لبنان الدولي والثقافي مُظهراً لي – الامر الذي اعرفه – ان لدينا امكاناتٍ كثيرة تتيح للبنان ان يبلغ في سياسته شأواً بعيداً يفوق مساحة اراضيه درجاتٍ كثيرة .

لعصمت اينونو جاذبية تشع من نظراته وحركاته وسكناته ، يرافقها ظرف وكياسة وميل مستحب للنكتة .

انه لم يكتم عليّ تخوفه من جيرانه الشرقيين، واستعداد بلاده للدفاع عن نفسها مما حداها الى تجنيد ما يزيد على مليون جندي في حالةٍ دائمة استعداداً للطوارىء ، وفي ذلك ما فيه من ارهاق للخزانة ، غير ان الحياة تُفضّل على المال . وقد جلتُ معه في تلك المواضيع كلها وبلغني فيما بعد ان حديثي قد راقه .

لن اصف الحفلات ولا الزينات ، ولا الاستقبالات الفخمة التي تعاقبت لتكريمنا في مدة اقامتنا في العاصمة التركية ، فقد اسهبت الصحف في وصفها . ولكني اقصر الكلام على التأثرات الشخصية من احاديث الرئيس عصمت اينونو ووزرائه :

ان المقابلة الثانية بينه وبيني جرت في الفندق الكبير يوم أقمتُ

الحفلة التقليدية على شرفهِ وعلى شرف حكومته ، فعرض على مسمعي ذكرياتٍ قديمة ولا سيما عن مؤتمر لوزان الذي مثّل فيه دولته المنهارة ، وأبدى من الصلابة يومها ما انقذ الموقف في ظروف عديدة ، وقصّ عليّ سير المفاوضات بشأن المحاكم المختلطة والديون العمومية وقد طالت اشهراً ، وقد استعان خلالها بثقل خفيف في سمعه ليتظاهر امام كل حل لا يرضيه بانه لم يسمعه او لم يَعِهِ تماماً ، حتى يئس المفاوضون الاجانب من افهامه وطلبوا اليه ان يسجّل « حبراً على ورق » وجهة نظره في الامرين المعروضين، وان يقدّم لهم الحل الذي يقترحه . فأخذ قصاصة من ورق وكتب عليها : «تُلغى المحاكم المختلطة من جميع الاراضي التركية... ان الدولة لا تدفع ديونها ذهباً» . ولم يزد كلمة واحدة ، وكان له ما اراد !

كان الرئيس التركي في جميع الحفلات التي اقيمت على شرف الوفد ، او على شرفه ، مثال اللطف والايناس معي ومع عقيلتي ومع المرافقين اللبنانيين ، ورأيت بأم العين عدداً من كرام السيدات التركيات ينحنين على يده ويقبّلنها احتراماً له على كونه أحد منقذي تركيا بعد اتاتورك ، والاتراك يعتبرون اتاتورك اباً ومؤسساً لوطنهم وذكراه تبلغ حد العبادة عندهم . ومن الامور الاولية التي تفرضها زيارة رسمية لانقرة وضع اكليل على ضريحه ، وهذا ما قمنا به في حفلة ارتدت أُبّهةٍ عزّ نظيرها .

وبلغ لطف الرئيس منتهاه ليلة سفرنا ويوم تركنا انقرة الى استمبول . زرنا قبل يوم من سفرنا المزرعة النموذجية التي انشأتها الحكومة في جوار انقرة ورافقنا وزير الزراعة وعدد من الفنيين فتفقدنا التجهيزات التي احدثوها فيها وتناولنا الغداء في الهواء الطلق ، ثم استرحنا قليلاً في القصر الصيفي الذي بناه الرئيس اتاتورك على مقربة من العاصمة . وفيما نحن نتأهب للعودة الى الفندق عرفنا ان مدير الامن العام اتصل بوزير الزراعة ليستأخر عودتنا فيتسنى للرئيس اينونو موافاتنا الى القصر الصيفي على غير موعد سابق . وما هي إلاّ دقائق حتى وصل الرئيس مع رئيس

وزارته السيد سراجغلو وترجل بكل بساطة وحيّانا قائلاً : استقصيت عن مقامكم بعد هذا الظهر واهتديت اليه الآن . أردت ان اقضي بعض الوقت برفقتكم بصورة شخصية دون ادنى بروتوكول رسمي . سألنا عن انطباعاتنا في المزرعة ، ثم اخذ يقصّ علينا بعض ذكرياته عن اتاتورك باني القصر ومنشىء حدائقه الغناء ، بعد ان قام بالمعجزات ليؤمّن لها الري الكافي في ارض قاحلة . واستطرد يَعدّ مراحل تحرر تركيا على يد سلفه ، واسهامه الفعلي في الانتصار على العدو ، وكانت امسيةً حلوة حفظتُ منها اطيب الذكرى .

اما يوم مغادرتنا انقرة فكان مشهوداً وبمثابة اكليل لزيارتنا الرسمية .

تمّ في الصباح الاجتماع الرسمي لحل الشؤون المعلقة بين البلدين ، وحضره عن الجانب التركي رئيس الوزارة ووزير الخارجية والامين العام لوزارة الخارجية ، وحضر معي عن الجانب اللبناني سعدي المنلا رئيس الوزارة ومجيد ارسلان وزير الدفاع والنائب حبيب ابو شهلا ، اما البحث فكان اولاً : في مسألة اللبنانيين القاطنين في المهاجر والذين منحتهم معاهدة لوزان حق اختيار الجنسية اللبنانية في خلال سنتين ولم يستعملوا ذلك الحق في الموعد المضروب . ان هؤلاء اللبنانيين تبعوا الجنسية التركية ولا شيء يربطهم بتركيا . وقد اصبح من الضروري ان يُتّفق على تمديد المهلة ليعود هؤلاء المغتربون الى الجنسية اللبنانية .

ثانياً : في مسألة أملاك اللبنانيين في تركيا واملاك الاتراك في لبنان، وهي تحت الحراسة القانونية في كلا البلدين فلا يجوز التصرف بعينها كما ان دخلها محجوز ايضاً .

هذا هو جدول الاعمال . ولكن قبل الدخول في الموضوع طرأ ما لم يكن بالحسبان ووقعت مفاجأة لنا جميعاً اذ اقترح رئيس الوزارة التركية عقد معاهدة صداقة بين لبنان وتركيا يدخل في اطارها حل

القضيتين المعروضتين للبحث . ولا يخفى ان هذه المعاهدة تسيء حتماً الى الدول العربية عامة والى جارتنا سوريا خاصة ، ولكن رفضها يسيء ايضاً الى مضيفنا بعد الحفاوة البالغة التي أستقبلنا بها وبعد التأكيدات التي بُذلت لنا عن احترام تركيا لاستقلالنا وسيادتنا . وارتسمت دلائل الحيرة والارتباك على محيا رفقائي اللبنانيين ، وفكرتُ قليلاً . وكأنّ الله تعالى ألهمني الجواب للتخلّص فالتفتُّ بكل هدوء نحو رئيس الوزارة التركية وقلت له والابتسامة تعلو شفتي : سأقصّ على دولتكم نبذةً حدثت لي يوم ترشحت لرئاسة الجمهورية في ايلول سنة ١٩٤٣ ، عسانا نجد فيها جواباً لما تفضلتم به من عرض معاهدة صداقة هي من اعز امانينا .

وتابعت حديثي : اثناء حملة ذلك الترشيح طلبت من نائبٍ صديق لي ان يقترع لي فأجاب : اذا أصررتَ عليّ الآن فانا مستعد ان اعطيك صوتي حالاً غير انه يكون منفرداً واخشى ان يبقى منفرداً ، اما إذا امهلتني بعض الوقت أتيتُك بصوتي وصوت تسعة من زملائي نواب منطقتي ، فأمهلته وكان لي ما اراد واردت .

فضجّ الحاضرون بالضحك وفهموا المغزى المقصود، وأجمعنا على ان نصرف النظر عن المعاهدة ونكتفي ببروتوكول خاص بالمسألتين المعلقتين : المغتربين واملاك رعايا الطرفين .

ختمت الحفلات الرسمية بسباق للخيل في الميدان المخصص لها ، وقد تجلى اعظم مظهر للصداقة المتبادلة بين الرئيس التركي وبيني ، وكان الاستقبال فخماً جداً، واجمل ما فيه العناية الملموسة التي احاطني بها السيد عصمت اينونو والمحادثات الودية التي دارت بيننا على الشرفة وفي الصالون الخاص الملاصق لها . ولفت نظري اهتمامه بالاطلاع على مبادىء الدستور اللبناني وصلاحيات الرئاسة وموقف الرئيس من الاحزاب ، فأجبته عن ذلك كله وقلت له ان الرئيس عندنا فوق الاحزاب . ففكر ملياً وقال :

عندنا رئيس الجمهورية هو رئيس حزب ويُجدِّد انتخابه مع انتخاب النواب ، وقد يكون دستوركم اضمن لمركز الرئيس من المعارضة بحيث لا تَعدُّه خصماً لها . وشعرت بانشغال باله بانتخاباتهم النيابية التي على الابواب ، وقد برز نشاط المعارضة جدياً حتى صار يحسب له حساب . وتناول حديثنا الاخير مرة ثانية أحداث العالم وما يتعلق منها بالشرق ، وانتهز محدثي الفرصة ليُثني على الاتفاق الذي تمّ صباحاً مع اركان حكومته مظهراً ارتياحه اليه . واكد لي تكراراً عواطفه الشخصية وعواطف حكومته نحو لبنان . فدعوته رسمياً لرد الزيارة وقال إنه على اتم الاستعداد لتلبية الدعوة عندما تسمح الظروف . فمتى يا ترى يكون ذلك ؟

في استنبول :

انتهت الزيارة الرسمية لانقرة . وكان مقرراً ان نقوم بزيارة خاصة الى استنبول فتركتُ والرئيس اينونو ميدان السباق في سيارة واحدة والجماهير تحيّي وتهتف الى ان وصلنا الى محطة السكة الحديدية تتبعنا السيارات الرسمية وسيارات المرافقين فلقينا في الباحة قطعات كثيرة من الجيش لتؤدي لنا التحية العسكرية ، وقد عرضتها مع الرئيس موجهاً اليها الكلمة المألوفة عند الوداع « مرحبا عسكر » وهي تجيب بملء حناجرها «يشاسون» ! اي : يعيش، كأنه صوت رجل واحد . تمّ الوداع بعيداً عن الطابع الرسمي الجاف ، وفيه الكثير من التأثر . وركبنا القطار الى العاصمة القديمة حيث لنا فيها بعض الذكريات .

وصلنا الى استنبول في اليوم الثاني صباحاً وأشرفنا على البحر ثم على الضواحي الى ان وصلنا الى محطة حيدر باشا على ضفة البوسفور الاسيوية . وقد جاء لاستقبالنا والي المدينة وقائد حاميتها وحرس الشرف فيها وبعد ان عرضنا فرق الجيش ركبنا الزورق الى الشاطىء الاوروبي بينما المدافع تطلق نيرانها من رابية الثكنة الكبيرة المطلّة على البوسفور وكان المشهد رائعاً جداً .

ظهرت من الوالي واعوانه حفاوة بالغة على الرغم من ان الزيارة غير رسمية . قضينا بضعة ايام في نزهة دائمة ، وكدت لا اعرف استانة العلية التي نزلت فيها عام ١٩١٢ ، فقد غيّرها التحسين إلاّ ان المضيق بقي شاطئاه على قديمهما . ودعينا لزيارة الجزيرة الكبرى «برنكبو» على بحر مرمرا ساعة كانت المدرعات التركية راسية في عرض البحر بداعي التمارين الحربية ، فلمّا مرّ زورقنا امامها اصطفّ ضباطها وبحارتها على ضهرها وأدّوا لنا التحية العسكرية ، وقال لي الوالي : ما اجمل هذه الصدفة ! وأجبته وهو يفهم العربية : « الصدفة خيرٌ من ميعاد اللهم اذا لم يكن هنالك ميعاد ... » فابتسم . وتنزّهنا في ارض الجزيرة بعربات مكشوفة تجرّها الخيل وذكّرتنا المشاهد القديمة . ثم ترجلنا في طريقنا الى الكازينو ورافقتنا بكل حشمة واحترام سيدات جميلات من ذلك المصيف ، ورجعنا بعد المغيب الى استنبول والانوار تتلألأ من المدينة وعليها فبدت كأنها شعلة من نور .

ودعانا الوالي الى زيارة القصور الملكية والجوامع الشهيرة والاماكن الاثرية والمتاحف ، وأقام عدّة حفلات على شرفنا منها غداء في « ترابيا » على ضفاف البوسفور ، وحفلة شاي في قصرٍ سلطاني قديم بين الحدائق الغنّاء يشرف على البحر ، وحفلة شاي اخرى على الشاطىء الاوروبي حيث زرنا حمامات البحر المجهزة تجهيزاً حديثاً ، والدارة الخشبية الجميلة المبنية على اعمدة من خشب مرسخة في البحر وهي الدارة المخصصة لاستراحة رئيس الجمهورية . وتعشينا ذات ليلة في حديقة « تقسيم » المشهورة في كازينو عصري غاية في الاتقان . ولم تفارقنا حفاوة الوالي نهاراً ولا ليلاً . وزاد في سرورنا اننا نزلنا ضيوفاً على الحكومة في فندق « پارابلاس » ، وصاحبه مصباح مخيش الوجيه اللبناني الذي غادر بيروت بعد الاحتلال الفرنسي ولم يعد . وقد بالغ في تأمين اسباب الراحة لنا ، ولم يخفِ ما خالج نفسه من الحبور لبلوغ لبنان هذه المرتبة الدولية العالية .

لم يتيسر لي الاتصال بغير الرسميين الا نادراً بسبب ضيق الوقت ، ومع ذلك فقد تمكنت من الاجتماع بصديقي سعيد نعوم ابن المرحوم نعوم باشا فأحيينا ذكريات الطفولة في لبنان والشباب في باريس، ودعوته الى الغداء يوم اقمت وليمة للوالي فحضر اكراماً لي لانه انحجب عن كل مظهر من مظاهر الحياة العامة منصرفاً الى المطالعة والكتابة .

واستقبلت رؤساء الطوائف المسيحية في استنبول وفي مقدمتهم القاصد الرسولي المونسنيور مارينا الذي جاء فيما بعد سفيراً بابوياً الى لبنان ، وهذا من غريب المصادفات ، وجميعهم يرتدون الملابس العلمانية لان الملابس الكهنوتية لا يسمح بارتدائها خارج المساكن الخاصة والكنائس .

وزرت ضريح الامير بشير الشهابي في كنيسة الارمن الكاثوليك في «غلطه» ، وعند وصول موكبنا الى مدخل المعبد تقدم منا المطران ولفيف كهنته تتقدمهم راية الصليب المقدس وحاملو المباخر وأدّوا لنا المراسم الدينية وواكبونا الى الضريح قرب المذبح ، ونظرت الى البلاطة الرخامية التي حفرت عليها ابيات[١] المعلم بطرس كرامة شاعر الامير تؤرخ الوفاة، وانحنيت ووضعت اكليلاً من الازهار وتلوت الصلاة الالهية، وحملت الى ساكن الضريح تحية لبنان . وكنت في الماضي قد فكرت بنقل رفاته الى بيت الدين، وبعد تلك الزيارة صار تفكيري تصميماً لا رجوع عنه ... ثم اتجه الاكليروس نحو المذبح واخذوا يرتّلون بأصوات شجيّة وودعونا الى باحة الكنيسة بالمراسم التي استقبلونا بها فأبديت لهم شكرنا .

---

(١) — قد كان صاحب هذا اللحد ذا شرف ... مدى الزمان رفيع غير منخفض
لاقى المنيـة في التسعين متشحاً ... بر الفضائل في عمد وفي عرض
أولت ولايته لبنان طيب ثناً ... وشاد بالعدل فيه كل منتقض
فهو الامـير الشهابي البشير ومن ... غير العلى لم يكن يرتاد من غرض
قضى فأظلمت الدنيا مؤرخـة ... اما البشير شهاب بالجنان يضي

غادرنا استنبول على الزورق البخاري من الشاطىء الاوربي الى محطة حيدر باشا وحصون القلعة تطلق المدافع وداعاً ، فشكرنا الوالي واعوانه على حفاوتهم وركبنا القطار في الطريق الساحلي الى طرابلس ، فمكثنا يومين كاملين كان بالي فيهما قلقاً بسبب حوادث جرت في لبنان وبلّغني اخبارها بالتلفون فيليب تقلا وزير خارجيتنا : وذلك ان الفرنسيين ارادوا ان يعيّنوا في المندوبية موظفين سبقت لهم خدمة في المفوضية العليا في عهد الانتداب ، ولهذا العمل محاذيره الكثيرة . ورافق ذلك ان عمال الريجي اعلنوا إضراباً شاملاً وتعرضوا للدرك وسقط منهم قتيل وبعض الجرحى .

وصلنا الى طرابلس في ٢٩ من حزيران صباحاً واستُقبِلنا استقبالاً حافلاً في محطتها وعلى جانبي الطريق الممتدة منها الى المدينة ، ولم نتوقف إلاّ لردّ التحية على الجماهير . وقصدنا بيروت على جناح السرعة شاكرين الله على ما لقيناه من حفاوة في احد عشر يوماً هي اطول غيبة لي عن الاراضي اللبنانية في رئاستي .

بحث حوادث الاضراب :

دعوت مجلس الوزراء يوم وصولي لاستجلي الموقف ، دون ان ارتاح دقيقة واحدة ، خصوصاً وان دورة نيابية استثنائية قد فتحت في اول حزيران ولمّا تُقفل ولا بد لبعض النواب من ان يتناولوا الحالة الحاضرة بالنقد وقد يحرجون الحكومة .

تبيّن لي ان الإضرابات شملت عمال سكة الحديد وعمال المرفأ وعمال الريجي ، وان بالامكان معالجة الإضرابين الاولين بالتي هي احسن ، وقد توصّلت الحكومة الى ايجاد حلول قبل بها العمال وعرضت على موافقة الشركتين ، غير ان إضراب الريجي تَطوّر تطوراً سيئاً لحدوث ما لم يكن بالحسبان وذلك ان الشركة استجلبت كمية من التبغ من بكفيا

الى مستودعاتها في بيروت بغية تأمين حاجة المدينة منه ، ولما باشر الدرك تفريغ الكميونات ازدحمت الناس وحالت دون التفريغ . واضطرّت الشركة لأن ترسل كميوناً الى مستودعات فرن الشباك فوقف العمال دونه ومنعوه من السير ، فأنذرهم ضابط الدرك بعدم التعرض للعمل المشروع الذي تقوم به الشركة وأبوا الاذعان ، فأبلغ الضابط الخبر الى صائب سلام وزير الداخلية فأنجده الوزير بقوة إضافية وعَقَب الإنذارَ الاول إنذاران ثانٍ وثالث ، ولكن المتظاهرين أبوا الامتثال ورشقوا الدرك بالحجارة ، فأطلق هؤلاء النار باتجاه الارض إرهاباً ، ثم نشب عراك بين الفريقين اضطرّ الدرك الى الاطلاق على المضربين وقُتلت عاملة وسقط بعض الجرحى . وانتهى الحادث المؤسف عند هذا الحد غير ان حملة صحفية قاسية أثيرت على الحكومة وأحدثت ضجةً .

وأمام ذلك التيار الذي رافقه كثير من قلّة الانصاف تضامن الوزراء مع زميلهم صائب سلام وقرّروا ان يواجهوا المجلس النيابي في اول تموز ، وأدلى وزير الداخلية ببيان دافع فيه عن الموقف الذي وقفه هو والدرك ، وفرّق بين مطالبة العمال بحق يعتبرونه مشروعاً والقيام باعمال شغب لا مبرّر لها .

ولم تضطر الحكومة لطرح الثقة وانفضّت الجلسة .

استقبال كسروان :

اعتاد المطران يوحنا الحاج رئيس اساقفة ابرشية دمشق ان يحتفل بعيد شفيعه في الرابع والعشرين من حزيران ، وطلب اليّ ان أرئِس احتفال هذه السنة فقبلت الدعوة على ان يُرجأ الاحتفال الى الاحد ٣٠ من حزيران بسبب تغيبي في تركيا .

وفي الموعد المضروب غادر موكب الرئاسة بيروت قبيل الظهر وفيه نواب المنطقة ، ولم يصل الى ريفون الا بعد الساعة الواحدة لان جميع

قرى كسروان ارادت ان تحتفي بنا ، واضطرتنا الى التوقف في نهر الكلب ومفرق الزوق وفي كلٍّ من الزوق وعينطورة وجعيتا وبلّونة وعجلتون ، واهالي القرى يلهجون بالترحاب ويطلقون الهتافات والاهازيج والخطب والقصائد ، وتلاميذ المدارس تنثر الازهار في طريقنا . وقابلت الجميع بلطف وكثيراً ما كنت اذكر بين المستقبلين وجوهاً واسماء مما زاد في بهجة الاستقبال ورونقه . وبلغت حفاوة سيادة المطران حداً فائقاً اذ دعا الى الغداء في كرسيه الوزراء والنواب وكبار الموظفين ووجهاء المنطقة ووفود مختلف القرى وتبادلت واياه الخطب والانخاب على المائدة . وكان الشيخ فريد الخازن ينثر نكاته المستطرفة يميناً وشمالاً ، ولم اغادر هذه المنطقة العزيزة إلاّ في ساعة متأخرة وانا متأثر بالعواطف التي اظهرها لنا شعبها الكريم .

تعكر الجو بين الوزارة وعبد الحميد كرامي :

في اول تموز انتقلت على عادتي الى عاليه للاصطياف وصممت ان انتقل ايضاً الى قصر بيت الدين فأقسم اقامتي شطرين : قسم من الاسبوع في عاليه وقسم في بيت الدين ، مع إطالة الاقامة في القصر التاريخي كلما سنحت الفرصة .

وصرنا نعقد مجلس الوزراء في عاليه تسهيلاً على الوزراء ، خصوصاً وان طريق المديرج نهر الصفا بيت الدين كادت تكون غير سالكة بسبب الاصلاحات القائمة فيها على قدم وساق .

وقبل انتقالنا الى المصيف اضطررنا الى تعيين محافظ جديد لشمالي لبنان فكثرت المداورات ، واستطلعنا رأي عبد الحميد كرامي وتأرجح التعيين مدة ، كما يحدث غالباً في ملء المراكز الكبيرة في هذه البلاد الضيقة ، ثم وقع اختيار الحكومة على عبد العزيز شهاب احد القضاة فتسلّم مركزه وقام بالزيارات التقليدية مبتدئاً بعبد الحميد نفسه ثم زار

النواب الآخرين . فلم يرق هذا العمل لرئيس الوزارة السابق ولم يُخفِ امتعاضه وابلغ عتبه المر الى صديقه ومواطنه سعدي المنلا رئيس الوزارة والى صديقه ونسيبه صائب سلام وزير الداخلية ، أضف الى ذلك ان الشباب الوطني المنسوب الى عبد الحميد ارتكب بعض اعتداءات على افراد ينتمون الى حزب النداء القومي الذي يرئسه قبولي الذوق في طرابلس، وقد جرح هذا الاخير في أنفه . ولم يقف حزب النداء القومي مكتوف الايدي بل ردَّ على الاعتداء بمثله ووقعت بين الفريقين حوادث مؤسفة كنا بغنى عنها ، وقسمت نواب الشمال جبهتين ، وانفصل عن عبد الحميد كرامي عدد منهم ذو شأن ، بعد أن كانوا حزمة واحدة يوم نجحوا في انتخابات سنة ١٩٤٣ .

وشنَّ عبد الحميد وانصاره حملة على الحكومة وعلى المحافظ فتلبّد الجو . وحاولتُ كثيراً ان أقرب وجهات النظر بين الفريقين فلم أُوفّق .

وقابلني كرامي ، يرافقه هنري فرعون ، وقد ساءه أني نصبتُ ميزاناً لم ترجح فيه كفّتهُ على كفة منافسيه، وأصابني رشاش من تبرّمه ورذاذٌ من كربه ، واستعان عليّ بمن لي ! فسرت في طريقي مردّداً :

وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً   على المرء من وقع الحسام المهنّدِ

انتقالي الى بيت الدين :

المجلس يتابع جلساته .

دافعت الحكومة عن نفسها للمرة الثانية بسبب حوادث الريجي التي اشرنا اليها فنالت الثقة . وقد تناولت ببيانها قضية توزيع قرش الفقير، وأدلت برأيها في قانون العمل الذي يحسن حالة العامل ويلقي على عاتق رب العمل بأعباء مادية جديدة .

افضيت الى رئيس الوزارة برغبتي في الانتقال الى بيت الدين وألفيته

متردّداً . وباح لي بأنه غير مطمئن الى حالة الامن في الشوف فقلت له : سأنتقل الى القصر جزماً في ٦ من آب، ماراً بالقرى الساحلية وبكفرحيم ودير القمر ... وتم الانتقال بموعده . ولا تسل عن الاستقبالات التي رافقته فكأن الحياة عادت الى القرى الشوفية، بعد أن كاد البؤس يقضي على آخر رمق فيها منذ مغادرة المتصرفية لهـــا في آخر صيف ١٩١٤ ، وكان قد خيّم الجمود على قراها وتخرّبت طرقاتها ودبَّ الوَهن في جدران قصورها التاريخية وتعطّلت مرافقها وجَفّ ضَرعها . ولم تعد تذكر منذ ذاك العهد إلاّ ثقل عمال الحكومة عليها من جراء الحوادث الطائفية التي لطخت تاريخها بالدم وزادت العبء على سكانها ، وبلغ من الاهمال بها ان كادت تشطر عن جسم لبنان معنوياً ومادياً طوال اربعين سنة !

وما ان شاهَدَتْ معاول الاصلاح والعمران تعمل جادّةً في طرقاتها وآثارها التاريخية حتى عادت فانتعشت بعد طول الوَحشة والانقباض، وغمرت ربوعها موجة من الغبطة عبّرت عنها في الدامور ، وفي كفرحيم قاعدة المناصف الدرزية ، وفي دير القمر القاعدة المارونية . اما في بيت الدين فأقيمت معالم الزينة ونُثِرت الازهار ورُشّت العطور على موكب الرئيس، وسالت عواطف عرفان الجميل في نثر بليغ وشعر فصيح وأبياتٍ من الشعر العامي وأغانٍ واهازيج . وعادت الى القصر ذكرياته ، فجمعت ما تَمزّق ووصلت ما انقطع ، وكأني في حلم لا في يَقَظة ، فتمثّل في خاطري عهد المتصرفية الذي شهدته ، وبَعُد بي الخيال الى زمن الامير الخطير وعهد المعني الشهير .

وتقاطرت على قصر بيت الدين وفود القرى على اختلاف مذاهبها وميولها ونحلها ومللها ، وعرفت الكثيرين من القدماء ، وتعرفتُ الى وجوه جديدة من مشايخ الدروز ذوي « اللفات البيض » ، ومن المسيحيين اكليريكيين وعلمانيين ، ومن السنّيين اهالي اقليم الخروب . واستمرّت الاستقبالات اياماً كثيرة أرجعت الى القصر حياته ونشاطه ، وجرت

فيه مياه نبع الصفا على ما أسالها الامير من اكثر من قرن ، وغناها شاعره بطرس كرامة :

هـذا سبيلٌ رائق ماء الصفا منه جرى
رِدْهُ وفي التاريخ قُلْ : شُهْدٌ تَسَلْسَل جوهرا
(١٢٣٤ هـ = ١٨١٩ م)

وكان من سهولة البيان معنى ومبنى ان يقول قائل ، مقابلا :

« عهد بشاره بعهـد بشير » و « عهد الشيخ بعهد المير » !

وغصّت قاعة العمود بالزائرين والسائحين والمصطافين .

وفُتحت الابواب امام اصحاب المقامات العالية من مدنيين وروحيين ووزراء ونواب وممثلي الدول الاجنبية ، وكثرت الاستقبالات الرسمية في القاعات والحدائق . وأخذتُ أكثر التجوال في مناطق الشوف بالسيارة او مشياً على الاقدام ، وكثيراً ما وقفتُ لأحادث فلاحاً يحرث ارضه ، او عاملا يقتلع الصخور ، او شيخاً طاعناً في السن يستنشق الهـواء في الطريق، او كاهناً هرماً يتذكر سالف الايام .

واستقبلتُ اهالي بيت الدين رجالاً ونساء وأطلت الحديث معهم، سائلا عمن عرفتهم فيما مضى ، فمنهم الحي الذي ظلّ قادراً على العمل ، ومنهم من هاجر ، ومنهم من أُقعـد ، ومنهم من مات : « شو صار بابن سليم كرم ؟ »، « وين راح ابن فنيانوس ؟ »، « كيف الدهر على بيت مزهر ؟ »، « شو حصل لدكان اللحام شاكر ؟ »، « مين بقي من بيت الميرالاي ملحم ابو شقرا ؟ » .

وكانت اسئلتي تنزل على قلوب الزائرين كأنها البلسم الشافي . وصرت استيقظ باكراً وأصعد الى اعلى الضيعة في طريق الدورة ، وأرجـع من « القادومية » او « الدواية » وهي سلّم حجري مُتعب جداً . وأجدّد معرفتي بكل بيت ، وأستنطق الحجارة لعلها تعيد ذكريات الصبا، وآسف

ان حُبس « القنا » بقساطل من الاسمنت ، وأن قُطعت اشجار الجوز على ضفة القناة ، وأن قامت على « الشالوف » بناية من البتون مقام المقهى اللبناني القديم ذي القنطرتين ، وأن صارت « قشلاق الدراغون » قاعاً صفصفاً ، وأن تناولت يد الاصلاح سطح المطرانية ، وهي قصر الامير قاسم ، فغطّته بالقرميد ! واخذت أفكّر بالتقدم ينقل خطاه على ما بقي من آثار الماضي فأتساءَل : أليس من تجديد يُبقي على الجمال ولا يُشوّه المعالم ؟ اليس من تعايش بين القديم والحديث يحفظ للاول روعته ويُفسح للرخاء الذي يهدف اليه الثاني .

كرسي بيت الدين ودار المختارة :

يقول المثل العامي : « على الكتف حمّال » . وفي جوار القصر حمّالان لا واحد : صاحب الكرسي وصاحبة الدار . كان الاول، المطران اوغسطين البستاني ، على خصومة مع الدستوريين وبينهم مواطنه كميل شمعون ، وقد ساهم المطران سنة ١٩٣٦ وهو ينزع نزعته للكتلة الوطنية بتأمين الفوز للرئيس اميل اده بسلخه النائب حكمت جنبلاط عن الاكثرية التي كانت تؤيدني . واما صاحبة الدار السيدة نظيرة جنبلاط، فمشهورة بمساندة السياسة الفرنسية في الشوف، متفقة مع المطران المشار اليه ومع المستشارين الفرنسيين . ومن الحق ان يقال إن رجال الانتداب حفظوا « للست » ولبيتها جميلا بعد ان لقي زوجها فؤاد جنبلاط حتفه في كمين نصبه له « الطياح » من ابناء طائفته في وادي بعقلين — غريمه إذ طارده بنفسه وهو قائم مقام الشوف على رأس قوة من الدرك اللبناني .

وعرفان الجميل هذا تجسّم نفوذاً واسعاً وبعث لدار المختارة جاهاً عريقاً وجعل منها مرجعاً مرموقاً في الشوفين .

كان المطران بستاني رجلا حكيماً له مؤهلاته العديدة مع كياسة ولباقة تذكران بما كان يتصف به قدماء اللبنانيين في سوالف الايام .

فلم يجد غضاضة على نفسه بعد ان اصبح الاستقلال امراً واقعاً ان يماشي الوضع الجديد ، ولم يُخفِ ارتياحه للاصلاح الذي بدت طلائعه في ربوع الشوف ، وقد انتظر بفارغ الصبر انتقالي الى القصر ليظهر عاطفته وتقديره للاعمال القائمة ، فتقدم المستقبلين والمهنئين يصحبه مطران صيدا عن الروم الكاثوليك ولفيف الاكليروسين الماروني والملكي . وقد احسنتُ وفادته ووفادتهم . ولما خلا بنا المقام فاتحني بشأن علائق القصر بدار المختارة وسيدتها ، فوجد لديّ كل استعداد حسن، ولم يؤخّر زيارتها للقصر سوى تصريح ادلى به ولدها النائب كمال جنبلاط : وذلك ان كمالاً طلب بعد وصولي الى بيت الدين مقابلتي فعيّنت له موعداً ، وصباح يوم المقابلة قرأتُ بياناً له في الصحف يقول فيه بمناسبة المقابلة المذكورة « انه لن يقبل أية مساومة على الانتخابات المقبلة من أيّ شخص مهما علا مقامه » فألغيت المقابلة حالاً . قال كمال ذلك القول ولم اكن انا الداعي، ولم يخطر ببالي موضوع بحث معين ، ولم افكر ابداً بان احادثه عن الانتخابات . ولعلّه شعر بخطإه وتجنّيه عليّ فرغب ان يعوّض عنهما بعد ايام قليلة، فجاء فجأة الى القصر يصحبه صهره الامير حسن الاطرش وحبيب ابو شهلا وهنري فرعون والشيخ بيار الجميل . فقابلتهم بمزيد اللطف والإيناس وانتهزت الفرصة لأنصح لوارث البيت الجنبلاطي بوجوب إقلاعه عن بعض التخيّلات والاحلام والاوهام ، وبوجوب القيام بما يفرضه عليه مركزه . ومما قلته له : إننا نسير على الارض لا في الجو، وبمقدوره ان يساعد العهد الجديد على الاعباء الجسام التي اخذها العهد على عاتقه فيسهم هو بعمل فعّال في النهضة اللبنانية . وافترقنا على احسن حال وأفسح المجال لعلائق جديدة مع دار المختارة .

حفلات في بيت الدين وجوارها :

عسكرت فرقة من الجيش في اعالي بيت الدين في أراضي الكرسي الاسقفي واعجب الجميع بنزاهة جنودها وابتعادهم عن مس اي شيء حتى

المباح في العرف كالعنب والتين . وكان مطبخ الفرقة على محازاة المقصف قرب الماء الجاري المعروف بالنهر .

زرتُ الفرقة في خيامها وذقت طعام أفرادها ووجدته شهيّاً . وقام الجنود ، وهم من ذوي القوة والعافية ، برقصة « الدبكة » رقصاً مدهشاً ووزعتُ عليهم أطباق الحلوى ترفيهاً عنهم فقابلوا هذه المجاملة بكثير من الحماسة والسرور .

اقبل عيد سيدة النصر شفيعة كرسي المطرانية في ٨ من ايلول وانا في بيت الدين فدعاني راعي الابرشية لحضور القداس ولتناول الطعام على مائدته فقبلت الدعوة . وصدرت التعليمات لصبغ الحفلة بطابع رسمي ، فاصطف الجنود في مدخل الكرسي مع الموسيقى العسكرية . ملأ المطران خطابه بعد الانجيل ، وخطابه عند تبادل الانخاب على الغداء ، بالشكر والولاء ، وأجبتُ على عاطفته بمثلها ، وأعدت على مسامع الحاضرين ذكريات الماضي اللذيذة فارتاحوا كثير الارتياح الى سماعها .

واتفقت بلدية دير القمر مع قائم مقام المنطقة على دعوتي الى حفلة شاي تعقب زيارتي دير القمر فلبّيت . كنت قد مررت بها في طريقي الى بيت الدين واستقبلني اهلوها وبينهم جوزيف شمعون يتقدم الدستوريين ، ولم يتخلّف الا أقلية من المتطرفين المنتسبين الى الكتلة الوطنية . اما في الحفلة هذه فقد أجمع الديريون على استقبالي والالتفاف حول الرئيس، مما دلّني على سرورهم بالسياسة الاصلاحية الرشيدة التي دشّنها العهد الجديد في لبنان عامة وفي تلك المنطقة خاصة .

أقيمت حفلة الشاي في فندق الهنود وأُلقيت فيها الخطب من المحتفين، ورددتُ عليها بخطاب ذكرت فيه ما للديريين من خدمات في ماضيهم وحاضرهم ، وتمنيت لبلدهم زيادة الازدهار .

ويوم تذكار انتخابي رئيساً في ٢١ من ايلول، أُقيمت الزينات ورُفعت

الاعلام في بيت الدين والقرى المجاورة ، ولا سيما دير القمر وبعقلين . وفي الليل اكتست الجبال حُلـّة من الانوار في جميع مناطق الشوف ، كاليوم الذي وصلت فيه الى المنطقة . وصعدنا الى اعالي القصر نشرف على تلك المشاهد المفرحة ونشكر الله على وَحدة الصفوف وعلى إحياء العز الماضي في قصر الامير .

تركت بيت الدين في آخر ايلول قاصداً عاليه في طريق عين زحلتا وبرفقتي رئيس الوزارة سعدي المنلا ووزير الداخلية صائب سلام وبعض ممثلي الحكومة من مدنيين وعسكريين ، وتناولنا الغداء في فندق نجّوم بين اشجار الصنوبر الفاتنة ، وبعد استراحة قصيرة نزلنا الى نبع الصفا حيث أعدّ الاهلون للرئيس وصحبه استقبالاً حافلاً في احد الفنادق ، فاجتمع اهالي عين زحلتا والنبع واهالي الجوار من مجد المعوش حتى بُمهرَين للاحتفاء بنا ، ولسان حالهم تأييدنا في دأبنا لنضم جميع اللبنانيين الينا ، دون تفريق ودون ان نغمط حق احد او نصدّ احداً عنا .

ولا بأس بأن نشير هنا ، وقد ودّعنا بيت الدين ، الى ان الاستقبال فيها جرى طوال اقامتنا في قصرها على نطاق واسع جداً . وظلّت المائدة ممدودة ظهراً ومساء للجميع من وزراء مفوضين ورؤساء دينيين ووزراء ونواب ووجوه واعيان واصدقاء . وضافنا نزلاء في القصر منهم المطران انطون العبد والمطران عبدالله الخوري والمطران اغناطيوس مبارك . واتفق ان وقعت زيارة هذا الاخير يوم سبت فنام في القصر ، وفي اليوم الثاني اي الاحد اقام الذبيحة الالهية في قاعة الدار الداخلية المزينة بالرخام والفسيفساء (ويقال انها كنيسة الامير الخاصة) فلفظ سيادة المطران خطاباً بعد تلاوة الانجيل أخجل فيه تواضعنا وجعل مقامنا فوق مقام الامير ومَن سَلَفه ، وأشاد بصفاتنا الدينية والمدنية ، ودعا بتأييدنا وتأييد عهدنا الاستقلالي الزاهر تأييداً كاملاً . ولا شك في ان المطران كان مقتنعاً بكل ما قاله . وهكذا ودّعنا قبيل الغداء معتذراً

عن عدم قبول إلحاحنا عليه بتناول الطعام معنا ، وهمس في اذني انه مرتبط بدعوة من اميل اده للغداء على مائدته في صوفر بطريقه الى كرسيه في عين سعاده ، فودّعته بالاكرام ، مبتسماً ، وتمنّيت له شهيّة طيبة وعوداً احمد !

اعمال مجلس الوزراء :

لم يمنعني جمال الصيف في بيت الدين من متابعة العمل السياسي والاداري فبقيت اذهب الى عاليه لعقد جلسات مجلس الوزراء، وكانت اعماله كثيرة جداً في تلك الفترة خصوصاً وان الوزارة رغبت في اختصار الجهاز الاداري وتقليل عدد الموظفين عملاً بمطالب الاصلاحيين . واجتمع رئيس الوزارة واميل لحود وزير المال غير مرة يتدارسان الملاكات المضخمة ، والوظائف الزائدة في المديريات والمنشآت ، ولا سيما وزارة التموين حيث حشد منذ عام ١٩٤٢ موظفون لا حاجة لهم وكثير منهم قد عيّنوا بقرار وزاري او باشارة هاتفية، فتم الاتفاق على إلغاء بعض تلك الوظائف وصرف اصحابها ، ولما احتج هؤلاء اجابهم رئيس الوزارة بأنه نزل في عمله على رغبة لجنة الاصلاح، فما كان من هذه اللجنة إلاّ ان أعلنت على الفور بلسان حبيب طراد أمين سرّها انها لم تطلب مثل هذا الطلب ... وأنكرت لجنة الاصلاح ذلك على الرغم مما سبق لها ودّونته في مذكراتها الخطية الكثيرة ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم !

ومن الاعمال المهمة التي أتمّها مجلس الوزراء شراؤه من السلطة العسكرية البريطانية الخط الحديدي الممتد من الناقورة الى طرابلس (١). وقد طلبت السلطة ثمناً باهظاً لم نرض به ، وجرت بشأنه مفاوضة اظهر فيها وزير مالنا ثباتاً وليناً واستطاع تخفيضه تخفيضاً محسوساً وصار الخط ملكاً للحكومة اللبنانية بشروط ملائمة جداً .

---

(١) — راجع : ص ٢٣١

راجعني بعض النواب وانا لم ازل في بيت الدين بشأن انتخاب رئاسة المجلس في بدء دورة تشرين، ولحظتُ بادرةً جديدة بترشيح نائب غير شيعي لها، وان الانظار متجهة نحو حبيب ابو شهلا احد النواب الارثوذكس اللامعين، فلم امانع بذلك. ولكن الرئيس صبري حماده «برغت» من هذا الاتجاه، فنصحتُ له وهو الصديق القديم المخلص المقدام بأن من مصلحته الاحتجاب عن الرئاسة مدة فيما لو فاز منافسه بها. وهكذا كان. وفاز حبيب ابو شهلا باكثرية ضئيلة فتقبّل صبري حماده النتيجة بالروح الرياضية التي يتحلى بها، وتبادل الرئيسان القديم والجديد عبارات التهاني والتقدير.

زيارة الجنرال سبيرس لبنان والبلدان العربية:

اعلمتني المفوضية البريطانية بعزم الجنرال سپيرس زيارة البلاد العربية وفي مقدمتها لبنان، وهو آتٍ بدعوة من الجامعة العربية في اوائل تشرين الثاني، فدعوته للنزول في دار الرئاسة. ووصل في الموعد المعين واستقبلته بكل حفاوة وقضى في ضيافتي بضعة ايام اقمت اثناءها حفلات غداء وعشاء لاجمعه باصدقائه القدماء وأشرت عليه بأن يزور رياض الصلح نظراً لفتور العلائق بينهما اثناء مفاوضات الجلاء في لوندرة ففعل، وردَّ له رياض الزيارة في القصر وتناول الطعام معه على مائدتي.

اتاح لنا جو ذلك الخريف الدافىء نزهاتٍ كثيرة على الشواطىء البحرية في المنطقة الوسطى من لبنان، فعادت الضيف النشوة بالمناخ والمناظر الخلابة، وسرَّه ما لمسه بيده من حفاوة الاهلين بالرئيس في كل مكانٍ مَرّ به، دون اي استعداد سابق. وتبادلنا احاديث مهمة جداً تتعلق بشؤون العرب وقضية فلسطين خاصة، وسمعت منه ان غيرته على القضايا العربية لم تفتر يوماً واحداً، وانه مستعد ليضع امكاناته كلها في خدمتهم على الرغم من اخفاق حزبه في انتخابات البرلمان عام ١٩٤٥، وفشله هو في الرجوع الى مقعده النيابي.

ثم غادرنا الجنرال سپيرس متأثراً جداً من جميل الضيافة التي لقيها في لبنان عامة وفي قصر الرئاسة خاصة.

المشاكل بين رومة والبطريركية المارونية:

زارني المونسنيور مارينا القاصد الرسولي في استمبول في اول تشرين الثاني وبرفقته المونسنيور بافاني الملحق بوزارة الخارجية الفاتيكانية، واعلمني انه موفد بمهمة رسمية من الكرسي الرسولي ليبلّغ البطريرك الماروني كفّ يد المطران يوحنا الحاج رئيس اساقفة دمشق عن اعمال الابرشية، ودعوته الى رومة ليدافع عن نفسه في التهم الموجهة اليه، على ان يُعيَّن المطران اغناطيوس زيادة مدبراً رسولياً لكرسي دمشق. وزاد المونسنيور مارينا على ذلك ان البطريرك انطون عريضه تلقى قرار الكرسي الرسولي بمزيد الاشمئزاز. ثم طلب السيد مارينا مساندة الحكومة لتنفيذ قرار المجمع المقدس. فأجبته: ان مهمة الرئيس سياسية بحتة، ولا سيما ان اللبنانيين ينتسبون الى طوائف عديدة، وان لبنان يتمتع بحرية الاديان على اوسع مدى، وهذا يزيد في ضرورة حياد السلطة المدنية التام في جميع الشؤون الدينية، ولذلك فالرئاسة والحكومة تبتعدان عن التدخل فيما يتعلق بقرارات رومة التي تعني اساقفة الطائفة المارونية. ثم عقبت بان نواب البلاد رفعوا الى سدّة الرئاسة رجلاً مارونياً، وعليه فان هذا الرئيس يرى ان الفرصة سانحة له، بل انها لتوجب عليه، أن ينير الكرسي الرسولي ببعض الملاحظات امام تدبير مثل هذا. واسترعى كلامي انتباه الزائر، وطلب مني ان أُفضي اليه بما أراه فقلت:

الملاحظة الاولى: ان الطائفة المارونية تولي اعظم تقديرها لشخص قداسة البابا بوصفه خليفة السيد المسيح على الارض، وللصفات الرفيعة التي يتحلى بها، غير انها لا تعترف بتجرّد جميع معاوني قداسته، خصوصاً بعضهم الذين يتأثرون بتأثيرات سياسية غير رومانية ...

الملاحظة الثانية : لا اعرف ما هي التهم المنسوبة الى المطران يوحنا الحاج ولكني اعرف ان التواتر ينسب تهماً قاسية الى بعض اساقفة آخرين ، فكيف ترفع الى الكرسي البابوي الشكاوى من المطران الحاج وحده ، ويُغضّ النظر عن الشكاوى الاخرى ؟ قد يكون هذا التدبير الخاص نتيجة تواطؤ بين بعض ممثلي الفاتيكان وبعض خصوم المطران الحاج من الذين يدعون المحافظة على الدين المسيحي ، وهم لا يهمهم هذا الدين كثيراً ولا قليلاً .

الملاحظة الثالثة : ان الطوائف الشرقية الكاثوليكية تتمتّع بامتيازات عريقة في القدم وبطقوس خاصة ، فليس من المناسب التجاوز عليها إلا بمزيد الحذر والاحتياط ، ولضرورة ماسة .

الملاحظة الرابعة : ان الطائفة المارونية كانت ولا تزال الركن الركين والاساس المتين للكثلكة في لبنان وفي الشرق ، وعليه يجب الاهتمام بشؤونها بكثير من التؤدة لان كل هزة عنيفة تتعرض لها تؤثر حتماً في الكثلكة في هذه النقطة الحسّاسة من العالم .

شكرني المونسنيور مارينا على ملاحظاتي ووعدني بتقديمها الى الكرسي الرسولي .

وبعد ايام بلغني ان سعاة الشر اخذوا يدسّون في الاوساط الاكليريكية الغربية ان الحكومة اللبنانية سعت لدى حكومتي سوريا ومصر لعدم اعترافهما بالمطران ديب والمطران زيادة اللذين عيّنهما الكرسي الرسولي مباشرة ، وان مجلس الوزراء نظر في المشاكل القائمة بين رومة والبطريركية المارونية بغية التعرض لتدابير الفاتيكان . فدعوت المونسنيور مارينا والمونسنيور بافاني واكدت لهما ان شيئاً من هذا لم يحدث فشكراني تكراراً وغادرا لبنان . ولم يخطر على بالنا ان الاحوال ستزداد تعكراً مع البطريرك انطون .

مراحل الجلاء وتبادل التمثيل الدبلوماسي مع فرنسا :

يجدر القول إن الاتفاق بين الفرنسيين وبيننا على مراحل الجلاء نُفّذ بحذافيره قبل المهل المعينة ، ولم ينتهِ شهر آب الا ومعظم القوى المحاربة قد جلت عن البلاد ونقلت معها اسلحتها ومعداتها ، بعد ان قدّم الجيش اللبناني المساعدات المطلوبة منه وزاد عليها بغية الاستعجال . ولم يبقَ في البلاد سوى بضعة ضباط يشرفون على نقل الاعتدة ومعهم بضعة خبيرين لتفكيك الادوات الثقيلة التي قررت القيادة الفرنسية نقلها معها ، وكان بامكاننا ان ندفع ثمنها ونحفظها لجيشنا لولا انها فاقت حاجاتنا ولم يقبل الجانب الفرنسي بتجزئتها ، فاستغنينا عنها لنوفر على خزينتنا نفقات باهظة .

اقتنع الفرنسيون ان نتيجة الجلاء المحتمة تدعو الى سحب مندوبهم العام وتعيين وزير مفوض اسوة بجميع الدول الممثلة في لبنان . وقد سعى الجنرال بينه الى ان يبدأ التمثيل بتعيينه سفيراً لهم فأجبته بلطف وصراحة ان معنى السفارة قد تغيّر تماماً منذ الاستقلال التام ، ذلك ان مشروع معاهدة سنة ١٩٣٧ بين فرنسا ولبنان لم يبرم في حينه فلم يعد ذا موضوع ، واصبح تعيين السفير الفرنسي المنصوص عليه في مشروع المعاهدة المذكورة لا يولي فرنسا مركزاً ممتازاً ، وصارت الاسبقية للاقدمية لا للمنصب ، فاقتنع الجنرال ، ولما قابلني مستأذناً بالسفر طلب موافقة حكومتنا على تعيين المسيو أرمان دي شيلا مندوباً فوق العادة ووزيراً مفوضاً لفرنسا شأنه شأن ممثلي سائر الدول الصديقة ، فوافقت وزارتنا الخارجية على طلبه ووصل الوزير المفوض دي شايلا وقدم لي اوراق اعتماده وتبادلنا الخطب الودية في بدء عهدنا الجديد بعلائقنا بالفرنسيين ، تتمة لاخر مرحلة من مراحل الاستقلال .

وقد أحسن ممثل فرنسا تصرفه بالامور الموكولة اليه على رغمٍ من صعوبة مهمته ، ولم تحصر صعوبة هذه المهمة في التحول الجوهري الذي جرى في

طبيعة تلك العلائق فحسب، بل كانت في عقلية رجعيّة قديمة اراد اصحابها من سكان البلاد ان يكونوا فرنسيين اكثر من معتمد فرنسا نفسه . وكثيراً ما اضطُر، هو، لإفهامهم حقيقة التغيير الذي طرأ وهم يكابرون !

مباشرة اعمال المطار :

ان المطار الذي أنشأه المسيو دي مارتيل في بيروت لم يعد كافياً ليماشي التطور الحديث وصار غير صالح لاستقبال الطائرات الكبيرة التي اخذ حجمها يزيد يوماً بعد يوم بفضل الاختراعات المستجدة .

وكان المسيو ايكوشار المهندس الفرنسي الذي عهد اليه اعداد خرائط تجميل بيروت وضواحيها قد اختار موقعاً للمطار الجديد مساحةَ ارض تبتدىء عند تمثال الامير فؤاد ارسلان في طريق خلده الى محطة اللاسلكي هنالك ومنها الى صحراء الشويفات . واتضح بعد الدرس ان هذا المشروع يقضي على عدد كبير من اشجار الزيتون فاستشرنا خبيرين اميركيين في الامر، ودرسوا جميع خرائط التخطيط دراسة جدية وأفتوا بان الموقع الملائم هو الموقع الحالي، فاختير مطاراً عصرياً وقُدِّرت تكاليفه في ذاك الحين (وكان اقل مساحة بكثير مما هو عليه اليوم) باثني عشر مليون ليرة . فقدّمنا مشروع قانون بطلب اعتماد بالقسم الاول وقدره اربعة ملايين ليرة لاستملاك الاراضي (حزيران ١٩٤٦) ولم يبحثه المجلس الا في ايلول، واصطدم بمعاكسات كثيرة ولكن الحكومة أصرّت على مشروعها فأقر الاعتماد وبوشرت الاعمال على الفور . واحتاج العمل الى ماكينات قوية جداً فاستأجرت الحكومة بعضها واشترت بعضاً، كما ان الملتزمين اشتروا القسم الاخر للاعمال الجبارة التي يقتضيها تمهيد الرمال على مستوى واحد وازالة الصخور من تحتها . ووهم البعض ان المشروع جنوني لن تكتب له الحياة، وتوقّع اننا سنصير اضحوكة العالم بسببه ! ونسوا الثبات والايمان اللذين ينقلان الجبال وفي قلبنا اكثر من حبة الخردل، تلك التي ذكرها الانجيل الكريم .

سوريا الكبرى — غضبة المجلس النيابي اللبناني :

اصبح مشروع سوريا الكبرى مزمناً، وحكومة شرقي الاردن تثيره من وقت الى آخر وتحدث اثارته ردّة فعل في سوريا ولبنان . ورأى بعضهم ان لبنان خارج عن هذا المشروع وتساءل لاي سبب يعترض عليه كلما أثير . ولكن الامر على خلاف ما يُظن لان كل تغيير في الاوضاع القائمة في البلدان العربية من شأنه ان يضعف موقف لبنان، ولان شرقي الاردن يرغب في حالة تحقيق المشروع في ان يعاد النظر في الحدود اللبنانية كمرحلة اولى، واما المرحلة الثانية ففي استجماع دول الهلال الخصيب . وكفى الذين لا يرون في هذا المشروع خطراً على لبنان ما ورد في تصريح وزير خارجية شرقي الاردن في تشرين الثاني ١٩٤٦ من «ان لبنان في حالته الحاضرة قد ارغمت بعض المناطق والاقاليم منه على الانضمام اليه وعلى قبول شكل حكم معيّن .»

واثيرت هذه التصريحات في المجلس النيابي واول مَن أثارها النائب عبدالله اليافي، وقد تكلّم بصراحة ما بعدها صراحة اذ قال :

«... فأنا، بصفتي نائباً لبنانياً ونائباً مسلماً سنياً عن لبنان ونائباً عن بيروت، أعلن اننا في لبنان، نصارى ومسلمين، قد ارتضينا حالة لبنان الحاضرة بملء رضانا واختيارنا، واننا لا نبغي عن هذا الوضع بديلاً . وان تصريحي هذا يعبّر عن رغبة اللبنانيين جميعهم اكانوا نصارى او مسلمين . وهذه السياسة التي ارتضاها لبنان لنفسه قد تَمشَّت عليها الحكومات اللبنانية جميعها بدون لبس او إبهام، واختطَّت لنفسها ان تعلن عنها في كل مناسبة حتى اصبحت دستورها في برامجها الحكومية . ولا ازال اذكر كلمة دولة رياض الصلح وقد قال فيها: «ان لبنان في وضعه الحاضر هو صنع ايدينا، واننا سندافع عنه ضد الشرق والغرب» . (تصفيق) (١)

(١) — محضر جلسة ٢٦ من تشرين الثاني ١٩٤٦

وتوالى على الكلام بالمعنى عينه النواب جورج عقل ومحمد المصطفى وخليل ابو جوده وحميد فرنجيه، وكان هذا الاخير عنيفاً في رده اذ قال :

« ارى ان هذه القضية ، وبنوع خاص تصريحات وزير خارجية شرقي الاردن، تتمادى . واظن ان الرجل الذي صرّح يُعد مسؤولاً عن اقواله . لذلك اطلب من الحكومة ان لا تدع هذه التصريحات تمرّ دون ان توجّه احتجاجاً بخصوصها لدولة شرقي الاردن . لا سيما وقد اكّد لنا ممثل هذه الدولة منذ سنة عندما راجت مثل هذه الاشاعات انها فورة وانتهت ... حتى لا تتكرر هذه التصريحات التي لا اريد ان اصفها ... »

وعقبه النائبان كاظم الخليل ويعقوب الصراف وختم المناقشة رياض الصلح بقوله :

« اريد اضافة شيء على ما قاله الزملاء : « نحن قد تقبّلنا لبنان بكيانه الحاضر ، ومشينا في الصف الاول لتحقيق امانيه ، وسفكت دماؤنا في سبيل استقلاله، ولا يمكننا بأي شكل ان نرجع عما اردناه ...»

وأقر المجلس في نهاية البحث اقتراح استنكار قدمه النائب ألفرد نقاش .

وهكذا ظهرت للعيان مرة اخرى متانة الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني .

استقالة الحكومة :

كان سعدي المنلا قد القى في احدى جلسات المجلس بياناً عن سياسة حكومته عامة ، وعن سياستها الاقتصادية خاصة ، جرت على اثره مشادة بينه وبين بعض النواب ، وارجئت المناقشة فيه الى جلسة مقبلة . ثم جرت هذه المناقشة في جلسات ٣ و ٥ و ٦ من كانون الاول وحميت

المباحثات وفيها الكثير من التهجم على الوزارة وعلى رئيسها الذي اعاد الكرّة والقى بياناً ثانياً في الموضوع ، ولم تنته المباحثات في جلسة ٦ من كانون بل ارجئت الى الحادي عشر منه .

وبغتة فاجأني رئيس الوزارة وفاجأ المجلس بتقديم استقالته فور خروجه من الجلسة ! ذلك ان « حوصلته » ضاقت بالتهجم الذي عرض له ، وأبى ان يمثل امام المجلس ثانية واختار الانسحاب ليفسح المجال لسواه لتولي الحكم ...

وكنت بين امرين : اما ان اشكل وزارة ادارية بحتة تصرف الامور الجارية العادية وتشرف على الانتخابات في مطلع الصيف ، او ان استعين وزارة سياسية قوية للاشراف على الانتخابات ، ورأيت ان الانتخابات الآتية هي الاولى في العهد الاستقلالي ، وان التنافس فيها سيبلغ مبلغاً خطيراً قد يعرض البلاد لهزةٍ قوية لا يمكن ان تجابهها حكومة ضعيفة ، وان مثل هذه الحكومة الضعيفة تعرض الرئاسة فتحملها مسؤولية الانتخابات كلها . فاخترت الحل الثاني وشكلت وزارة لُقّبت بوزارة الجبابرة .

وزارة رياض الصلح الجديدة :

ان اول مَن يتّجه النظر اليه في ظرف كهذا هو رياض الصلح . كان في نظري خير من يتولّى الحكم لاستخدام مواهبه تكراراً ، بعد ابتعاده عنه ما يقارب السنتين دون ان يتولّى وزارة ما . ولا عجب ان يكون الوزير السني الاخر عبدالله اليافي ليدير وزارة العدل . وأُسندت وزارة المال الى كميل شمعون وزيرنا المفوض الغائب في لوندرة . ووُكل بوزارته اثناء غيابه وزير العدل . واشراك كميل شمعون في الوزارة دليل ساطع على نيتي الحسنة تجاهه على الرغم مما ثبت لي من ابتعاده عني ، دون ما سببٍ معروف لدي . وأُسندت نيابة رئاسة الوزارة مع وزارة

الداخلية الى صبري حماده . ووددتُ ان ادعو حميد فرنجيه ليتولى الوزارة المارونية الثانية ولكن حال دون ذلك التكتل الجزئي الذي اضطر اليه في الايام الاولى من الصيف ، حيث اجتمع مع محمد العبود ونصوح الفاضل ومايز المقدم لتأليف نواة لائحة انتخابية دون الرجوع الى عبد الحميد كرامي . وقد استاء عبد الحميد من الامر فرأيت ان لا يزداد استياءً ونفوراً من إشراك حميد فرنجيه في وزارة الانتخابات، فاسندت الى الدكتور الياس الخوري وزارة الصحة . وأعطي جبرائيل المر وزارة الاشغال بعد ان اعتذر حبيب ابو شهلا عن قبولها مؤثراً البقاء في رئاسة المجلس، وأُسندت وزارة الخارجية والمغتربين الى هنري فرعون ، واخذت الوزارة الدرزية دوراً مهماً عندما اطلعت رياض الصلح على نيتي ان اجمع بين النقيضين فيكون للدروز وزارتان احداهما للامير مجيد ارسلان والثانية لكمال جنبلاط ، وفي ذلك من التجدد ما لم يكن له سابقة تبرّره ، فوافقني رياض على هذا الرأي وأخذ على نفسه معالجة المسألة مع الامير مجيد ولكنه لم يصل معه الى نتيجة ، فأرسله اليّ وبيّنتُ له ما في هذا الائتلاف الدرزي على ابواب انتخابات نيابية من مغزى ومن نتائج حسنة تعود بالفائدة على البلاد وتريح بال الحكومة . فقال الامير انه «يظل في تصرفي وتحت امري» سواءً أكان في الوزارة أو لم يكن، وإنه يقبل دون قيد ولاشرط ان تُسند الوزارة الدرزية الى كمال فتحصل بذلك الغاية المتوخاة . ودعوت على جناح السرعة صديقي الامير عادل ارسلان واطلعته على ماجريات الامر وطلبت منه ان يتولاه بنفسه ، فتفهّم الموضوع ورأى رأيي ان من الحكمة ان يجتمع مجيد وكمال في وزارة واحدة ، وقضى ليله يعالج المشكلة حتى حلّها فأسندت وزارة الدفاع للامير مجيد ووزارتا التموين والشؤون الاجتماعية لكمال وكلتا الوزارتين في نطاق تفكيره .

وبعد تذليل جميع تلك العقبات صدرت المراسيم المقتضاة في ١٤ من كانون الاول ، وأدرك كل عاقل منصف ما في هذا التأليف من حسن التدبير . وأطلق على الوزارة الجديدة اسم «وزارة الجبابرة

الائتلافية» واستقبلها الرأي العام بكثير من التقدير والتفاؤل .

اقدمتُ ورياض على هذه التشكيلة الضخمة تهيئةً لكل طارىء . ولم يُعطَ بشر علم الغيب ، ولو أُعطيناه لما اقدمنا .

عقد المجلس النيابي جلسة في ٢١ من كانون الاول فمثلت الوزارة امامه وتلا رياض بياناً موجزاً نالت حكومته على اساسه ثقة إجماعية . وكان من اكثرهم تأييداً حميد فرنجيه ، وقد هنأ رياضاً على الائتلاف الذي حقّقه، «والذي لا يتسنى لغيره ان يحققه»، غامزاً من قناة عبد الحميد كرامي .

وفي تلك الجلسة فوجىء المجلس باستقالة النواب عادل عسيران ورشيد بيضون وكاظم الخليل احتجاجاً على عدم تخصيص الطائفة الشيعية بمقعدين وزاريين اسوة بالدروز ، واحتجاجاً ايضاً على اسناد الوزارة الشيعية الى صبري حماده صهر احمد الاسعد خصمهم اللدود في الجنوب . ولكن المجلس رفض قبول الاستقالة المذكورة بالاجماع .

اتمام الجلاء — الغاء المحاكم المختلطة — تنزيل سعر الخبز والغاء ضريبة غرش الفقير :

ما ان بزغ فجر اليوم الثلاثين من كانون الاول حتى كانت الفصيلة الاخيرة من الضباط الفرنسيين ومساعديهم الفنيين تغادر ميناء بيروت مشيّعة بالسلام العسكري وقد أدّته لها مفرزةٌ من الجيش اللبناني، فشكر الضباط الفرنسيون هذه الظاهرة الكريمة من اللبنانيين .

وقبل ان تنطوي صفحة الجلاء بدأنا مفاوضة الفرنسيين بشأن إلغاء المحاكم المختلطة، وهي الاثر الاخير للانتداب وللامتيازات الاجنبية التي فرضت على السلطة العثمانية منذ القِدم وورثناها عنها بحكم الضرورة كابوساً على ممارسة لبنان حياته الاستقلالية .

تهرب الفرنسيون بادىء ذي بدء بحجة ان المسألة لا تتعلق بهم وحدهم بل بالدول الاجنبية الكبرى ايضاً ، وهي شريكاتهم في تلك الامتيازات، فلم تستوقفنا هذه العقبة واخذنا نفاوض كلاً منها على حدة ، فاقتصرت مطالب كل منها على وجوب تطبيق قانونها الوطني فيما يتعلق بالاحوال الشخصية لرعاياها القاطنين في لبنان ، ولم يكن في هذا المطلب غضاضة على الاستقلال والسيادة لان المبدأ معترف به في الحق الدولي ، فقبلنا بتطبيقه في محاكمنا وأبلغنا الفرنسيين ذلك . وتَمَّ الاتفاق النهائي بيننا وبينهم على إلغاء المحاكم المختلطة وتقدمت الحكومة من المجلس النيابي بمشروع قانون مستعجل مكرر بهذا المعنى أُدرج في جدول الاعمال للجلسة المعينة في ٣٠ من كانون الاول .

وفي مطلع الجلسة ارجأ المجلس جدول الاعمال وانتقل الى مناقشة المشروع المستعجل المكرر . وفي هذه اللحظة دخلتُ المقصورة الخاصة بي في شرفة المجلس فوقف النواب وحيّيتهم جميعاً وجلست استمع الى اقوال النواب . أدلى عبدالله اليافي وزير العدل ببيان استهله بقوله ان الحكومة قدّمت الى المجلس والى البلاد ثلاث زهرات : جلاء الجيوش الاجنبية الجلاء التام ، تخفيض سعر الحنطة والدقيق[١] والغاء المحاكم المختلطة ، ثم تطرق الى التفاصيل . وتلاه وزير الخارجية شاكراً الدول الكبرى التي تنازلت عن امتيازاتها كلها وتكلم عدد من النواب وجرى الاقتراع فاقر القانون بالاجماع ، فقال رئيس الوزارة :

(١) — نتج هذا التخفيض من تنزيل في ثمن الاعاشة التي توزعها الحكومة على الاهلين ، ومن الغاء قرش الفقير ، وهو ضريبة فرضت على تلك الاعاشة بنسبة قرش واحد على كل كيلو يباع، وخصص ريع هذه الضريبة لاعمال الخير ولاعمال انشائية لم يلحظ لها اعتماد في الموازنة . والتدبيران ، اي التخفيض في الثمن والغاء القرش المذكور ، اقترحهما كمال جنبلاط وزير التموين على مجلس الوزراء ، وعلى رغم من تحميله صندوق الاعاشة نقصاً لا يستهان به ، فاننا لم نشأ رد الاقتراح كي لا يقال ان الحكومة لم تساهم في البرنامج الاجتماعي أو انها وقفت حجر عثرة في سبيله . ووضع بذلك مشروع قانون ادرج في جدول اعمال جلسة ٣٠ من كانون الاول . ولما طرح على المجلس اثار اعتراض نواب عديدين فأرجىء بحثه، ولم يصدق الا في جلسة ١٠ من كانون الثاني ١٩٤٧

« ... لقد ختمنا ايها السادة عهداً جديداً ، عهد محبة ووئام وسلام في الداخل والخارج . وافتتحنا عهداً اليوم كما افتتحنا سنة ١٩٤٣ عهداً برئاسة رئيسنا الحكيم الذي كانت له اليد الطولى، بل الاولى، فيما بلغناه. فهنيئاً لرئيسنا يشهد بعينه هذا العهد العظيم وهنيئاً للبلاد كلها ! »

وكانت كلمة الختام لرئيس المجلس فقال :

« ... ولا يسعني بهذه المناسبة إلا ان اسجّل فضل هذا المجلس على كل ما تمّ . ففي عهده تَمَّت جميع هذه الاحداث التي انتهت بنا الى مثل هذه النهاية السعيدة ، وانني اذكر انه في احدى الجلسات السابقة التي تليت فيها مواثيق الجلاء[١] شرّف فخامة رئيس البلاد فحضر تلك الجلسة ، وها هو اليوم يُشرّف فخامته بحضور الجلسة التي تعلن فيها نهاية الجلاء وجلاء جميع الجيوش الاجنبية عن اراضينا المحبوبة ، فباسمكم ارفع الى فخامته تحية الاجلال والاكبار ، فهذا قد تم في عهده السعيد، وقد اصبح هو في نظر لبنان والتاريخ رمز هذا العهد وعنوان كرامة البلاد واستقلالها ، وانني لارجوه ان يتفضل ويقبل تهنئة هذا المجلس على هذه النتيجة التي تمت في عهده وتحت قيادته وارشاده وحكمته ، وهي مِنّة الله علينا ، فهو يحرس لبنان ويحرسك يا فخامة الرئيس ! »

ثم رفعت الجلسة وانتقلتُ الى غرفة رئيس المجلس ووافاني اليها النواب جميعهم وتبادلنا الاحاديث الودية قبل الوداع والانصراف .

وغابت شمس ذلك النهار على تلك الاحداث الجليلة .

رخام نهر الكلب :

وانتهت سنة ١٩٤٦ بحفلة اخرى في نهر الكلب حيث مرّ الغزاة والفاتحون وسجّلوا على صخوره فتوحاتهم . وسَجّل لبنانُ الجلاءَ على

(١) — جلسة ١٣ من كانون الاول ١٩٤٥

رُخام حفر عليه هـذه العبارة البليغة ببساطتها :

«في ٣١ كانون اول ١٩٤٦ تمّ جلاء جميع الجيوش الاجنبية عن لبنان في عهد فخامة الشيخ بشاره خليل الخوري رئيس الجمهورية .»

في ذلك النهار السعيد عرضت الجنود المصطفين على جانبي الطريـق العام المؤدي الى جسر نهر الكلب ، ثم تقدمت في الساعة الحادية عشرة من الرخام المغطّى بالعلَم اللبناني فرفعته عنـه بينما الموسيقى العسكرية تعزف النشيد الوطني والعساكر تقدّم السلاح ، وكان يحيط بي رئيس المجلس والنواب ورئيس الحكومة والوزراء ورئيس الوزارة السورية وأفراد السلك الدبلوماسي بمـا فيهم ممثل فرنسا الجديد وكبار الموظفين من عسكريين ومدنيين ووجوه واعيان .

ثم ألقيتُ خطاباً ابتدأته بحمد الله تعالى على ما تمّ ، وختمته بفعل ايمان بلبنان ، وقد اشركت في تحقيق النتيجة التي وصلنا اليها جميع الذين اسهموا فيها ، وكان صدى المدافع يدوّي في الوادي التاريخي ، ولا يزال في اذني حتى الآن ...

وقد اغتبطتُ جداً ان رياض الصلح وقف بجانبي رئيساً للوزارة اثناء الاحتفاء بهذا الحدَث التاريخي . ولحظت على وجوه الحاضرين تأثراً بالغاً . ولم يظهر لبنان بمظهر حديث النعمة ، بل بدا على حقيقته كدولة عريقة بالمجد وجديرة في تحمل مسؤوليات الوطن الحر .

وعند انتهاء الحفلة انصرفت القوة العسكرية والهيئات الرسمية والجموع الى ساحة الشهداء في بيروت وانتظرت وصولنا . وبقيت مع رياض وحدنا على ضفة النهر نفكـّر في حوادث التاريخ ونعرض مجد الماضي الغابر ومجد الحاضر ، ونتطلع الى المستقبل بايمان حي شاكرين الله على لطفه فينا .

ولما أطلّ موكب الرئيس على ساحة الشهداء جرت المراسم الرسمية

وتقدمتُ من نـُصُب الشهداء ووضعت عليه اكليلا اعترافاً بفضلهم عـلى لبنان ، وهبّ الاهلون على الاثر الى تظاهرة ولاء وتأييد لم يسبق لها مثيل ، وراحت الهتافات تصعد من صميم الافئدة . وقد شققنا بعجز طريقنا الى السراية الكبيرة حيث أُجريت حفلة استقبال رسمية احيطت بمجالي الابّهــة والحفاوة . وأعلن رئيس الحكومة ذلك اليوم عيداً وطنياً .

جرى ذلك كله فلم نتم على الغار، ولم تأخذنا نشوة الظفر ولا أقعدتنا عن متابعة العمل، فالحياة جهاد كما ذكرت في خطاب ذلك اليوم، وهذه بعض فقراته :

« ما انتهى جهاد الا ابتدأ جهاد ، لان الحياة لا تعرف الركود ولا تتسامح مع المتواكلين المتخاذلين . الأعين شاخصة اليكم ايها اللبنانيون، والآمال معقودة عليكم ، ومذ أصبحتم ولاة امركم وأصحاب داركم — الارض ارضكم والعلَم علـَمكم والجيش جيشكم — أخذتم على انفسكم المسؤوليات الجسام وهي قسمة الرجال الاحرار في الوطن المحرَّر .

« فلا مفر لكم ولا ملاذ ، ولا ستار ولا سند ، إلاّ ما تصنعه ايديكم من تكاتف على العمل ، وتضامن في السير ، وعقد خناصر على الخير ، وتضحيةٍ دائمة في سبيل المصلحة العامة .

« فنكران الذات عندما يدعوكم داعي الوطنية ، وتناسي الضغينة والاحقاد عندما يدقّ النفير ، وصفوف متراصّة حسباناً للطوارىء ، تلك لا سواها تضمن لكم دوام نعمة الاستقلال ، كي لا تُملـَك عليكم اوطانكم وانتم عنها غافلون ... »

ثم قلت :

« وانه ليسعدني في هذا اليوم التاريخي ان نجدد ايماننا بلبنان ، اننا نؤمن بمن خلقه وأبدعه صورة من خلوده . نؤمن بسمائه وترابه

ومائه . نؤمن بصخره وبثلجه وبأرزه . نؤمن بجماله . نؤمن على الاخص برجاله في الوطن وفي المغترب . ونؤمن ايماناً حيّاً ان يد الله مع لبنان ليؤدّي على أتمّ ما يُرتجى رسالته التاريخية ... »

وفي نهاية النهار خلوت الى نفسي وعرضت بالذاكرة امام الله تاريخ الفتوحات التي مرّت على لبنان حتى قيّض لنا هذه النتائج الباهرة في وقت وجيز ، وتحرر الوطن من كل حكم او شبه حكم أجنبي ، فحسبت نفسي سعيداً جداً اذ تمت هذه الاحداث التاريخية على يدي ، انا الذي حلمتُ منذ صغري بهذه الساعة أقف فيها هذه الوقفة ، وأتلو صلاة ايماني بالله عز وجل وصلاةَ ايماني بلبنان !

المَلاحِق

الميثاق الوطني في خطب الرئيس

– ١ –

« ... فأسأل الله ، عزّ وجل ، ان يعيننا على خدمة هذا الوطن اللبناني المستقل ، المتمتع بسيادة كاملة غير منقوصة ، مهما كانت التضحية في سبيل هذه الخدمة كبيرة ، هذا الوطن اللبناني الذي نضع حبّه فوق كل شيء ، والذي يجب ان يظل للبلدان العربية المحيطة به جاراً اميناً واخاً صادقاً ، تربطه بها روابط تعاون يسوده الودّ والاخلاص ...

« ليس من عزلة ممكنة بعد اليوم لدولةٍ من دول الارض ، صغيرة كانت ام كبيرة ، فعلى كل امة حريصة على المحافظة على كيانها ان تخرج من عزلتها وتفهم حقائق الامور فهماً انسانياً شاملاً ... »

(في مجلس النواب ، على اثر انتخابي رئيساً للجمهورية في ٢١ من ايلول سنة ١٩٤٣) .

— ٢ —

« ... ان تلك المواقف وهذا التأييد ، يا صاحب السماحة ، وإنْ أتت فوراً صادرةً عن القلوب ، لدليل ساطع على شدة ثقتكم بالوطن اللبناني العزيز ، وشدة اعتقادكم بصدق النيات المخلصة التي اعرب عنها بجلاء ووضوح ذلك الميثاق الوطني الذي اشرتم سماحتكم اليه ، واعني : برنامج الحكومة الحالية ، الذي ايّده المجلس النيابي بالاجماع .

« هذا الميثاق ، على حدّ ما افصحتم عنه هو عهدٌ بين جميع اللبنانيين، على اختلاف طبقاتهم وميولهم : استقلال صحيح ، وسيادة قومية، ومحافظة على دستور البلاد ، لا انتقاص فيها ولا هوادة ، ومودّة خالصة، وتعاون وثيق بين الاقطار العربية ولبنان لمصلحة الجميع وعلى قدم المساواة ، وبروح العدل والانصاف .

« هذا هو العهد الذي قطعته الحكومة على نفسها، وارتضاه اللبنانيون ثقةً منهم بانفسهم ومصايرهم ، وايماناً بأن سياسة التفرقة والجفاء كانت ولا تزال اساس كل علّة .

« ان الخطة التي انتهجناها، بالاتفاق التام والتفاهم الصحيح مع الحكومة التي يرئسها دولة رياض بك الصلح ، انما رسمناها لانفسنا دون تردّدٍ يوم القت الامة بمقدّراتها السياسية بين أيدينا .

« وقد عاهدناها ، بعد ان عاهدنا الله ، على ان لا نخون للبلاد عهداً ولا نفرط في أمانة . وان نتفانى في العمل على تحقيق اهدافنا الشريفة ومُثُلنا العليا التي تنحصر في رغبتنا الاكيدة بان يعيش لبنان حرّاً مستقلاً سيداً ... »

(في ذكرى المولد النبوي في ٧ من آذار ١٩٤٤) .

— ٣ —

« ... اما (الشق) الخارجي فلقد راح يجاهد ورائده الاستحصال على الاستقلال، واستكمال الاستقلال، فكانت المفاوضات السياسية، والدبلوماسية، الرامية الى تدعيم مركز لبنان في مصاف الدول الكبيرة . وقد كان لنا ما نريد وبلغنا المنى ، ودخل لبنان فعلاً جامعة الدول المتحدة ، بعد ان كان قد دخل مستقلاً جامعة الدول العربية . ولما سرنا على هذه السياسة الاستقلالية الجريئة ، ودفعنا عن انفسنا تهمة العزلة والانعزال ، وتلفتّنا الى العرب الذين تجمعنا واياهم رابطة اللغة والعادات والاخلاق الشرقية والمصلحة والاماني ، لم يَعُدْ في لبنان سلبيون ولا إيجابيون ، لا مسلمون ولا نصارى ، بل اصبح اللبنانيون شخصاً واحداً ، لبنانياً ، قومياً ، استقلالياً ، عربياً ، وأكبر شاهد على ذلك ما رأينا في هذه البلدة التي لم تكن تهتف أو تصفّق لرئيس غير هذا الرئيس الذي ترى فيه رمزاً لجمهورية لبنانية استقلالية ، عربية ، ديمقراطية . وسرنا على هذه الخطة تجاه الغرب والشرق ، فمع الغرب اردنا استقلالاً صحيحاً لا معاهدة ولا ارتباطاً ولا امتيازاً ولا مركزاً ممتازاً ، بل نريد صداقة الجميع ، ومعاهدة مع الجميع على اساس النِدّ للنِد ، لان الدول لا تقاس بمساحتها وعدد سكانها ، بل بمقدار رقيّها ومدنيتها ؛ وأقرّ ان لبنان راقٍ ومتمدن كأعظم الدول الكبيرة .

وسرنا على هذه الخطة لا عن خوف ولا عن وجل ، ولا عن حقد او ضغن — لقد نسينا الماضي — بل لاننا اعتقدناها الخطة المثلى للسير ببلادنا على طريق سوي تجاه الدول الغربية والشرقية . وكما اردنا الاستقلال تجاه الغرب ، فقد اردناه كذلك تجاه الدول العربية الشقيقة ، فقلنا لها بصراحة وايمان : نريد استقلالاً كاملاً ناجزاً . وقد قدّروا هذا الموقف لانهم احرار يقدّرون الحرية . وهكذا مددنا لهم يداً نزيهة شريفة ، تلك اليد التي غُلّت عن ان تُمَدّ لهم طول ربع قرن ،

فكان لنا ولهم بفضل هذه السياسة ما اردنا وأرادوا ، لنتعاون ونجعل من الشرق بقعة للطمأنينة والنظام والمُثُل العليا ، وتسيير دفّته نحو السلام . »

(في مأدبة بلدية طرابلس في ٥ من تشرين الاول ١٩٤٥)

— ٤ —

« ... ولذلك اطلب منه تعالى ان يمدّ بايامكم حتى تروا هذا الاستقلال ناجزاً تجاه دول الغرب وجميع دول الغرب ، وناجزاً ايضاً تجاه دول الشرق وجميع دول الشرق . وانا شخصياً اعاهدكم على انني ما دمت على سُدّة الحكم لن أرضى وحكوماتي ان نُضحّي بشبر واحدٍ من اراضي لبنان ، ولا نقبل بأيّ انتقاصٍ من سيادته واستقلاله . »

(في الديمان على مائدة البطريرك عريضه في ٦ من تشرين الاول ١٩٤٥)

— ٥ —

« ... كان المسلمون في عهد الانتداب جِدّ حَذِرين، فلما تحقّقوا ان الرسالة استقلالية بحتة آمنوا بالاستقلال وبلبنان وصاروا من اول عمّاله .

ولما بزغ العهد الجديد خاف بعض النصارى ان يكون العهد مجحفاً بهم ، وخافوا ان يزول الانتداب فيكونوا عرضةً لأمر ما من الداخل .

ومن مصلحة الداخل ان يبقى لبنان مستقلاً ، ولذلك قلنا لاخواننا : نحن معكم ، ونماشي العروبة على ان تظل حقوقنا وحرياتنا محترمة تماماً ، فقالوا : نحن الى ما تريدون سبّاقون ، وما ذلك إلا لانهم احرار ويحبون الحرية . هذا هو العهد بيننا ، لا ننكث فيه ولا ينكثون .

فاطمأن العنصر المسيحي ، وقد لمستُ هذا الاطمئنانَ في مقرّ غبطة البطريرك انطون عريضة الذي تفتخر بشرّي بانتسابه اليها اذ قلتُ هنالك ما هو عهدٌ علي : « لقد نشدناه استقلالاً تجاه الغرب وجميع دول الغرب ، وتجاه الشرق وجميع دول الشرق ... »

(في وليمة بلدية بشري في ٧ من تشرين الاول ١٩٤٥)

— ٦ —

« وثقوا اننا اذا ما جاهرنا بالاستقلال الناجز منذ القت الينا البلاد مقاليد امورها، فإنما فعلنا ذلك عن عقيدة راسخة بحقنا الصراح بالحرية، ولأن الانتداب الذي فُرض علينا قد حان وقت زواله ، فقد بلغنا أشدّنا ولم نعد بحاجة الى وصيٍّ يسيطر على كل مقدراتنا السياسية والاقتصادية .

ولم نقصد من وراء ذلك استبدال انتداب بانتداب، مهما قالوا ومهما افتروا ، كما اننا لم نترك احضان الغرب لنرتمي في احضان الشرق . والدليل على ما نقوله اننا ننادي الآن بجلاء الجيوش الحليفة أية كانت في آن واحد، بدون تفريق او تمييز بينها، لا كرهاً بأحد بل رغبة في الحرية الصحيحة والاستقلال الحقيقي .

اننا ننادي بأن لا وصاية ولا حماية ولا رقابة، ولا معاهدة تمنح مركزاً ممتازاً لدولة على اخرى، ولا نقصد دولة مخصوصة بل جميع الدول على السواء .

والدليل على اننا لم نرتمِ في احضان الشرق انه لم يخطر على بال اخواننا العرب في وقتٍ ما ان نفقد كياننا بانضمامنا الى الدول العربية المجاورة عن طريق الاتحاد او الوحدة . واذا ما آمنا برسالة لبنان في البلاد العربية وانضممنا عن طيبة خاطر الى جامعة الدول العربية ووقّعنا على ميثاقها في القاهرة فقد فعلنا ذلك راضين مختارين، واشتراكنا في هذه

الجامعة انما هو اشتراك دولة مستقلة بحدودها الحاضرة المعترف بها من المتعاقدين معنا تعاقد النِد للندّ . ومـــا فعلنا ذلك الا لانه اتضح لنا اتضاح الشمس في رائعة النهار ، ان لا حياة لنا بالانفراد والعزلة عن اخواننا الذين تجمعنا بهم رابطة العادات ورابطة اللغة ورابطة المميّزات الشرقية العريقة ورابطة المصلحة والاماني التي تغلغلت في لحمنا ودمنا فجعلت منا امماً يوحّدها الهدف الاسمى . والذي دفعنا الى ذلك، وقد احتملنا في سبيله نقداً ولوماً من ضعاف الثقة والايمان ، هو يقيننا ان لبنان لا يستريح ولو سيّجناه بسياج من نار وحديد ما لم يكن في هذا الوضع الاستقلالي الناجز . والذي أهاب بالدول العربية الى الاعتراف باستقلالنا وحدودنا ، هو يقينها ان القائمين على العهد في لبنان صادقون فيما يقولون ويفعلون ، وان لا راحة لها ولا طمأنينة الا اذا كان لبنان على حالته الراهنة المستقلة الحاضرة .

فجامعة الدول العربية لم تُبنَ على الاوهام والخيال بل على تبادل المصلحة، وهي الاساس المتين في كل سياسة رشيدة . »

(من رسالة الرئيس الى المغتربين، في ٢٠ من تشرين الاول ١٩٤٥)

— ٧ —

« والذي يهمّنا جميعاً هو الاحتفاظ باستقلالنا المقدس . ان هـــذا الاستقلال الذي نفديه بالارواح والمهج نضمنه بحول الله ، وبقوة عقيدة رجاله ، هؤلاء الرجال الذين اذا تكلموا صدقوا واذا عاهدوا او تعاهدوا وفوا بالعهود .

واستعيد هنا ذكرى أليمة تعود الى عام ١٩٤٢ فأقول : عندما كنا في مصر في ذلك العام راح البعض يخلق الشوائع بأن لبنان سيكون عضواً في وَحدة او اتحاد ، ذلك لمجرد كوننا جعلنا من اهدافنا سياسة

استقلالية بحتة يصبح بها لبنان سيد شؤونه ومقدّراته . ولقد كان جميل مردم بك معنا في مصر حينذاك وكان يصرّح امام النحاس باشا وسواه بأنه لو كان جميع الناس في لبنان يفكرون كما يفكر بشاره الخوري لعدلنا عن المطالبة بشبر واحد من لبنان ولاعطيناه من اراضينا ما يريد . »

(على مائدة النائب يوسف الهراوي في ابلح في ٨ من تشرين الثاني ١٩٤٥)

- ٨ -

« ... وهذا الاستقلال يقول به جميع اللبنانيين ، ويحترمه جيراننا العرب الذين وضعنا يدنا بيدهم مختارين . ومع المحافظة على سيادتنا واستقلالنا ، سرنا معاً في سبيل هدف واحد ووقّعنا على الميثاق ، فلا هم يفكـّرون في الاستعباد ، ولا نحن نرضى بالاستعباد ، شاكرين الله الذي حفظ بعنايته لبنان في ماضيه وحاضره ، والذي سيحفظه في مستقبله باذنه تعالى . »

(في عيد شفيع الطائفة المارونية، في ٩ من شباط ١٩٤٦)

- ٩ -

« ... دستور منيع ، وسلطات محترمة ، وصلاحيات مقدسة ، وعدل يشمل جميع البيئات والفئات ، مبادىء وحقوق وواجبات يترتب على انسجامها احترام متبادل بين السلطات والجماعات ، وتوحيها روح طيبة في تدعيم كيان الحكم ، وفي توفـّرها قضاء على الدعوات الضارة ، وتدعيم للاستقرار المنشود ...

« ... فلبنان ، يا صاحب السماحة ، وطن الجميع وبيت الجميع واسرة واحدة للجميع ، مسلمه ومسيحيه عيناه وساعداه ، حكومته وشعبه

جنداه وحارساه ، موظفه ومكلفه خادماه وعاملاه ، والجميع مسؤولون امام الضمير والواجب عن تأييد استقلاله واستقرار احواله ، وصون كرامته وسيادته ، وإنّا على هذا العهد ، وعلى شرفه ... »

(في ذكرى المولد النبوي في ١٤ من شباط ١٩٤٦)

- ١٠ -

« ان عبارات الشكر عاجزة عن بيان العواطف التي اقابل بها هذه الثقة الغالية التي يجدّدها لي مجلسكم الكريم، وألمسها كل يوم في مظاهر تأييد الامة . ذلك كله يتجاوز ولا شك حدود الفرد الى ترسيخ عقيدة تختلج في صدور اللبنانيين وتتعلق بمبدإ الميثاق الوطني الذي اختطته الامة لنفسها يوم ولـّتني مقدّراتها للمرة الاولى في ٢١ ايلول سنة ١٩٤٣ ...

« ... فالماضي القريب هو التفاف الامة حول ميثاقها القومي . هو تضامنها في طلب الإلفة والوئام، هو نزعتها الصادقة الى تدعيم الاستقلال ، هو الانطلاق من العزلة الخانقة نحو التعاون الوثيق مع اخواننا وجيراننا في دنيا العرب ، هو العلائق الحسنة مع الدول جمعاء . هو الاشتراك في هيئة الامم المتحدة كعنصر فعّال لاحقاق المُثُل العليا . هو بموجز القول الاشعاع اللبناني في حقول التعاون الاقليمي والدولي على اوسع مدى ...»

(في مجلس النواب، في ٢٧ من نوار ١٩٤٨، لمناسبة تجديد الولاية)

- ١١ -

« عندما اولتني ثقة المجلس السابق مقدّرات البلاد لاول مرة في مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٣ حدّدتُ من على هذا المنبر التوجيهَ الجديد لسياسة العهد الاستقلالي، ذلك التوجيه المستوحى من طبيعة لبنان ووضع لبنان، معبّراً عن اماني اللبنانيين فكأننا وإياهم على موعد لاعلان ذلك

الميثاق الوطني الذي دمج العناصر اللبنانية دمجاً وانتظاماً، والذي سرنا عليه جميعاً بكل امانة واخلاص ...

« ... وفي الحالتين قطعتُ على نفسي عهداً علنياً بان اكون الخادم الامين للشعب اللبناني، لاسير به في مدارج الرقي والفلاح والاصلاح، وأحافظ على ذلك الميثاق الوطني الذي لا حياة للبنان بدونه . »

(في جلسة حلف اليمين الدستورية في مجلس النواب في ٢١ من ايلول ١٩٤٩)

- ١٢ -

« ... هل نسيتم، ايها اللبنانيون، اول وقفة لنا في المجلس النيابي نعلن فيها القضاء المبرم على حياة العزلة والانعزال، وننادي بالتعاون الوثيق مع اخواننا وجيراننا ابناء الدول العربية، مع المحافظة على سيادتنا واستقلالنا كاملين غير منقوصين، فكان بذلك الميثاق الجديد للبنان الجديد، ذلك الميثاق الذي تقبّله اللبنانيون مبتهجين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ونزعاتهم وميولهم، فكان لهم سُنّة مقدسة ودستوراً مختاراً واساساً ثابتاً قوياً بنوا فوقه صرحهم العالي العماد، الواسع الرحاب، المترامي الارجاء، فأشرق وجه لبنان ايّ إشراق ولا يزال، وعلا نجمه ولن يغيب . ذلك كان البعث للمجد الدفين .

« ... ومن جوار تلك القاعة الثانية التي انعقد فيها مجلس الادارة في عهد المتصرفية السنين الطوال، وقد نُقشت على جدارها آيةٌ محاها الزمان إلاّ من حافظة القليلين وانا منهم، وهذه هي الآية : « ولو شاء ربُّك لجعل الناسَ امةً واحدةً » . نُقشت، لتكون شعار وحدة وتفاهم بين ممثلي جبل لبنان المختلفي المذاهب بحكم النظام الاساسي .

« اوجه اليكم هذه الرسالة واقول معلّقاً على تلك الآية : خير لكم ايها اللبنانيون اذ خلقتم شيعاً مختلفة فوحّدتم انفسكم في الحق والمحبة من

أن تكونوا خلقتم امة واحدة فتفرقتم في الباطل والغَي والضلال، خير لكم ذلك من بعد ما جعلتم الميثاق الوطني شعاركم، ألا وهو تضامن الجهود للمحافظة على استقلال لبنان، وعلى الوئام والوفاق فيما بينكم، وعلى السلام يحييكم، وعلى رفع القيم الروحية فوق كل نعرة طائفية، اذ اصبحت اعيادكم الدينية في هذا العهد اعياداً وطنية تشتركون في إحيائها مبتهجين على السواء .

« واذا كان لي ما اوصيكم به ايها اللبنانيون في ختام هذه الرسالة فهو ان يفهم بعضُكم بعضاً، وان يخدم بعضُكم بعضاً، وان يتسامح بعضكم مع بعض، وان تنبذوا البَغْضاء والشَحْناء، وان تقدّروا احترام ارتباطات لبنان الدولية وحرمة الجار وقدسية الجوار، وان تنظروا الى العالم الغربي والى العالم الشرقي نظر الرجل الحكيم الذي يريد ان يكون اداة وصل وتعارف وخير، وثقوا أن اخوانكم العرب هم أبرّ بكم وأقرب اليكم، مَدَدتم اليهم يداً فمدّوا اليكم يداً، دون تبطين غاية ولا إضمار شرّ ... »

(رسالة الى الشعب اللبناني في ٢١ من ايلول ١٩٤٩ بمناسبة تجديد الولاية)

- ١٣ -

« ... ونستعيد اعذب الذكريات تيمناً بعهد بناه ايمان اللبنانيين بمستقبل وطنهم، وباستقلال ساهموا كلهم في طِلابه، وكان لسماحتكم ولطائفتكم الامينة مواقف مشرّفة في سبيله، وبميثاقٍ خطته ضحايا اللبنانيين بدمائها الغالية تحت راية من الالفة والوئام والاتحاد، اظلتهم بالاخاء، وهذا ما يؤلف بين قلوبهم، وما يجعل من اعيادهم الدينية مواسم وطنية تتجلى بها فيما بينهم عواطف الاخوة الكاملة، والاخلاص المجسم لعهد اسعدني الله بأن جعل من رئاستي فاتحة له كما ذكرتم، والله، جلّ جلاله انما اضفى نعمته علينا جميعاً، وكافأ جهودنا المشتركة، رئيساً وحكومة

وشعباً ، فالوجوه تغيب ، والولايات تنقضي ، والرئاسات تزول ، ويمضي الزمن في موكبه السريع ، يذهب البناة ويبقى البنيان ويبقى العهد ويبقى لبنان . »

(في احتفال الجامع الكبير بعيد المولد النبوي في مطلع سنة ١٩٥٠)

— ١٤ —

« ... فلكي تظلّ تلك الذكرى نيّرةً مُشرقة ، عليكم ايها اللبنانيون ان تتفهّموا جميع معانيها . ومن تلك المعاني : ميثاق وطني ، خُطّت سطوره المذهّبة بالتضحية والاستشهاد ، ولا يقوم إلا على الوئام والالفة والتساهل ، وعلى تعلّقٍ مكين بالقيم الروحية والاهداف الشريفة . فما طغت المادّة على قوم إلا وأصبحوا لها عبيداً ، وما تعلّق قوم بالقشور حتى خسروا القوة التي تجتمع في اللبّ والجوهر ، وما استسلموا الى حقدٍ او ضغينة حتى خفيت عليهم معالم الحق . »

(في ذكرى ٢٢ من تشرين الثاني ١٩٥٠)

— ١٥ —

« ... فتلاقينا بعد ان تاق احدنا الى الآخر ، وكأن العناية الالهية جعلت من هذا اللقاء بداية عهد جمع شمل الوطن ، ووحّد كلمة اللبنانيين ، ورصّ صفوفهم رصاً ، فانبثق الميثاق المقدس الذي هو حياة لبنان ، والذي هو لنا ، والذي يبقى بعدنا لبنينا . ولقد اردناه طاهراً لا تشوبه شائبة ، ولا يعكّره معكر ، فانبلج الدستور معدّلاً ، ودخلنا القلعة سجناء ، وبُعثنا منها احراراً ... »

(من تأبين المغفور له رياض الصلح في ١٨ من تموز ١٩٥١)

تعديل الدستور

اذيع الدستور اللبناني في ٢٣ من نوار سنة ١٩٢٦ وطرأت عليه تعديلات مختلفة في عهد الانتداب ، ولما انبثق فجر الاستقلال رأينا ان اول ما يجب عمله تعديل الدستور تعديلاً يتفق وسيادة العهد الجديد ويوطّد كرامته . وقد تمّ التعديل في ٩ من تشرين الثاني ١٩٤٣ [1] .

وهذا نص البنود التي عُدلت :

« المادة الاولى : لبنان الكبير دولة مستقلة ذات وحدة لا تتجزأ . اما حدوده فهي المعترف بها رسمياً من قبل حكومة الجمهورية الفرنسية المنتدبة ومن لدن جمعية الامم ، وهي التي تحده حالاً . »

نص التعديل :

« المادة الاولى : لبنان دولة مستقلة ذات وَحدة لا تتجزأ **وسيادة تامة** . اما حدوده فهي التي تحدّه حالياً . شمالاً : من مصبّ النهر الكبير على خط يرافق مجرى النهر الى نقطة اجتماعه بوادي خالد الصاب فيه على علو جسر القمر .

« شرقاً : خط القمة الفاصل بين وادي خالد ووادي نهر العاصي (اورونت) ماراً بقرى معيصرة — حربعانة — هيت — ابش — فيصان على علو قريتي برينا ومطربا . وهذا الخط تابع حدود قضاء بعلبك الشمالية من الجهة الشمالية الشرقية والجهة الجنوبية الشرقية ، ثم حدود اقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا الشرقية .

« جنوباً : حدود قضاءَي صور ومرجعيون الجنوبية الحالية .

(١) — راجع : ص ٢٧

« وغرباً : البحر المتوسط . »

« المادة ١١ : اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية في جميع دوائر الدولة، واللغة الفرنسية هي ايضاً لغة رسمية ، وستحدد بقانون خاص الاحوال التي تستعمل بها . »

نص التعديل :

« المادة ١١ : اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية . **اما اللغة الفرنسية فتحدّد** الاحوالُ التي تستعمل بها بموجب قانون . »

« المادة ٥٢ : مع الاحتفاظ بنص المادة ٣ من صك الانتداب يتولى رئيس الجمهورية الخ ... »

نص التعديل :

« يتولى رئيس الجمهورية المفاوضة في عقد المعاهدات الدولية وإبرامها ويُطلع المجلس عليها حينما تمكّنه من ذلك مصلحة البلاد وسلامة الدولة . اما المعاهدات التي تنطوي على شروط تتعلق بمالية الدولة، والمعاهدات التجارية ، وسائر المعاهدات التي لا يجوز فسخها سنة فسنة، فلا تُعدّ مُبرَمةً إلا بعد موافقة المجلس عليها . »

(ألغيت البنود الـ ٩٠ و ٩١ و ٩٢ لانها تتعلق بحقوق وواجبات الدولة المنتدبة . وأُلغي البند الـ ٩٤ لان فيه محاولة اتفاق مع الدولة المنتدبة لانشاء وكالة لبنانية في باريس .)

« المادة ٩٥ : بصورة موقتة وعملا بالمادة الاولى من صك الانتداب، والتماساً للعدل الخ ... »

نص التعديل :

« المادة ٩٥ : بصورة موقتة والتماساً للعدل والوفاق تُمثّل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون ان يؤول ذلك الى الإضرار بمصلحة الوطن . »

« المادة ١٠٢ : يوضع هذا الدستور في عهدة الجمهورية الفرنسوية بصفة كونها منتدبة من لدن عصبة الامم ، وقد الغيت كل الخ ... »

نص التعديل :

« المادة ١٠٢ : أُلغيت كل الاحكام الاشتراعية المخالفة لهذا الدستور . »

العلم اللبناني

نص البند الخامس من الدستور اللبناني المذاع في نوار ١٩٢٦ على ان « العَلَم اللبناني ازرق فأبيض فأحمر ، تتوسط الارزة القسم الابيض منه . »

وفي ٧ من كانون الاول ١٩٤٣ عُدّل هذا النص بقانون دستوري جديد هذا هو :

« المادة ٥ : العَلَم اللبناني أحمر فأبيض فأحمر، أقساماً افقية، تتوسط الارزة القسم الابيض بلون اخضر ، اما حجم القسم الابيض فيساوي حجم القسمين الاحمرين معاً . واما الارزة فهي في الوسط ، يلامس رأسها القسم الاحمر العلوي وتلامس قاعدتها القسم الاحمر السفلي . ويكون حجم الارزة موازياً لثلث حجم القسم الابيض . »

رسالة عميد السلك الدبلوماسي الى المندوب العام

« يبعث عميد رجال السلك الدبلوماسي بتحياته الى المندوب العام لفرنسة المحاربة ويتشرف باعلامه أنّ في اجتماع عقده رجال السلك الدبلوماسي ، بعد ظهر هذا اليوم ، تقرّر ما يلي : بناء على القرار الذي اتخذته المندوبية (الفرنسية) العامة بسحب الدعوات التي ارسلتها حامية فرنسة المحاربة في بيروت الى رئيس وزراء لبنان والى اعضاء حكومته لحضور العرض العسكري الذي سيقام غداً صباحاً لمناسبة العيد الوطني الفرنسي في ١١ من تشرين الثاني — ان رجال السلك الدبلوماسي الذين أُرسل اليهم مثل تلك الدعوات ايضاً ، يرون انه ليس من المناسب ان يحضروا شخصياً العرض العسكري المذكور .

ولكنهم يقرّرون — ناظرين دائماً الى الجهد الحربي المشترك بين الحلفاء، وهو الجهد الذي تشترك فيه حامية بيروت — أنه من المناسب ان يشترك في هذا العرض ممثلون عن جيوشهم . ان الممثلين العسكريين البريطانيين الذين سيحضرون العرض هم : الجنرال هتشكنس الملحق العسكري في حكومة صاحب الجلالة البريطانية وممثّلون آخرون سيعيّنهم خصيصاً الجيش التاسع .

اما الوفد العسكري الاميركي فسيكون من : الزعيم كنفورس والمقدم شبان (ممثّلَين اركان حرب الجيش الاميركي في القاهرة) ، ومن النقيب ماك برايد الملحق العسكري بالوكالة، ومن الملازم الاول لوك ضابط الارتباط في البحرية .

ولا يوجد لسوء الحظ في بيروت احد من ممثلي القوات المسلحة البلجيكية ، والمصرية ، والعراقية .

ان عميد رجال السلك الدبلوماسي يُجدّد للمندوب العام لفرنسة المحاربة تأكيد احترامه السامي[١] . »

---

(١) — مترجم عن الاصل الانكليزي . راجع : ص ٢٩ ، وكان عميد السلك الدبلوماسي يومئذ تحسين قدري وزير العراق في بيروت

المصالح المشتركة في يد اصحابها الشرعيين[١]

التصريح الرسمي الذي اذيع في دمشق وبيروت عن تسليم المصالح المشتركة الى الدولتين السورية واللبنانية :

« تباحث الجنرال كاترو مفوض الدولة هذا اليوم في دمشق مع اصحاب الدولة سعدالله بك الجابري رئيس مجلس الوزراء وجميل مردم بك وزير الخارجية وخالد بك العظم وزير المالية ممثلي الحكومة السورية، وصاحبي الدولة رياض بك الصلح رئيس مجلس الوزراء وسليم بك تقلا وزير الخارجية ممثلَي الحكومة اللبنانية . وتبودلت وجهات النظر في جو ودي كامل وتفاهم متبادل في حضرة صاحب الفخامة شكري بك القوتلي . وذلك بعد ان كان عقد اجتماع في بيروت بين الجنرال كاترو وممثلي الجمهورية اللبنانية في حضور صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية . وقد تم الاتفاق على نص هذا التصريح :

« تم الاتفاق في تاريخ هذا اليوم بين فخامة قائد الجيش كاترو مفوض الدولة المكلف بمهمة وبين ممثلي الحكومتين السورية واللبنانية على تسليم هاتين الحكومتين الصلاحيات التي تمارسها الآن السلطات الفرنسية باسمها وستنتقل بحسب هذا الاتفاق المصالح المشتركة وموظفوها الى الدولتين السورية واللبنانية مع حق التشريع والادارة، وذلك اعتباراً من اول كانون الثاني القادم .

« دمشق في ٢٢ كانون الاول ١٩٤٣ . الامضاء : كاترو . رياض الصلح . سليم تقلا . سعدالله الجابري . جميل مردم بك . خالد العظم . »

---

(١) — القى رياض الصلح هذا البيان في جلسة المجلس النيابي اللبناني في ٢٣ من كانون الاول ١٩٤٣ — راجع : ص ٧٠

اعلان لبنان الحرب على المانيا واليابان

في الجلسة التي عقدها المجلس النيابي بعد ظهر الثلاثاء في ٢٧ من شباط ١٩٤٥ ، أجمع النواب على القرارين الآتيين :

١

« يوافق المجلس الحكومة على طلبها اعلان لبنان الحرب على دولتي المحور ، المانيا واليابان ، اعتباراً من منتصف ليل ٢٧ شباط سنة ١٩٤٥ [١] . »

٢

« لما كان لبنان قد انتصر لقضية الدول الديموقراطية في نضالها ضد قوى الظلم والطغيان .

« وكان قد ساهم في المجهود الحربي مساهمة فعلية ، ولاقصى حدٍ ممكن ، وكان فعلاً بحالة حرب مع دولتي المحور المانيا واليابان منذ بداية الحرب الحاضرة ، وكان قد اعلن رسمياً هذه الحرب .

« ولما كان من حقه ان يُعتبَر في عداد الدول المشتركة في النضال الحاضر ، وان يشترك فعلاً في التنظيم العالمي المقبل اسوةً بسائر الدول .

« فالمجلس يقرر تكليف الحكومة القيام بالاتصالات اللازمة لتحقيق هذه الغاية [٢] . »

---

(١) و (٢) — وافق النواب على هذا القرار بالاجماع . راجع محضر الجلسة في الجريدة الرسمية : ص ١٦٩

ميثاق جامعة الدول العربية

تقرير لجنة الشؤون الخارجية النيابية عنه

« احالت الحكومة الى مجلس النواب بموجب المرسوم رقم ٣٠٠٠ بتاريخ ٣ نيسان ١٩٤٥ مشروع القانون القاضي بتصديق ميثاق الجامعة العربية الموقع عليه بتاريخ ٢٢ اذار ١٩٤٥ .

وعَقدت لجنة الشؤون الخارجية عدة اجتماعات لدرسه واستَمعت الى حضرة وزير الخارجية ، وهي تتقدم الآن بتقريرها :

ان ميثاق الجامعة العربية حَدَث عظيم في تاريخ البلاد العربية، فهو يختتم المباحثات والمشاورات التي بدأت في السنة الماضية، بناء على دعوة من الحكومة المصرية ، ويفتتح عهداً من الاخاء والتضامن والتعاون بين البلاد العربية .

ان هذا الميثاق الذي حَدَّد شكل التعاون بين البلاد العربية نتيجةٌ محتومة للروابط التي تربط بينها ، ولشعورها بالحاجة الملحَّة لتثبيت وتوثيق العلاقات القائمة بينها ، ولجهود رجالاتها المخلصين في سبيل تحقيق هذه الاهداف التي تتطلّع اليها الشعوب العربية منذ امد طويل ، والتي تَقبّلتها اليوم بغبطة وفخر .

وان لبنان لسعيد باشتراكه مع اخوانه في تحقيق هذه الرغبات، وفخور بمساهمته في الجهود المشتركة .

فالشعب اللبناني لم يكن في تاريخه الماضي والقريب بعيداً عن البلاد العربية ، فبالرغم من بعض الاوضاع الدولية التي لم يكن له فيها ضلع

او مسؤولية ، كان الشعب اللبناني وما يزال مجاهداً في سبيل استقلاله ، اميناً على روابط الاخوّة التي تربط بينه وبين البلاد العربية، عاملاً للتعاون معها في شتى الميادين .

وما ان تحرّر لبنان من هذه الاوضاع وامسى مستقلاً سيّد مقدراته حتى ساهم بكل قواه في تحقيق هذا التضامن الذي سيكون اداةً للقوة وللخير لجميع البلاد العربية على السواء .

ان المشاورات التي بدأت في القاهرة قد استهدفت غايتين : الاولى تأمين التعاون بين البلاد العربية ، والثانية **المحافظة على استقلال وسيادة كل دولة من هذه الدول .**

وانه ليمكننا القول إن الميثاق المعروض علينا يُحقّق هاتين الغايتين فقد جاء في مقدمته ان ممثلي هذه البلاد قد اتفقوا على عقد الميثاق : **« تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية ، وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على اساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها ، وتأييد هذا المبدأ في جميع مواده ، بصورة لا تقبل الجدل ولا الشك . »**

وقد نصّت المادة الاولى منه على ان الجامعة العربية تتألف من الدول العربية المستقلة ، وعلى « ان لكل دولة عربية مستقلة الحق في ان تنضم الى الجامعة . »

ونصّت المادة الثانية على ان الغرض من الجامعة « توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها ، وتنسيق خططها السياسية ، تحقيقاً للتعاون بينها ، وصيانةً لاستقلالها . »

ونصت المادة الخامسة على ان التحكيم **لا يكون ملزماً في كل خلاف يتعلق في استقلال الدولة وسيادتها او سلامة اراضيها .**

ونصت المادة الثامنة على ان « **تحترم كلُّ دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظامَ الحكم القائم في دول الجامعة وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدولة، وتتعهد بأن لا تقوم بعمل يرمي الى تغيير ذلك النظام فيها .** »

وكذلك نصّت المادة التاسعة على « ان المعاهدات والاتفاقات التي سبق ان عقدتها ، او التي تعقدها فيما بعد ، دولة من دول الجامعة مع اية دولة اخرى، لا تُلزم ولا تُقيّد الاعضاءَ الآخرين . »

ان هذه الاحكام الصريحة تُعبّر عن نيّة المتعاقدين بان **يُحترم استقلال وسيادة الدول المشتركة احتراماً تاماً مطلقاً لا شائبة فيه** ، وانه لمن الثابت ان هذه البنود تحقّق هذه النيّة تحقيقاً حاسماً لا لُبسَ فيه .

وإذا رجعنا الى الاحكام التي اصبحت نظاماً اساسياً للجامعة العربية، فاننا نرى بأنها تتوافق مع هذه القواعد وتحقّق الرغبة ذاتها .

فقد بُني هذا النظام على اساس السيادة المطلقة التي تمارَس بحرية كاملة وبادارة تامة .

فكل دولة من الدول العربية تشترك في الجامعة وتنسحب منها بمطلق إرادتها . (المادة الاولى والمادة ١٨)

وتشترك هذه الدول في إدارة الجامعة على قدم المساواة ، إذ ان المادة الثالثة حدّدت لكلٍ منها صوتاً واحداً مهما يكن عدد ممثّليها .

وقضى هذا النظام بأن تُتخذ القرارات بالاجماع . **اما ما يُقرّره المجلس بالاكثرية فلا يكون مُلزِماً إلا لمن يقبله .** (المادة السابعة)

وقد أوجد هذا النظام طريقةَ التحكيم لفضّ الخلافات التي قد تنشأ بين الدول المشتركة ، ولكنه جُعل اختيارياً ومتوقفاً على إرادة المتنازعين

بعرض الخلاف على مجلس الجامعة ، حينئذٍ يكون قرار المجلس مُلزماً .

وهذه قاعدة عامة مماثلة لقواعد التحكيم في الخلافات المدنية والعادية حتى بين الافراد .

ولكن المادة الخامسة زادت شرطاً اساسياً بأن يكون الخلاف الناشب غير متعلق باستقلال الدولة، او سيادتها، او سلامة اراضيها، اذ ان الميثاق **اعتبر هذه الامور ثابتة، مُسلّماً بها ، وغير قابلة لاي** خلاف او جَدَل او نزاع، حتى ولا التحكيم .

وهذه ضمانة عظيمة الاهميّة ، بعيدة المدى ، خطيرة المغزى ، اذ انها تَدلّ على الاخلاص الاكيد الذي تحسّه الدول المشتركة نحو بعضها البعض **وعلى النية الصريحة باحترام استقلال وسيادة كل دولة مشتركة وسلامة اراضيها بصورة نهائية ورسمية ، من شأنها ان تقطع دابر الاشاعات وتقضي على دسائس المغرضين وان تطمئن المترددين ،** وبالنتيجة ان تبرّر السياسة الحكيمة التي اتبعها لبنان منذ الساعة الاولى في العهد الاستقلالي الحاضر .

اما اغراض الجامعة فقد حددتها المادة الثانية . وهي تنحصر « في توثيق الصلات بين الدول المشتركة وتنسيق خططها السياسية ، تحقيقاً للتعاون بينها وصيانةً لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها » .

وقد فَصّلت الفقرة الثانية منها هذه الشؤون وعدّدتها وهي :

ا — الشؤون الاقتصادية والمالية ، ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وامور الزراعة والصناعة .

ب — شؤون المواصلات ، ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

ج — شؤون الثقافة .

د — شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين .

هـ — الشؤون الاجتماعية .

و — الشؤون الصحية .

اما طريقة التعاون في جميع هذه الشؤون فقد حدّدها النظام بأن يُعهد بدرسها الى لجانٍ خاصة ومن ثم تُعرَض على المجلس لاقرار النتائج وفيما بعد تتخذ شكل اتفاقات تبرمها الدول فيما بينها بالوسائل الدستورية المتّبعة عندها .

وانه لمن الواجب ان نشير الى اهميّة التعاون بين البلاد العربية في جميع هذه الشؤون .

فالبلاد العربية ، بحكم الروابط التي تربط بينها وحكم الجوار وتشابك المصالح وتَعدّد الاتصالات والمواصلات بينها وتبادل الحاجات والمنافع الاقتصادية والمالية وتماسك مرافقها ، لمضطرّة حتماً الى ايجاد اوضاع تضمن هذه المصالح وتُنسّقها لما فيه خيرها وعمرانها .

وليس امام لبنان إلا ان يسير في هذا التعاون الى ابعد واقصى حدّ، وان يجني منه الفوائد العميقة نظراً لموقعه الجغرافي ولمركزه الاقتصادي .

ليس هذا وحَسْب ، بل ان في هذا التعاون لضماناً قوياً لاستقلال كل دولة من الدول العربية، ولتحقيق امانيها وسيادتها حتى تصبح كاملة غير منقوصة .

لقد اثبتت الاحداث السياسية الاخيرة اهميّة هذا التعاون . وما موقف البلاد العربية تجاه محنة لبنان ، وما إسراعها لتأييده ونصرته ،

الا الدليل القاطع على ان البلاد العربية ، متضامنة ، ومتعاونة ، تشكـّل قوةً دولية وسياسية يستفيد منها كل قطر عربي .

ولو لم يتحقق هذا التضامن الاخوي باي شكل كان ، لكان كل بلد من البلدان العربية ضعيفاً امام الاحداث والمطامع السياسية التي كانت حتى اليوم عقبةً كأداء في سبيل تحريرها واستكمال استقلالها وسيادتها وتبوّئها المركز الدولي اللائق بها وبكل امة حرة ذات سيادة .

وقد تجلـّى هذا التعاون حديثاً عندما أهملت دعوة سوريا ولبنان الى مؤتمر سان فرنسيسكو فكان لموقف البلاد العربية ولمساعيها الاثر الحاسم في إعادة الحق الى نِصابه .

واننا لواثقون من ان هذا التعاون سيكون عظيم الشأن في جميع المؤتمرات الدولية الآتية ، تعمل فيها جميع دول الجامعة لتحقيق اهدافها، ولدرء الاخطار عنها ، وللمساهمة في تنظيم السلام العالمي وجميع الاوضاع الدولية المقبلة .

وَضَع الميثاق ملحقاً خاصاً بفلسطين ، فاعتبرها مستقلةً واعتبر هذا الاستقلال محجوباً لاسباب قاهرة، وقرّر إشراكها في مجلس الجامعة بواسطة ممثـّل يتولى المجلس اختياره الى ان يتمتع القطر الشقيق بممارسة استقلاله .

ان قضية فلسطين تهمّ البلاد العربية في الدرجة الاولى . فلبنان ، حكومةً وشعباً ، قد وقف صراحة بجانب اخوانه في هذا القطر العزيز، وايـّدهم في كل مناسبة . وهو يعتبر ان قضيتهم هي قضية الجميع ، وان أمام الجامعة العربية مهمةً مقدسة ، ألا وهي الدفاع عن فلسطين وعن اخواننا العرب للحيلولة دون الانتقاص من حقوقهم ، ولتحقيق امانيهم الوطنية والمشروعة ، حتى تصبح فلسطين دولة مستقلة ذات سيادة أسوةً بسائر البلاد العربية .

ان لبنان لسعيد بان يشترك مع اخوانه في هذا الجهاد المقدس .

هذا هـــو الميثاق الذي صدقته لجنة الشؤون الخارجية في جلستها المنعقدة في ٥ نيسان باجماع اعضائها الحاضرين ، والذي نرجو من المجلس ان يُبرمه .

لقد اثارت المشاورات الاولى وبروتوكول الاسكندرية وهذا الميثاق جَدَلاً في الاوساط اللبنانية .

فالبعض وَجَد فيها مساساً باستقلال لبنان وسيادته ، والبعض الآخر لم يجد فيها تحقيقاً لاماني القوميين الكاملة في توثيق التعاون وتوطيده بصورةٍ اصرح واقوى .

لقد رأينا بان لا محل لمخاوف الاولين فالميثاق الذي نصدقه اليوم يحقق التعاون **ويحترم استقلال البلاد وسيادتها** فليس فيه اي تكتل سياسي كما توهم البعض، **وليس فيه اي افتئات على سيادة البلاد،** بل هو بالعكس يتضمن **تأييداً لهذه السيادة باجل معانيها** . ويحق للبنان ان يعتبر هذا الحدث نجاحاً باهراً للسياسة التي تمشّى عليها في هذا العهد الاستقلالي ، ودليلاً على الاخوة الصحيحة التي تربط بين جميع البلاد العربية .

اما الذين وجدوا في الميثاق تراجعاً عن البروتوكول، او وجدوه غير محقـّق لامانيهم الكاملة في تعاونٍ أوثق وامتن ، فان العبرة في تقدير جميع هذه الامور هي في جوهرها وليس في ظاهرها .

ان الميثاق نتيجة لفكرة ومبدأ وعقيدة تـَلـَخّص في تأمين التعاون بين البلاد العربية على اساس احترام استقلالها وسيادتها كما حدّده البروتوكول اولاً والميثاق فيما بعد .

فالعبرة ليست في النصوص ، والقيمة الحقيقية ليست في الاحكام والشروط ، بل العِبرة في الهدف وفي النوايا .

فكم من معاهداتٍ واتفاقاتٍ وعقودٍ تضمّنت احكاماً وثيقة ونصوصاً متينة وشروطاً منمّقة ، واعتقد واضعوها بصلاحها وبالخير فيها ، ومن ثم فشلت حين التطبيق وأنتجت سوءاً وضرراً واوجدت منازعاتٍ وخلافات .

لذلك يمكننا القول بان الفكرة الاساسية التي دارت حولها المشاورات اولاً ، والتي وضع أُسُسَها بروتوكولُ الاسكندرية ثانياً ، قد حققها الميثاق وستنفّذها الجامعة .

فما علينا اذن الا ان نجعل من هذا الميثاق أداةَ تعاونٍ صحيح ، ومتى كان الاخلاص رائد الجميع ، كما ثبت حتى الآن ، فسيحقّق هذا الميثاقُ آمالَ العرب جميعاً، وسيكون هذا العهد الجديد عهد عزة وكرامة وعمران لجميع البلاد العربية المستقلة على السواء .

بيروت في ٦ نيسان سنة ١٩٤٥

المقرر الخاص : **حبيب ابو شهلا** » اه[1]

(١) – محضر جلسات مجلس النواب في سنة ١٩٤٥، ص ٢١٢ – ٢١٤

دعوة لبنان الى مؤتمر سان فرنسيسكو

« يسرّني ان ابلّغ المجلس الكريم ان لبنان قد اعتُبر في عداد الامم المتحدة ، ودُعي بهذه الصفة الى مؤتمر سان فرنسيسكو .

« ان الحكومة ، على اثر اعلان لبنان الحرب على المانيا واليابان ، قامت بالاتصالات اللازمة وبذلت المساعي لاعطاء لبنان مركزه بين الدول المستقلة .

« وقد تلقت وزارة الخارجية بتاريخ ٢٩ اذار ١٩٤٥ من السيد جوزف كرو وزير الخارجية بالوكالة لحكومة الولايات المتحدة الاميركية ردّاً على مذكرتها يتضمن ان حكومة الولايات المتحدة ، بصفتها امينة على الميثاق ، هي سعيدة لقبول لبنان رسمياً في مصاف الامم المتحدة .

« وفي يوم السبت الواقع في ٣١ اذار سنة ١٩٤٥ أودعتنا المفوضية الاميركية في بيروت الدعوة الرسمية للاشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو، موجّهةً الى الحكومة اللبنانية من قِبل الدول الاربع الداعية بواسطة حكومة الولايات المتحدة .

« ايها السادة ، ان اتخاذ لبنان مكانه في مؤتمر سان فرنسيسكو بين الامم المتحدة لدليل ساطع على ان وثيقة الاطلسي قد دخلت في حيّز التنفيذ ، وان الدول المستقلة اصبح لها صوت في تنظيم العالم ، كبيرةً كانت ام صغيرة . وهذا فوز جديد للبنان نسجّله للدول الديموقراطية المناضلة في سبيل المُثُل العليا ، كما نعتبره جلاءً لحالة غامضة عشنا فيها زمناً . واننا نرسل في هذه المناسبة خالص شكرنا الى جميع الدول التي كان لمساعدتها الاثر الفعّال ، ولا سيما الدول العربية الشقيقة ... »

من بيان وزير الخارجية في جلسة المجلس النيابي في ٧ من نيسان ١٩٤٥[1] ..

(١) – محضر الجلسة : ص ٢١٥ .

بلاغ يتعلق بنقل الجيوش الخاصة الى الحكومتين السورية واللبنانية :[١]

« ان الحكومة الموقتة للجمهورية الفرنسية ، الراغبة في إجابة الطلب المتقدم من الحكومتين السورية واللبنانية ، والمتعلّق بأخذهما على عاتقهما أمر الوحدات العسكرية المجنّدة محلياً ،

« وتمنّياً منها ان تُظهر للحكومتين السورية واللبنانية ارادتها في التوافق ، وذلك باعطائهما ترضيةً كاملة في ما يتعلق بهذه الوحدات ،

« واعتباراً انه ، نظراً الى انتهاء الاعمال الحربية في اوروبة ، ليس ما يمنع بعد الآن من تحقيق رغبة لبنان وسورية المشروعة بأن تُنشئا جيشين وطنيين ،

« وشعوراً بسرورها بان ترى سورية ولبنان متمتعين بجميع ميّزات السيادة ليتمكّنا من القيام بالدور الذي يعود اليهما في مجموعة الامم المتحدة ،

« تعلن (فرنسة) ان هذه الجيوش (المجندة محلياً) قد انتقلت الى الحكومتين السورية واللبنانية تَبَعاً للكيفيات التي ستحدّد في مدة خمسة واربعين يوماً على الاكثر » اهـ .

(١) — اذيع هذا البلاغ في الثامن من تموز ١٩٤٥

بروتوكول تسليم وحدات الجنود المتطوعين للحكومة اللبنانية

« ان الفريق پول بينه ، الحامل وسام جوقة الشرف من درجة ضابط كبير ، والمندوب العام المطلق الصلاحية لفرنسة في المشرق ، والمفوض منها ،

وفقاً للبلاغ الصادر باسم هذه الحكومة بتاريخ الثامن من تموز ١٩٤٥ (ملحق ١)[١] .

يُعلن ان جميع القوات العسكرية من جميع الاسلحة التي كانت تؤلف سابقاً جيوش المشرق الخاصة ، والمفصّل تأليفها في الملحق الثاني ، قد انتقلت هذا اليوم ، في الساعة الصفر[٢] ، الى حكومة الجمهورية اللبنانية التي اخذت فوراً على عاتقها امرها وقيادتها .

ان تسليم العسكريين المتطوعين بعقود إضافية يكون موضوع تدابير خاصة .

ان حكومة الجمهورية اللبنانية تعترف بان في كل وحدةٍ من الوحدات المحولة اليها قد تسلّم مندوبوها المفوضون منها ، والمذكورة اسماؤهم في الملحق الثالث ، من ايدي السلطات العسكرية الفرنسية ، الرجالَ والمُعدّاتِ الموجودة فعلاً في تاريخ هذا اليوم ، وذلك وفقاً للإبراء الذي اعطاه المندوبون (اللبنانيون) للسلطات العسكرية (الفرنسية) التي سلّمتهم اياها .

(١) — هو البلاغ المنشور قبل هذا البروتوكول، في الصفحة السابقة

(٢) — هو الوقت الذي يقع في منتصف الليل بالضبط .

ان الحكومة الموقتة للجمهورية الفرنسية تحوّل الى حكومة الجمهورية اللبنانية ، فتقبل هذه منها : جميعَ التبعات التي كانت ملقاة عليها وكانت تمارسها لحساب الجمهورية اللبنانية بموجب القرار ٣٠٤٥ الذي يؤلف نظام الجيوش المُسلّمة .

ان مجموع المُعدّات العسكرية ، من كل نوع ، الموجود لدى الوَحدات المحوّلة بتاريخ الاول من آب ١٩٤٥ في ساعة الصفر ، قد سُلّم الى السلطات العسكرية المنتَدبة رسمياً من حكومة الجمهورية اللبنانية، وذلك مع التحفظ الصريح : بأن اتفاقاً لاحقاً ، وبحضور الطرفين ، يجب ان يتمّ بين الجمهورية الفرنسية والجمهورية اللبنانية لاجل تعيين القيمة التي يجب أداؤها للحكومة الفرنسية ، ثمناً لجميع اللوازم المُسَلّمة ، والمُتَسلّمة ، في هذا اليوم، عِلاوةً عن المُعدّات التي سدّدت الحكومة اللبنانية قيمتها تسديداً قانونياً قبل الاول من ايلول سنة ١٩٣٩ .

بيروت في ١ من آب ١٩٤٥ » اه .

حديث مع الجنرال كاترو (١)

موسكو في ٤ كانون الاول ١٩٤٦

« عدد ١٠٦

الموضوع : حديث مع الجنرال كاترو .

معالي وزير الخارجية الافخم :

ضمّني عشاء رسمي امس مع الجنرال كاترو سفير فرنسا في موسكو الذي عاد حديثاً من باريس، وكان مركزي الى المائدة بجانبه، فتحدثنا طويلاً الى ان فتح الجنرال حديث ايام تشرين الثاني ١٩٤٣ والحوادث التي جرت فيها والدور الذي لعبه هو، قال ما خلاصته : « ان المسؤول الاول عن هذه الحوادث هو ديغول شخصياً، ثم حماقة هيللو ومن احاط به من موظفين فرنسيين وبعض اللبنانيين، وكذلك اميل اده الذي اعتقد ان الفرصة سنحت له لارواء غليله السياسي . عندما جـاء هيلّلو الى الجزائر في اواخر تشرين الاول ١٩٤٣ وبقي فيها حتى اوائل تشرين الثاني عنّفه الجنرال ديغول تعنيفاً قاسياً على تراخيه في الاحتفاظ بمركز فرنسا في لبنان وسوريا، فاخذ يشكو هيللو من ان الحكوهة الفرنسية الموقتة اي نحن لم نعطه الصلاحيات الكافية للعمل . فاجتمع مجلس الوزراء الفرنسي في الجزائر وناقشتُ هيللو شخصياً مناقشة طويلة في ما يطلبه من صلاحيات، وكان يؤيدني دائماً ماسيغلي، فطلب هيللو إطلاق يده في التصرف في لبنان كما يريد، وايّده ديغول شخصياً، لكننا نحن عارضنا . واصررت انا على موقفي فكتبنا تعليمات معتدلة جداً لهيللو، صغناها في قالب قرارات مجلس الوزراء المنعقد ووقعناها جميعنا وسلمناه اياها ليعمل بموجبها . »

(١) – من خليل تقي الدين وزير لبنان المفوض في موسكو الى وزير الخارجية في لبنان

قلت : « ايسمح لي حضرة السفير ان اسأله هل كان في هذه التعليمات شيء يدعو الى تدخل ممثلكم في بيروت مثل هذا التدخل العنيف (Brutal) الذي فعله ؟ »

قال الجنرال : « كلا قطعياً . وما دمت تحب ان تعرف شيئاً عن التعليمات اقول لك ان جزءاً منها كان يتعلق بالموقف الذي كان علينا ان نقفه في حالة تعديل الدستور اللبناني من قبل مجلسكم . فقد اشرنا على هيللو ان يُصدر قراراً يتحفظ فيه باسم فرنسا ويعتبر قرار مجلسكم عملاً صدر عن طرف واحد من الطرفين اللذين هما لبنان والدولة المنتدبة . »

وتابع الجنرال قائلاً : « اعتقدت انا ان الامر انتهى عند هذا الحد . ولكنني لم اعرف يومها ان ديغول عاد فاجتمع بهيللو في خلوة لم يحضرها احد . وفي يوم ١١ تشرين الثاني حملت انباء شركة رويتر خبر اعتقال الرئيس والحكومة في لبنان . فذهبت من فوري الى ديغول وطلبت اليه ان اذهب حالاً الى بيروت لاسوّي الحالة، وأضع حداً لهذا العمل الجنوني . وفي هذه المقابلة مع ديغول اتضح لي ان هيللو كان بينه وبين ديغول شيفرة خاصة غير الشيفرة التي كانت بينه وبيننا بصفته مندوباً سامياً، كما اتضح لي ان ديغول كان قد اطلق يد هيللو إطلاقاً تاماً رغم تعليمات مجلس الوزراء .

« كان ذلك اليوم يوم خميس، فقال لي ديغول: موافق، ولكن غداً الجمعة ينعقد مجلس الوزراء فندرس الامر وتسافر انت يوم السبت الى بيروت . وهكذا كان . فانعقد مجلس الوزراء الفرنسي في الجزائر يوم الجمعة في جلسة شرحت فيها للجنرال ديغول ولزملائي ان سياسة فرنسا التقليدية التي كانت تصح في العام ١٩٢٠ لم تعد توافق اليوم، وان علينا ان نلاحظ تطوّر الشرق، ولا سيما لبنان وسوريا، اذا اردنا ان نحافظ على ما لنا من صداقات فيهما . فقال لي الجنرال ان هناك اناساً يثيرون هيللو ويعملون على طردنا من لبنان . فأجبته : وهل هذه هي الطريقة لبقائنا فيه ؟

اذا اردت ان تبقى في لبنان فلا تستطيع ان تبقى فيه بألفَي جندي : ارسل فرقتين او جيشاً قوياً وبعدها افعل ما تريد .

« وقررنا في تلك الجلسة اطلاق سراح رئيس الجمهورية فوراً . ووصلت الى بيروت . »

قلت « يا سيدي الجنرال : ان الحكومة الموقتة التي كانت في بشامون عندما بلغها خبر وصولك اعتقدت ان اول عمل ستعمله هو ارسالك سيارتك الخاصة وعليها العَلَم، وفتح ابواب راشيا امـــام فخامة الرئيس وصحبه، وإخراج اميل اده من السراي التي دخلها على حراب السنغاليين ليعود رئيسنا الى الكرسي الذي رفعه اليه اللبنانيون . وقد قالت حكومة بشامون هذا بصراحة للسيد بيير بار الذي اوفدته الى بشامون ليفاوضها باسمك . وما دمت يا سيدي الجنرال قد شرّفتني بهذا الحديث الصريح الذي لا يدهشني منك لانني اعرف ما انطوت عليه نفسك من حب للحرية ، كما اعرف الاثر الطيب الذي تركته في نفوس اللبنانيين الذين عرفوك جيداً ، فهل لي ان اعرف العوامل التي أخّرت الافراج عـن فخامة الرئيس وصحبه حتى ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ ؟ »

فابتسم الجنرال وكنا قد انتهينا من العشاء وقال لي : « احب ان ادخن معك سيكارة من هذه السيكارات اللبنانية الطيبة » .

وانتحينا زاوية واجابني الجنرال بقوله :

« كنت على اتصال دائم بديغول، ارسل اليه واتلقى منه كل ساعة برقية تقريباً . وكان ديغول مصرّاً على عدم اعادة الحكومة وكرامي . اما انا فقلت له : اذا لم نُعدهم نحن اعادهم الشعب الى السراي عـلى الاكتاف . ثم ان رئيس الجمهورية رفض رفضاً باتاً ان يعود الى السراي إلاّ ومعه حكومته . وظللتُ مصراً على موقفي، وظل ديغول مصراً على موقفه . وكنت اعرف ان الاوامر أُعطيت الى الجنرال هولمز قائد الجيش

التاسع بالتدخل اذا لم يستتب الامن، بحجة تهديد طرق المواصلات ايام الحرب . ومعنى التدخل يومها طردنا وطرد عسكرنا من لبنان . كما جرى بعد ذلك بسنتين في دمشق . ان امثولة لبنان في سنة ١٩٤٣ لم تفد ديغول في سنة ١٩٤٥ . وعند قصف دمشق كنت انا في موسكو مع الاسف » .

وعاد الجنرال الى حديثه عن لبنان فقال :

« ولما عيل صبري ابرقت الى ديغول اقول انني سأطلق سراح رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وجميع المعتقلين ليعودوا الى مراكزهم، وسأقوم بهذا العمل على مسؤوليتي الخاصة ولن انتظر جوابك، فان لم يوافقني مجلس الوزراء بعد ذلك استقلت من الحكومة الفرنسية الموقتة . وهكذا كان . »

وانهى الجنرال كاترو حديثه بقوله : « ولما عدت الى الجزائر طلبت عقد مجلس الوزراء فانعقد وادليت بوجهة نظري فأيدني سبعة عشر وزيراً وأيّد ديغول وزيران فقط وأُسدل الستار على هذا الحادث المؤسف . »

فقلت للجنرال « لقد عرفنا ان ديغول استقال يومها من رئاسة الحكومة وان اللجنة لم تقبل هذه الاستقالة . »

فلم يجب كاترو على ذلك بل قال « ان ديغول ادّى الى فرنسا خدمات لا شك فيها، لكنه اظهر في مناسبات عديدة حمقاً وتهوراً كلفانا غالياً . » انتهى الحديث .

انني ابعث الى معاليكم بهذا الحديث على سبيل المعلومات . ولعله يفيد من يريد ان يؤرخ يوماً هذه الفترة الحاسمة من تاريخ لبنان .

وتفضلوا يا معالي الوزير بقبول فائق الاحترام .

وزير لبنان المفوض
الامضاء : خليل تقي الدين » اهـ

البعثات اللبنانية التي أنشئت في الخارج سنة ١٩٥٢ (١)

مكان البعثة	تاريخ إنشائها
لوندرة	٢٦ / ٨ / ٤٤
القاهرة	٢١ / ١١ / ٤٤
باريس	٢١ / ١١ / ٤٤
عمان	٣٠ / ١٢ / ٤٤
واشنطن	٢٧ / ٣ / ٤٥
ريو دي جنيرو	٢٦ / ١١ / ٤٥
بوغوتا	٢ / ٢ / ٤٦
طهران	٢٣ / ٢ / ٤٦
انقرة	٦ / ٦ / ٤٦
الوفد لدى الامم المتحدة	٣٠ / ٧ / ٤٦
موسكو	٣٠ / ٧ / ٤٦
بروكسل	٢٩ / ١٠ / ٤٦
مكسيكو	٧ / ١١ / ٤٦
بونس ايرس	١٢ / ١١ / ٤٦
برن	٣٠ / ١١ / ٤٦
بغداد	٤ / ٦ / ٤٧
الفاتيكان	١٠ / ٢ / ٤٧
مدريد	٢٥ / ٦ / ٤٨
روما	٢٠ / ٧ / ٤٨
جدّة	١٩ / ١٠ / ٤٨

مكان البعثة	تاريخ إنشائها
كراتشي	٢٥ / ٨ / ٥٠
اثينا	٤ / ٩ / ٥٠
الوفد لدى الاونسكو	٢٣ / ٤ / ٥١
القنصليات	
القاهرة	٢ / ١٢ / ٤٤
مرسيليا	٢٣ / ١٢ / ٤٤
القدس	٣٠ / ١٢ / ٤٤
نيويورك	٢٧ / ٣ / ٤٥
الاسكندرية	٢٣ / ٥ / ٤٥
سان پاولو	٣ / ١ / ٤٦
اسطمبول	٦ / ٦ / ٤٦
سدني	٦ / ٦ / ٤٦
بور سعيد	٤ / ٩ / ٤٦
اوتاوا	١٥ / ١٠ / ٤٦
دكار	١٥ / ١٠ / ٤٦
لاغوس	١٥ / ١٠ / ٤٦
اكرا	٢٧ / ٦ / ٤٩
قبرص	١ / ١٢ / ٤٩
منروفية	٤ / ٣ / ٥٢

(١) — لم يكن للبنان، قبل عهد الاستقلال، تمثيل وطني رسمي يحمي مصالح اللبنانيين

البعثات الاجنبية في بيروت في عهد الاستقلال

اسم البعثة	تاريخ تقديم اوراق الاعتماد الاولى
١ – الاتحاد السوفياتي	٣٠ / ١٠ / ١٩٤٤
٢ – پولونية	١٠ / ١١ / ١٩٤٤
٣ – الولايات المتحدة الاميركية	١٧ / ١١ / ١٩٤٤
٤ – بريطانيا العظمى	٢٢ / ١٢ / ١٩٤٤
٥ – مصر	١١ / ٤ / ١٩٤٥
٦ – إيران	١٦ / ٤ / ١٩٤٥
٧ – العراق	٢ / ٧ / ١٩٤٥
٨ – المملكة العربية السعودية	١٦ / ٢ / ١٩٤٦
٩ – يوغوسلافية	١٨ / ٣ / ١٩٤٦
١٠ – البرازيل	١٠ / ٤ / ١٩٤٦
١١ – تركية	٣ / ٥ / ١٩٤٦
١٢ – فرنسة	١٧ / ٦ / ١٩٤٦
١٣ – سويسرة	١١ / ٧ / ١٩٤٦
١٤ – شرقي الاردن	١ / ١٠ / ١٩٤٦
١٥ – بلجيكة	٣٠ / ١٢ / ١٩٤٦
١٦ – تشيكوسلوفاكية	١٩ / ٢ / ١٩٤٧
١٧ – الارجنتين	٧ / ٥ / ١٩٤٧
١٨ – اليونان	١٧ / ٦ / ١٩٤٧
١٩ – اسوج	١٧ / ٦ / ١٩٤٧
٢٠ – السفارة البابوية	٢٤ / ٦ / ١٩٤٧
٢١ – المكسيك	٢٦ / ٧ / ١٩٤٧

اسم البعثة	تاريخ تقديم اوراق الاعتماد الاولى
٢٢ – ايطالية	١٤ / ٣ / ١٩٤٧ (كقائم بالاعمال)
	٩ / ٨ / ١٩٤٧ (كوزير مفوض)
٢٣ – اسبانية	٥ / ٣ / ١٩٤٨
٢٤ – تشيلي	١٧ / ٦ / ١٩٤٨ (كقائم بالاعمال)
٢٥ – الافغان	٣ / ٩ / ١٩٤٨
٢٦ – نروج	١٥ / ١١ / ١٩٤٨
٢٧ – الهند	١ / ١٢ / ١٩٤٨
٢٨ – تشيلي	٢٢ / ٢ / ١٩٤٩ (كوزير مفوض)
٢٩ – كولومبية	١٤ / ٦ / ١٩٤٩
٣٠ – الحبشة	٢ / ٨ / ١٩٤٩
٣١ – هولندة	١٧ / ١١ / ١٩٤٩
٣٢ – الپاكستان	٧ / ٣ / ١٩٥٠
٣٣ – ليبرية	١٠ / ٢ / ١٩٥١ (كقائم بالاعمال)
٣٤ – پيرو	٨ / ٥ / ١٩٥١
٣٥ – اوروغواي	١٧ / ٩ / ١٩٥١ (كقائم بالاعمال)
٣٦ – كوبا	٢٤ / ١ / ١٩٥٢

وزارات الاستقلال [١]

الوزارة الاولى في ٢٥ من ايلول ١٩٤٣ الى ٢ من تموز ١٩٤٤

رياض الصلح رئيس الوزارة ووزير المال . حبيب ابو شهلا نائب رئيس الوزارة ووزير العدل والتربية الوطنية . سليم تقلا وزير الامور الخارجية والاشغال العامة . كميل شمعون وزير الداخلية والبرق والبريد . مجيد ارسلان وزير الزراعة والدفاع الوطني والصحة والاسعاف العام . عادل عسيران وزير الاعاشة والتجارة والصناعة .

الوزارة الثانية في ٣ من تموز ١٩٤٤ الى ٩ من كانون الثاني ١٩٤٥

رياض الصلح رئيس الوزارة ووزير الداخلية والتموين . حبيب ابو شهلا نائب رئيس الوزارة ووزير العدل والتربية الوطنية . سليم تقلا وزير الخارجية والاشغال العامة . حميد فرنجية وزير المال . مجيد ارسلان وزير الصحة والزراعة والدفاع الوطني . محمد الفضل وزير البرق والبريد والتجارة والصناعة .

الوزارة الثالثة في ٩ من كانون الثاني الى ٢٢ من آب ١٩٤٥

عبد الحميد كرامي رئيس الوزارة ووزير المال والدفاع الوطني . نقولا غصن نائب رئيس الوزارة ووزير البرق والبريد والتجارة والصناعة .

---

(١) — راجع : الجزء الاول ، ص ٣٣١ ، اما في الفترة التي يتناول هذا الجزء الثاني حوادثها فكان المجلس النيابي هو المجلس عينه الذي ذكرنا اسماء نوابه في الجزء الاول ، ص ٣٠٣

سليم تقلا [١] ثم هنري فرعون وزير الخارجية والعدل . احمد الاسعد وزير الاشغال العامة والصحة . وديع نعيم وزير الداخلية والتربية الوطنية . الدكتور جميل تلحوق وزير التموين والزراعة .

الوزارة الرابعة في ٢٢ من آب ١٩٤٥ الى ١١ من نيسان ١٩٤٦

سامي الصلح رئيس الوزارة ووزير التجارة والصناعة والتموين والبرق والبريد . جبرائيل المر نائب رئيس الوزارة ووزير الاشغال العامة . سعدي المنلا وزير العدل . حميد فرنجيه وزير الخارجية والتربية الوطنية . اميل لحود وزير المال . يوسف سالم وزير الداخلية . احمد الاسعد وزير الزراعة والدفاع الوطني . الدكتور جميل تلحوق وزير الصحة والاسعاف العام .

الوزارة الخامسة من ١١ من نيسان الى ٢٢ من نوار ١٩٤٦ [٢]

سامي الصلح رئيس الوزارة ووزير العدل والبرق والبريد . حميد فرنجيه وزير الخارجية . سعدي المنلا وزير الداخلية . اميل لحود وزير المال . فيليب تقلا وزير الاقتصاد الوطني والتربية الوطنية . احمد الاسعد وزير الزراعة والدفاع الوطني . الدكتور جميل تلحوق وزير الصحة والاسعاف العام .

الوزارة السادسة من ٢٢ من نوار الى ١٤ من كانون الاول ١٩٤٦

سعدي المنلا رئيس الوزارة ووزير الاقتصاد الوطني . جبرائيل المر

---

(١) — انتقل سليم تقلا الى رحمته تعالى في ليل ١١ — ١٢ من كانون الثاني وخلفه هنري فرعون في ١٥ من الشهر المذكور . راجع : ص ١٢٤

(٢) — هي نفسها الوزارة الرابعة باستثناء يوسف سالم الذي استقال في ٣ من نيسان وقد خلفه فيليب تقلا وجرى تغيير في توزيع الوزارات . راجع : ص ٢٣٣

نائب رئيس الوزارة ووزير الاشغال العامة . احمد الحسيني وزير العدل . فيليب تقلا وزير الخارجية والتربية الوطنية . اميل لحود وزير المال . صائب سلام وزير الداخلية . مجيد ارسلان وزير الصحة والاسعاف العام والدفاع الوطني . يوسف الهراوي وزير الزراعة والبرق والبريد .

الوزارة السابعة من ١٤ من كانون الاول ١٩٤٦ الى ٧ من حزيران ١٩٤٧

رياض الصلح رئيس الوزارة . صبري حماده نائب رئيس الوزارة ووزير الداخلية . عبدالله اليافي وزير العدل . هنري فرعون وزير الخارجية . كميل شمعون وزير المال . جبرائيل المر وزير الاشغال العامة . مجيد ارسلان وزير البرق والبريد والدفاع الوطني . كمال جنبلاط وزير الزراعة والاقتصاد الوطني والشؤون الاجتماعية . الدكتور الياس الخوري وزير الصحة والاسعاف العام والتربية الوطنية .

فهرس

«... فأسأل الله، عزّ وجلّ، ان يعيننا على خدمة هذا الوطن اللبناني المستقل، المتمتع بسيادة كاملة غير منقوصة، مهما كانت التضحية في سبيل هذه الخدمة كبيرة، هذا الوطن اللبناني الذي نضع حبّه فوق كل شيء، والذي يجب ان يظل للبلدان العربية المحيطة به جاراً اميناً واخاً صادقاً، تربطه بها روابط تعاون يسوده الودّ والاخلاص...»



في ٢١ من ايلول ١٩٤٣، في مجلس النواب، على اثر انتخابي رئيساً للجمهورية



ثاني يوم انتخاب الرئاسة : قوات الدرك والشرطة امام السراية الصغيرة تتأهب لاستقبال الرئيس (ص ١٧)

عزّ وجلّ ، ان يعيننا على خدمة
ستقل ، التمتع بسيادة كاملة غير
سجمة في سبيل هذه الخدمة كبيرة ،
نضع حبّه فوق كل شيء ، والذي
عربية المحيطة به جاراً اميناً وانا
تعاون يسوده الود والاخلاص ... »



لى اثر انتخابي رئيساً للجمهورية

نوسلاقية
رئيس
في
الجمهوري
ساعات
الاعتقال
١٠ – ١١
رين الثاني





سعدالله الجابري رئيس الوزارة السورية يهنىء رئيس الجمهورية وحكومته بعد راشيا
ويظهر في الرسم صبري حماده رئيس المجلس وغاب حبيب ابو شهلا نائب رئيس الوزارة

LE GENERAL D'ARMÉE GEORGES CATROUX. BEYROUTH, le 20 Novembre 1943

Monsieur le Président,

Mon dessein était de vous rendre à la liberté ainsi que vos compagnons d'internement Dimanche 2I courant.

Une complication subite et indépendante de ma volonté m'empêche, à mon vif regret, de donner suite à ce projet. Je pense cependant que votre libération ne subira qu'un léger retard.

Agréez, je vous prie, Monsieur le Président, l'expression de ma haute considération ./.

Catroux

S.E. le Président Béchara EL KHOURY

-:-



في هذه الغرفة

اعتقل

فخامة الشيخ بشارة خليل الخوري

رئيس الجمهورية اللبنانية

من تاريخ ١١ إلى ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣





الجنرال كاترو والمسيو شاتينيو يهنئان الرئيس وحكومته بعد الرجوع من راشيا



تزاحم الجماهير امام القصر الجمهوري لتهنئة الرئيس بعَوده سالماً مع حكومته من راشيا



الرئيس والرئيسة بعد الرجوع من راشيا

«الى اولى اللبنانيات :

« ... نعم، لقد بدا الرئيس في معركة الاستقلال قائدا عظيماً وزعيماً حكيماً ، ولكن هناك صوتاً نبيلاً وكريماً قاد الى طريق النصر ، ارتفع وحده ساعة احتجنا الى صوت .

وهناك مثال جريء، عبقري المبادرة ، احتذي به ساعة احتاج الشعب الى مثال ... ومن نعم ربكِ عليكِ ان كنت صاحبة الصوت وكنت المثال . وكان اعتزازك بان وطنك لبنان ! »

يوسف ابرهيم يزبك : جريدة الانوار

BRITISH LEGATION,
BEIRUT.

Personelle

23. xii. 43

Mon cher Président

Permettez moi de vous féliciter ainsi que votre Gouvernement du plus profond de mon cœur pour l'heureux résultat des négociations Libano-Franco-Syriennes.

Il eut été impossible de prévoir, il y a bien peu de temps encore, qu'il aurait été possible d'obtenir un tel résultat.

Vos souffrances et celles de vos amis n'auront pas été en vain puisqu'elles ont été le prix de la liberté de votre pays.

Il est vraiment beau que ce soit le Chef de l'État lui même qui se soit inscrit ~~[illegible]~~ sur la première page de l'histoire du Liban libre comme ayant tenu bien haut, et en tête de file, le flambeau de la liberté.

C'est le Chef, qui s'est prouvé être le Chef, qui a montré le chemin, qui a mené ses troupes. Je ne doute pas que l'affection de votre pays aujourd'hui ne se transforme en lettres d'or inscrites à la première page de la nouvelle histoire de votre pays. Tant qu'il y aura des montagnes au Liban les Libanais seront fiers de vous.

Vous avez le bonheur d'avoir une compagne qui elle non plus n'a jamais fléchi. L'histoire ne l'oubliera pas non plus. Permettez moi de me signer en toute affection E. L. Spears







سپيرس ممثل بريطانية (فوق) وسولود ممثل الاتحاد السوڤياتي (في الوسط)
وودسورث ممثل الولايات المتحدة الاميركية (تحت) عند الرئيس

بطريركية انطاكية وسائر المشرق المارونية
لبنان

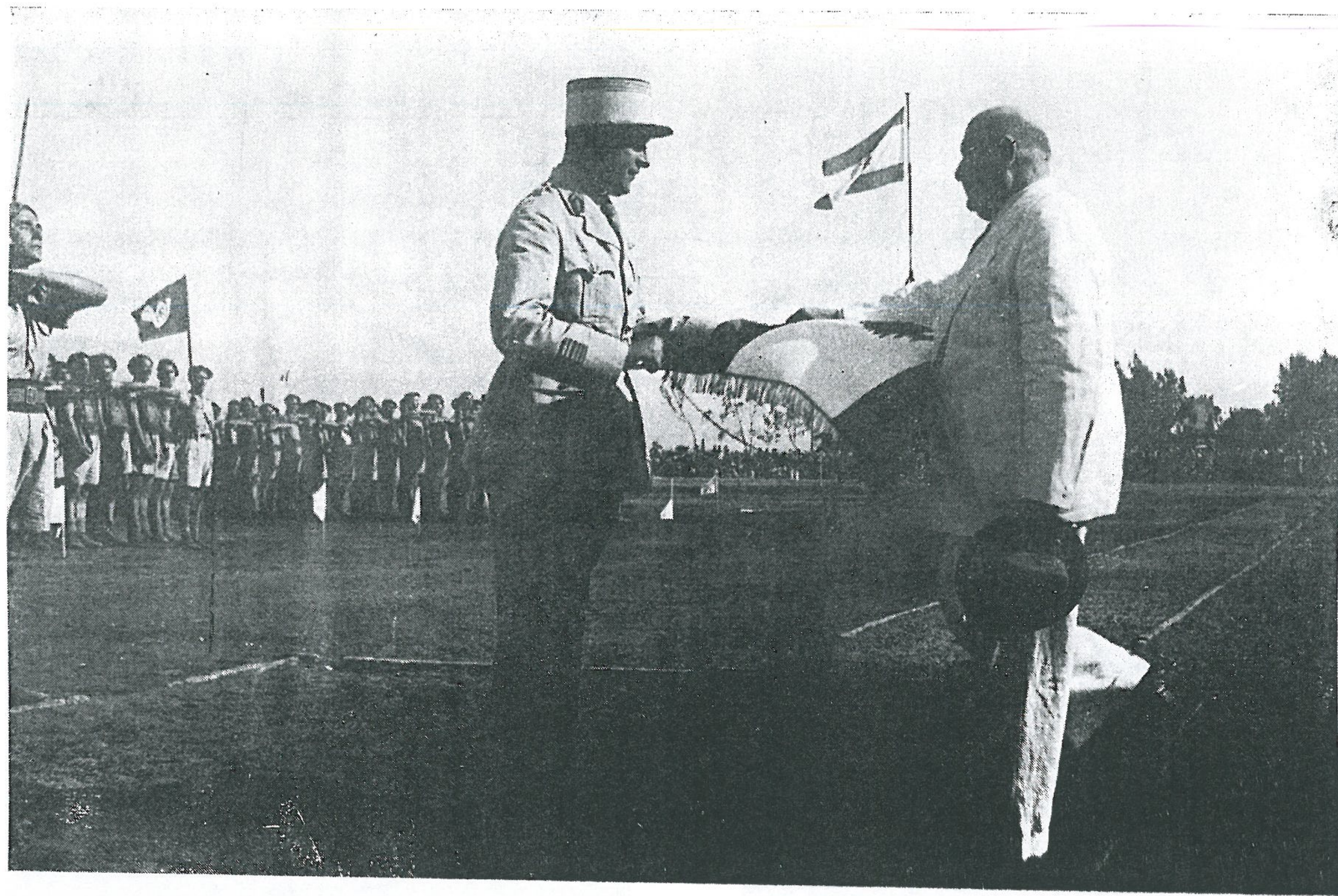
البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا العزيز الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية الافخم

بلغنا ان مجلس النواب صدق على مشروع محاكمة من يخونون الدولة اللبنانية وكل من يعبثون باستقلال لبنان ضمن حدوده وان فخامتكم مع معالي رئيس الوزارة بذلتم جهودكم في هذا السبيل فنحن نثني عليكم جزيل الثناء وعلى ما تبدونه من النشاط والحماس في موقفكم بما يخص هذا الاستقلال

هذا ومع تكرار البركة الرسولية اصدق التمنيات والدعاء من صميم الفؤاد ليأخذ الله بيدكم ويؤيدكم ويطيل ايام حياتكم بالصحة والاقبال

اول ت١ ١٩٤٤

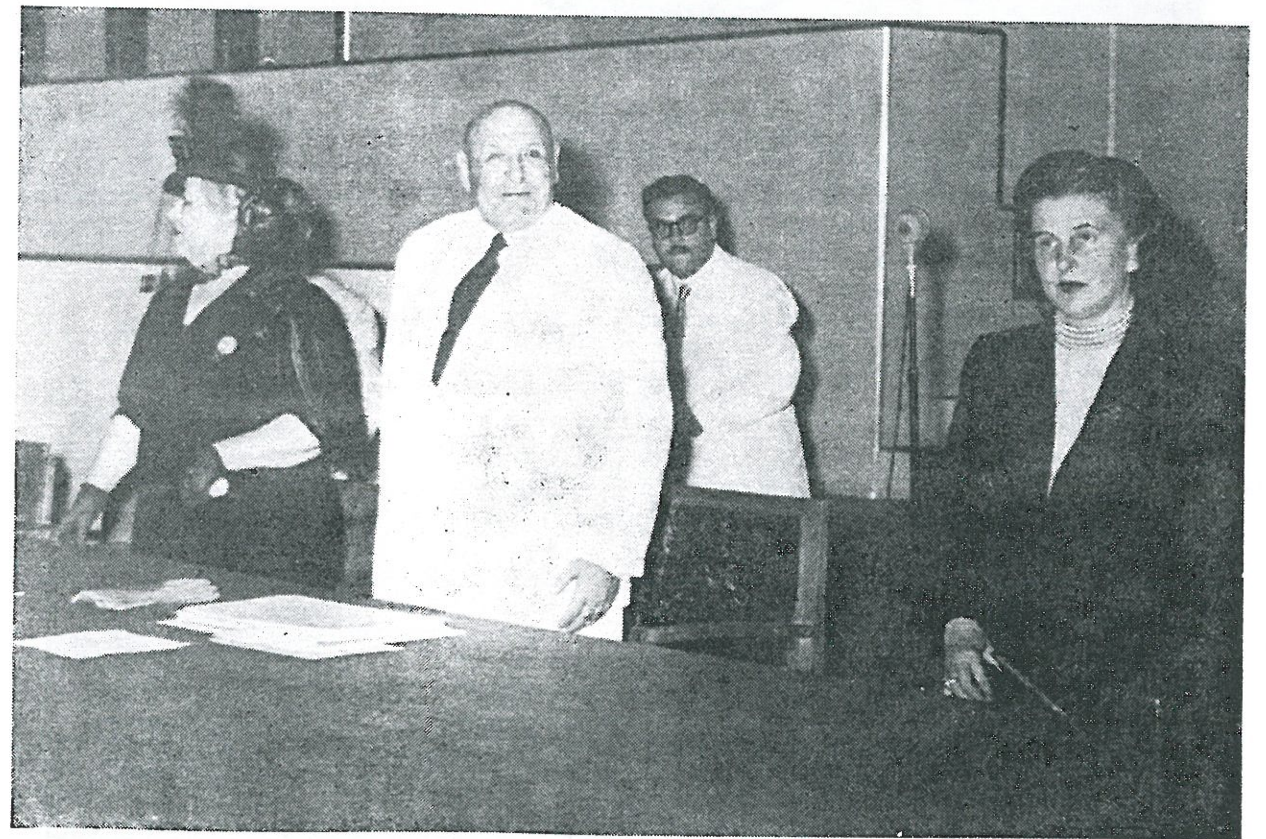
انطون بطرك
[illegible]
[illegible]



الرئيس يتسلم علم الفوج من الزعيم فؤاد شهاب (ص ٩٢)



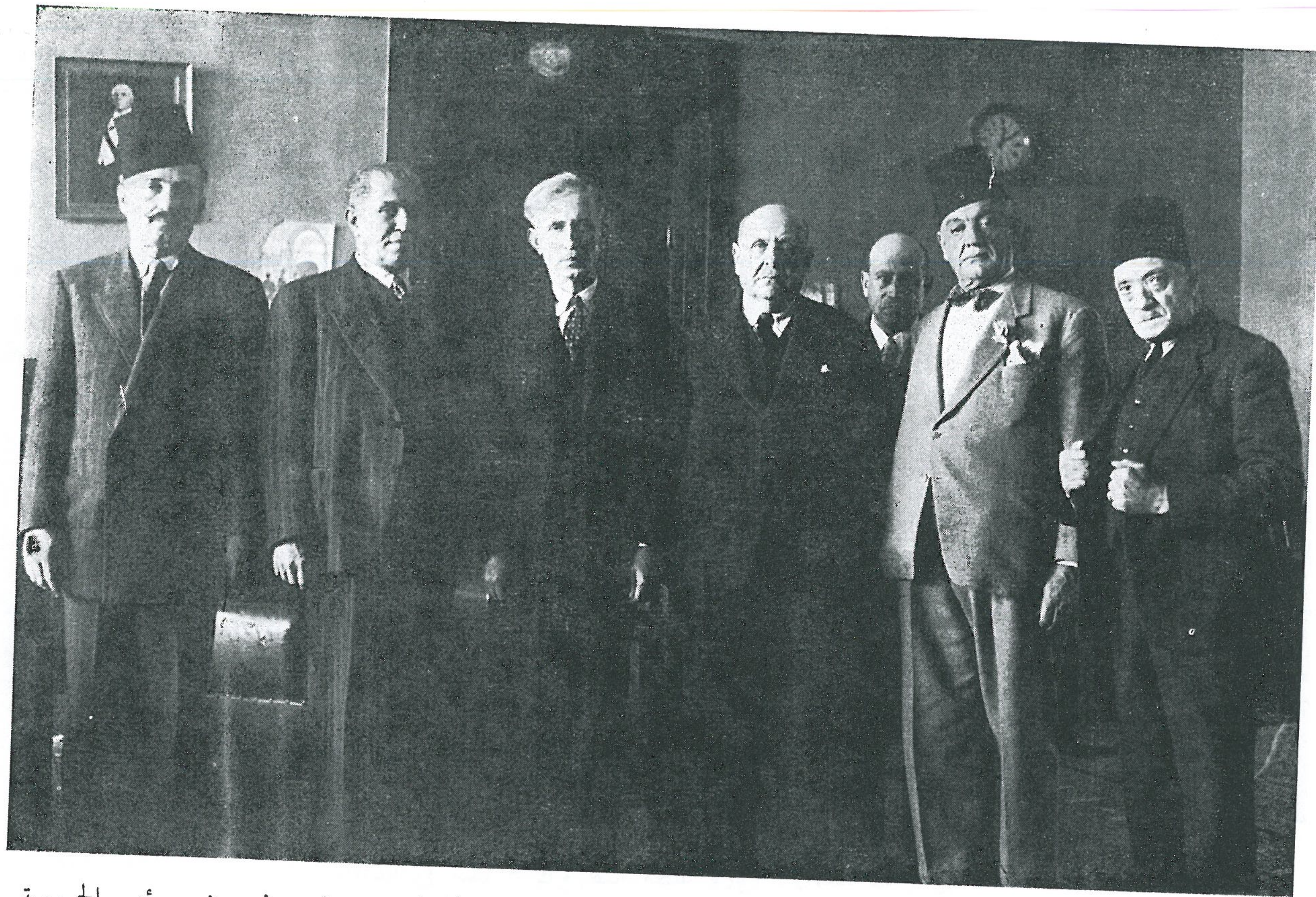
اركان نقابة الصحافة اللبنانية في زيارة الرئيس



تدشين حفلات الصليب الاحمر اللبناني بعد تأسيسه . وقد وقفت رئيسته المركيزة دي فريج عن يمين الرئيس ووقفت السيدة رياض الصلح نائبة الرئيسة عن يساره



الشيخ محمد خالد مفتي الجمهورية اللبنانية يرحب بالرئيس وصحبه في زيارتهم الجامع العمري الكبير للتهنئة بعيد المولد



وزارة عبد الحميد كرامي على اثر تأليفها . من اليمين : الدكتور جميل تلحوق . نقولا غصن . هنري فرعون . رئيس الجمهورية .
عبد الحميد كرامي . وديع نعيم . احمد الاسعد (١٥ من كانون الثاني ١٩٤٥)



في رحلة الشمال : زيارة غبطة البطريرك عريضه في الديمان







من رحلة الشمال : في طرابلس (فوق) . في اهدن (في الوسط) . في بشري (تحت)



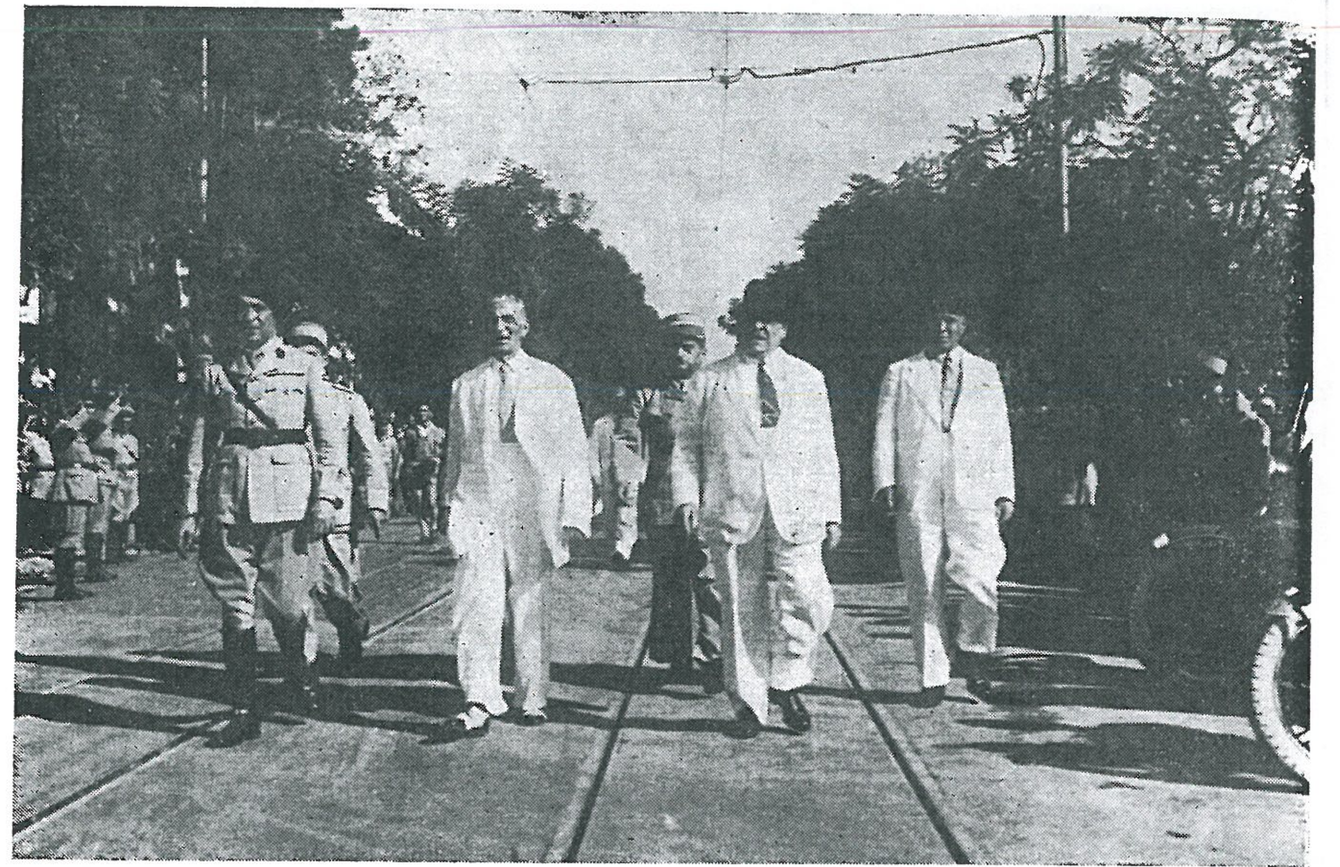




من رحلة الجنوب : في مرجعيون (فوق) . في حاصبيا (في الوسط) . في القاسمية (تحت)



في قلعة راشيا : « ودخلنا ، وبدأتُ بان رفعتُ العلَم على القلعة والموسيقى تعزف « الى العلم » والدمع ينهمر من عيوننا . ثم عزفتْ نشيد الاموات تكريماً لذكرى الشهداء ، وعقب ذلك صمت خمس دقائق » (ص ١٨٨)



تسلّم الجيش اللبناني من القيادة الفرنسية . من اليمين : وديع نعيم وزير الداخلية .
الرئيس (وراءه المرافق العقيد فيليب ابي نادر) . عبد الحميد كرامي . الزعيم فوآد شهاب



في اول حفلة لبنانية لتسليم السيوف (١٩٤٥) : الرئيس يعرض الجيش



لم يغب الرئيس مرة واحدة، في تسع سنوات متتالية، عن حضور حفلة تكريم الشهداء في السادس من كل نوار . (عبد الحميد كرامي يلقي كلمة الحكومة في حفلة ١٩٤٥)



إهداء خليل مطران شاعر القطرين وسام الاستحقاق اللبناني عربون تقدير واعجاب

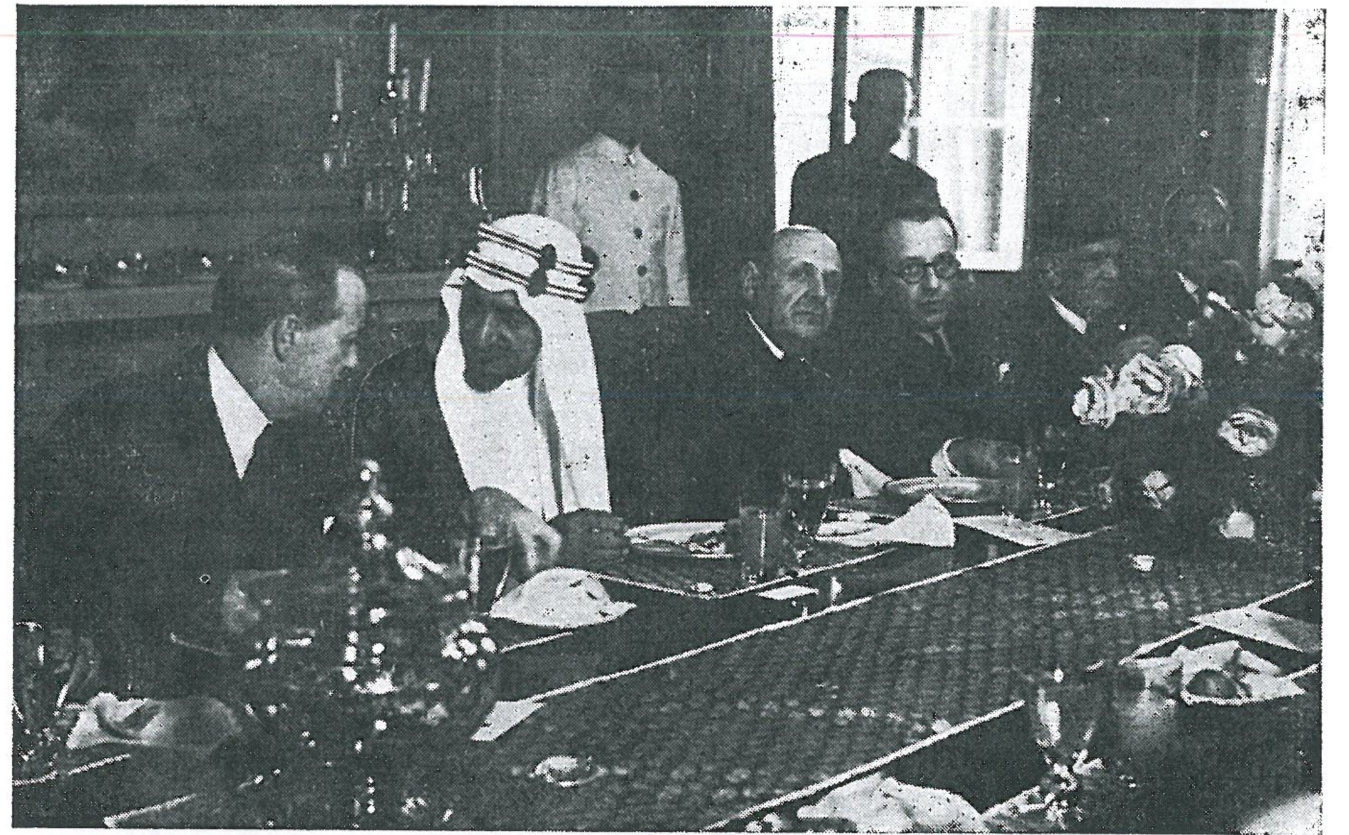
من اليمين : الرئيس . يوسف سالم . خليل مطران . المحامي المصري وهيب دوس . الاخطل الصغير .



عقيلة الرئيس تردّ الزيارة لغبطة البطريرك اليكسي الروسي في السفارة السوڤياتية .
من اليمين : المطران ايليا الصليبي . الرئيسة . البطريرك اليكسي . مدام سولود .
عبد الحميد كرامي . خليل بشاره الخوري . السفير السوڤياتي سولود



عند غبطة الكاتوليكوس بطريرك الارمن الغريغوريين في كرسيّه في انطلياس



استقبال سمو الامير فيصل آل سعود واخيه سمو الامير منصور في قصر الرئاسة



بعد حفلة العشاء في القصر الجمهوري لتكريم الجنرال سبيرس على اثر انتهاء مهمته (ص ١١٥)



تدشين بيت الجندي

١٩٤٥



الحكومة اللبنانية

تتسلم السراية الكبيرة

(ص ٢٣١)

يا فخامة الرئيس

بمناسبة انتهاء الزيارة الرسمية التي قمنا بها لفخامتكم ، وكنا خلالها موضوع حفاوتكم في قصر الرئاسة ، نرجو ان تتقبلوا شكرنا الجزيل لما لقيناه اثناء اقامتنا لديكم من الحفاوة البالغة ، فقد احطتمونا باكرام لا مزيد عليه يستبقي في نفسنا اجمل ذكر وارفع تقدير لهذا البيت الكبير ·

وقد كانت هذه الزيارة مظهرا لاصدق العواطف من الامة اللبنانية الكريمة ، حكومة وشعبا ، اطلق لساننا بالثناء على الجميع ، نخص منهم عطوفة رئيس مجلس النواب ودولة رئيس مجلس الوزراء ، والوزراء والنواب الكرام وحضرات رؤساء الاديان الاجلاء وخصوصا سيادة المطران مبارك راعي ابرشية بيروت المارونية العزيزة ، ورجال الصحافة والجمعيات والمنظمات ، رعاهم الله جميعا بعين عنايته ·

ونشكر لممثلي الدول ورجال السلك القنصلي ، زياراتهم الرسمية لنا ، وحفاوتهم الممتازة بنا ، سائلين لحضراتهم وللدول الكريمة التي يمثلونها ، الامن والسلامة والسعادة والرخاء ·

وقد ثبت مما رأيناه وسمعناه اجماع اصحاب المقامات وارباب الرأى على تقدير الجهود التي تبذلونها فخامتكم ، لما فيه مصلحة لبنان العليا وتوطيد استقلاله وصيانة كيانه ورفع شأنه بين الامم الراقية ، دارجين في ذلك على سنة بيتكم الكريم المعروف بخدماته الجلى ، للبنان وشعبه ، وقد سرنا بوجه خاص ما رأيناه من التفاف الامة حولكم ، على اختلاف الطوائف ، والاحزاب ، والمناطق والنزعات ، وتأييدكم في سياستكم الرشيدة لما فيه خير لبنان ·

وفيما نحن نكرر لفخامتكم الشكر ، وندعو لكم بالتوفيق ، نطلب منه تعالى ان يباركم وبيتكم الكريم واولادكم الاعزاء داعين لحضرة عقيلتكم المصونة قدوة السيدات في تقواها واخلاقها الرفيعة ، وغيرتها على المشاريع الخيرية ، وعطفها على الفقير ~~وسائلين لحضرتها~~ بالشفاء التام ودوام العافية ·

ايدكم الله وصان لبنان حرا مستقلا ·

+ الحقير انطون بطرس
بطريرك انطاكية
وسائر المشرق

بيروت في ٢٠ كانون الاول سنة ١٩٤٥



مع وزارة سعدي المنلا في بيت الدين (صيف ١٩٤٦) . من اليمين : جورج حيمري (مدير غرفة رئاسة الجمهورية) . مجيد ارسلان . يوسف الهراوي . غبريال المر . الرئيس . سعدي المنلا . فيليب تقلا . صائب سلام . ناظم عكاري (مدير غرفة رئاسة الوزارة)



↑ المنسنيور مارينا
اول سفير بابوي
يقدم اوراق اعتماده



→ الملك فاروق
يستقبل الرئيس
في مطار انشاص



→ الرئيس يستقبل
ملك العراق في
بيروت



بعد اعتراف الكرسي الرسولي باستقلال لبنان : عقيلة الرئيس وابنتها هوغيت وشارل حلو سفير لبنان لدى الڤاتيكان
في طريقهم الى زيارة قداسة الحبر الاعظم



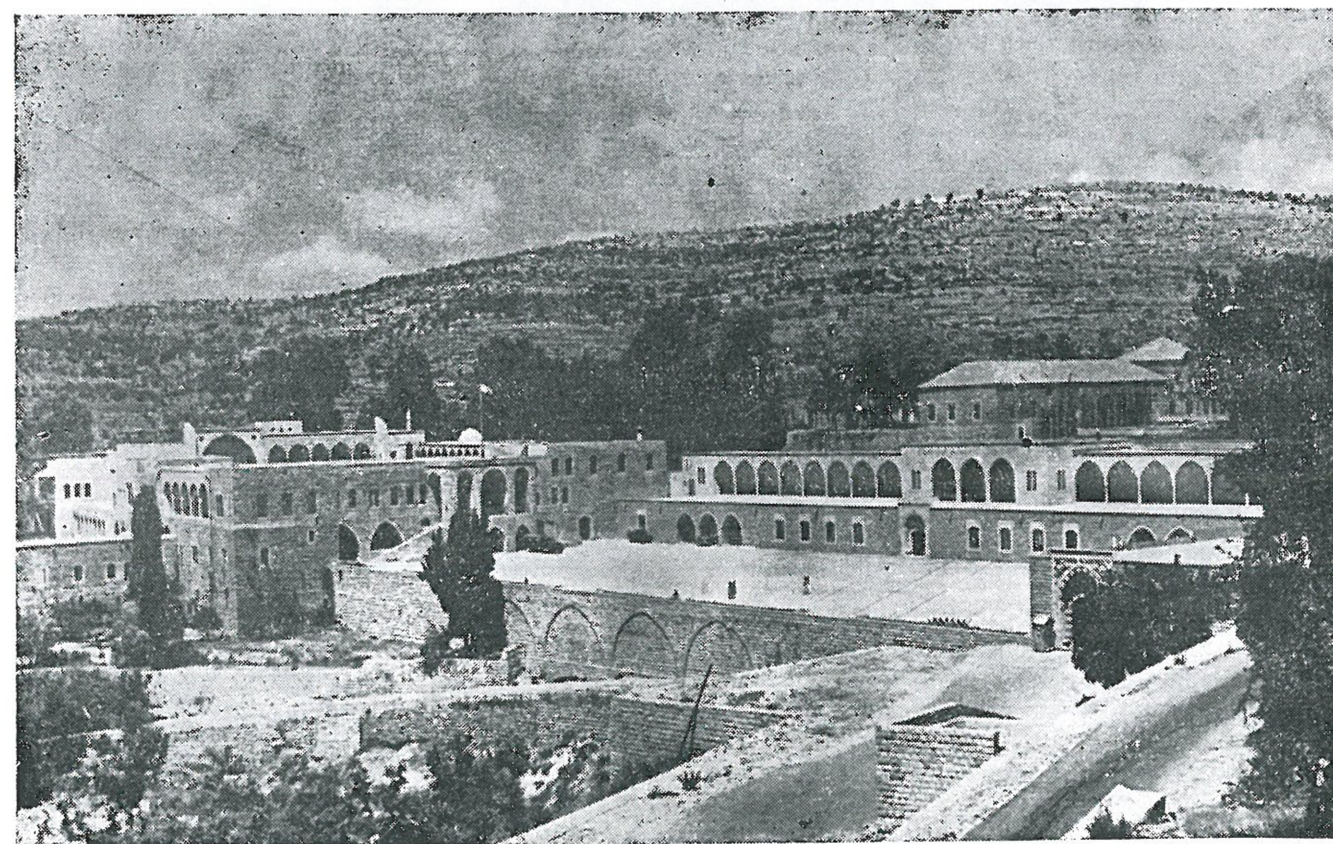
في انقرة : السيدة عقيلة عصمت اينانو رئيس الجمهورية التركية تستقبل الرئيس والرئيسة



والرئيس اينانو يرحّب بالرئيسة اللبنانية وقد جلست الى جنبها الرئيسة التركية



مشايخ الدروز يحيطون بالرئيس في قصر بيت الدين



قصر بيت الدين بعد ترميمه في عهد الاستقلال . الى اليمين المتحف الجديد للآثار اللبنانية



« ... ما انتهى جهاد إلا ابتدا جهاد، لان الحياة لا تعرف الركود، ولا تتسامح مع المتواكلين المتخاذلين . الاعين شاخصة اليكم ايها اللبنانيون، والآمال معقودة عليكم، ومذ اصبحتم ولاة امركم واصحاب داركم ، الارض ارضكم والعلم علمكم والجيش جيشكم ، اخذتم على انفسكم المسؤوليات الجسام . وهي قسمة الرجال الاحرار في الوطن المحرر ! »

(من خطاب الرئيس يوم الجلاء : مجموعة خطب ص ١٤١)